في العربيّة التاريخيّة

للدكتور
إبراهيم السامرّائيّ

لقــد عُني الباحثون اللغويون في العصر الحديـــث بموضـــوع تاريخ اللغات وفـــاءً لعلم اللغة التاريخي العام ولعلم اللغـــة المقارن ولقـــد كان من ذلك أن حفـــل العلم اللغوي بدراسات ذات قيمـــة في تاريخ اللغات،ولا سيما لغـــات الشعوب المتقدمة . ويهمّنـــا أن نعرض لشيء من تاريـــخ العربية على نحو ما تـــم انجازه من الدراســـات الحديثة في عصرنـــا الحاضر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقـــول : ربما كانت العربية بِدْعـــًا بين أَخواتها اللغات الساميّة ، وذلك لاننا نعرف من أمـــر تاريخ اللغات شيئا يفوق ما نعرفه من بدايات العربية ؛ إننا نعرف،مثلا،كثيرا من النصوص البابلية الآشورية والاكدية ، كما نعرف قدرا عظيما من اللغـــة الآرامية ولهجاتها ؛ وقُـــلْ مثل ذلك عن نصوص اللغـــة العبرانية وسائر اللغات الساميّة الاخرى ما خـــلا العربية . اقول ما خـــلا العربية،ذلك أَنّي اعلـــم ان بين أيدي الباحثين نصوصا من العربيـــة الجنوبية في نقوش جنوبي الجزيرة العربية وشماليها، كمـــا في النقوش القتبانية واللحيانية والثموديـــة . وليس في طوق الباحث ان يتخذ من هـــذه النصوص البدايات الاولى في تاريخ العربية ؛ فـــلا يمكن ان تكون نقوش مَعين وسبأ وحِمْير في الجنـــوب،ولا النقوش القتيانية واللحيانية والثمودية في شمالي الجزيـــرة،اصولا تطوّرت الى العربيـــة

الفصيحة التي عرفناهـــا في نصوص الأدب الجاهلي . ان النصـــوص الأولى التي اشرنـــا اليها تُعَدُّ بعيدة كلّ البعد، مـــن حيث التطور، عـــن النصوص الجاهلية ؛ ذلـــك أن الباحث في تلك النصوص يقف ازاء مـــادة لغوية بعيدة كثيراً، مـــن حيث مبناها ومعناها، عمّا تفصح عنـــه نصوص الأدب الجاهلي مثـــلا .

لقـــد أدركت العربيةُ الجاهليةُ، الممثلةُ بنصوص الشعـــر الجاهلي، مستوى عاليا من حيث الأسلوب؛ فقـــد اشتملت على صِيَغٍ ومَبَانٍ هـــي من الاتقان والإحكام بحيث تَهيّأ منهـــا ان يكون للعرب موازين واقيســـة في الشعر هي الغايـــة في الضبط والتدقيق، من حيث الناحيـــة الموسيقية. وليس ادلّ على ذلك من ان هـــذه الموازين والأقيسة بقيت المثال الـــذي يُحْتَذَى في موسيقى الشعر طوال عصور عـــدّة ، ولم يستطع اهـــل العصور التي تلت أن يضيفوا الـــى موسيقى الشعر الجاهلية شيئـــا . اقول، لـــم يُتَأتَّ لأولئك الجاهليين ان يحذقوا ذلك الفـــن الا بعد أن كانت موادّ العربية في صِيَغها وابنيتها قد استوفت غايتها من الضبط والإحكام . ولو وازنّا بين ابنيـــة العربية ونظائرها في اللغـــة العبرانية او في سائر اللغات الساميّة، لوجدنا أن الأبنيـــة في لغتنا القديمة جـــاءت منسجمة ، مشتملة في حركاتها وسكناتها، والتئام اصواتها بعضها ببعض، على ما أتاح للجاهلي أن ينظمها في موسيقى شعرية لا نجدها في اية لغة ساميّة اخرى .

ثـــم اذا جئنا الى ما اشتملت عليـــه تلك النصوص الجاهلية من معان، وجدنا انهـــا حفلت، الى جانب مـــا يفصح عن حياة البداوة وعاداتها ورسومها، بمعانٍ تـــدلّ على ادراك دقيق للحياة في خيرهـــا وشرّها . وليس ادل على ذلك من الاشارات الكثيرة التي حفلت بها مطوّلة زهير بن أبي سلمى، مما يدلّ على فهمـــه الكثير من المعاني الانسانية ؛ ومثل ذلـــك نجده في سائـــر النصوص الجاهليـــة .

اقـــول، اذا كانت القصيدة الجاهلية قـــد ادركت في مبانيها ومعانيها هذا القدر السامي من الاجادة في البنـــاء الموسيقي، والتوفر على شـــيء

كثير من الفِكْر الانساني ، فلا بـدّ أن تكون هذه المـواد الأدبية الجاهلية قـد تطوّرت تطورا عظيما ، ومن ثم فلا بـدّ أن تكون قد سبقت هـذه المرحلةَ من النضج مراحـلُ اخرى لا نعرف عنها شيئـا .

ولـو اتيح لنا ان نوازن بين ما اثر من الـوان العربية القديمة الممثلة في النصوص الجنوبية ، وهي لغـات النقوش في معين وسبأ وحمـير ونظائرها من العربيـة الجنوبية في شمالي الجزيرة،وهي اللغات القتبانية واللحيانية والثمودية ، وبـين نصوص الشعر الجاهلي،لأتّضح لنـا بُعْدُ الشقّة بينهـا . ومعنى هـذا لا يمكننا ان نَعُـدَّ تلك اللغات القديمة الممثلة بالنقوش الأصـولَ المفقودة التي كانت الأساس الذي تطـوّر في نصوص الشعـر الجاهلـي .

ومعنى هذا ايضا لا بـد من القول : إنّ حلقاتٍ عـدّةً من النصوص قـد ضاعت فصلت بين الأصول وبين ما نجده مـن حال العربية في نصوص الشعـر الجاهلي .

ARCHIVE

بعـد هذه المقدمة الموجزة لا بـد من البحث في المأثور من العربية القديمة،فنعرض لموادّهـا مستَقْرِين فاحصين،لنرى ما عَرَض لهـا من التزيّد والانتحال الذي لا بـد لنا من كشفه حتى نتبين الصحيح من هـذه اللغـة العريقـة .

اقول : لقد قيـل الكثير في مسألة الانتحال في الشعر ؛ ذُكِـر ذلك المتقدمون؛ويكفي أن نذكر قـول المفضل الضبي الذي ذهب فيـه الى ان الشعر الجاهلي قد نـال من خَلَف الاحمر ما هجَّنه وافسده،فـلا يصلح ابدا . وقد فصَّل القولَ ابـنُ سلام الجمحي في هذه المسألة . ثم كـان للمحدثين في عصرنـاالحاضر مشاركة في هـذا الموضوع ؛ واولُ مـن بحث في ذلـك المستشرقون،مثل نولدكة الألمـاني،وباسيه الفرنسي ، ومرجو ليوث الانكليزي ، كمـا شارك في ذلك العلماء العـرب؛ولا ننسى في ذلـك مشاركة الدكتور طـه حسين .

ولقـــد قيل في وضع الحديث الشريف،ومـــاذا زاد فيه الوَضّاعون والكذابون ، ومـــا غيَّر فيه المدلّسون والضعفاء،حتى كـــان من ذلك نشأة مـــا سُمّي في علوم الحديث بـــ « الجرح والتعديل ».ثم كانت طبقـــات للمحدثين صنّفوا حسب توافـــر الثقة والصدق والامانة فيهم . وكان مـــن كل هذا ان صُنّفـــت المصنفات الضخمة في الاحاديـــث الموضوعة .

ومن غير شك ان الكـــذب والافتراء والانتحال قـــد عُرّض لنصوص التاريخ القديم عامـــة،فظهرت كتب في التاريخ ابتعدت عن العلـــم،فزادت في العبث استجابة لهوى،او خدمـــة لنِحْلة او بِدْعة او ضلالة ، وكـــلُّ هـــذا معروف مشهور .

ولكني لم اجـــد كثيرا ممّن عُرّض للمـــادة اللغوية،فاستقرى الصحيح، واشار الى المفتعل الموضـــوع ، الا شذراتٍ من اخبـــار تشير الى ان شيئا مـــن الوضع قد وقـــع .

وقـــد عُنيتُ في هذه المقالة بامـــر رواية اللغة وما عرض لها من موادّ هي من غير شك مـــن صنع الوضّاعين ؛ وما اظن ان جمهرة مـــن هذه المـــواد قد عرفها العرب ولاكتها السنتهم فجرت في كلامهم.وساعرض لهـــذه النماذج الكثيرة .

جـــاء في « المزهـــر » (١) للسيوطي :

« قـــال ابن فارس في « فقـــه اللغة » :

تؤخذ اللغة سَماعا مـــن الرواة الثقات ذوي الصدق والامانـــة ، ويُتّقـــى المظنـــون :

حَدّثنا علي بن ابرهيم عن المعداني عن ابيـــه ، عن معروف بـــن حسان،عن الليث،عن الخليل،قـــال :

« ان النحارير ربمـــا ادخلوا على الناس ما ليس من كـــلام العرب، ارادة اللبس والتعنيـــت » .

قـــال ابن فارس : "فليَتَحَرَّ آخـــذ اللغة اهل الامانة والصـــدق والعدالة،فقد بلغنا من أمـــر بعض مشيخة بغداد مـــا بلغنا »

ومن هنا نعلم ان الخليل قـــد عرض لهذا الموضوع ؛ وقولـــه « ربما ادخلوا » يعني انهـــم ادخلوا،واستعمال « ربمـــا » في اللغة القديمة يُفيد التكثير كثيرا،كما اشار أهـــل النحو،كما يُفيد التقليل قليـــلا .

ولشيوع الكذب في اللغة قالوا : تؤخـــذ اللغة من ذوي الصـــدق والامانة،ويُتَّقَى المظنون.ثـــم قالوا:لا تؤخذ من الطفل والمجنون ؛ وذهـــب قـــوم فمنع ان تؤخذ من « العبد ».وهـــم يجرون مجرى اهل الحديث والاثر في تحرّي الصـــدق والثقة والامانة .

واذا عرفنا ان الوضع قـــد عَرَض للحديث،وأن الوضّاعين والمدلّسين من اهل الحديث جمهور كبـــير،فليس غريبا ان نجـــد شيئا من ذلك يعرض للمـــادة اللغويـــة .

ثـــم اذا عرفنا ان الوضاعين قـــد عبثوا في الحديث الشريف،والرسول الكريـــم يقول : « من كذب عليَّ منكـــم متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »، وادركنا سوء صنيعهم،فَهِمْنـــا ان قضية الوضع في المسالة اللغويـــة شيء ليس ذا خطـــر كبير .

ولا نذهب بعيدا في الاستدلال على وجـــود الانتحال والكذب في المـــادة اللغوية؛وربما يكفي ان نذكـــر قول رؤبة بن العجاج،الراجز المشـــهور . لقد ضاق رؤبـــة ذرعا بيونس بن حبيب،وهـــو من علماء اللغة المتقدمين ممن اخـــذ عنهم سيبويه .

لقـــد كان يونس من علماء اللغـــة،يجمعها عن رواتها من الاعراب وغيرهم،فكان كثير السؤال لرؤبة هذا لمـــا اشتهر عن رؤبة وأبيـــه العجاج منَ انهما قـــد اكثرا من الغريب والنوادر في أرجازهما . قال رؤبـــة ليونس بعد ان اكثر مـــن مساءلته وضاق بـــه ذرعا : « حتى متى تسألني عن هذه الاباطيل وأزَوّقها لك ، اما ترى الشيب قد بلغ في راسك ولحيتك؟» (٢).

وحكى أبـو عبيدة عن ابن داود بن متمم بـن نويرة شيئا يقرب من ذلك،فقـال :

« قَـدِم البصرة في بعض ما يَقْدم لـه البدوي في الجلب والميرة،فنزل النحيت، فأتيته انـا وابن نوح المطاردي فسألناه عن شعر أبيـه،فجعل يزيد في الاشعار ويضعها لنـا ، واذا كلام دون كلام متمم ، واذا هـو يحتذي على كلامـه (٢) فيذكر المواضع التي ذكرهـا متمم،والوقائع التي شهدها ؛ فلمـا توالى ذلك علمنا انـه يفتعله » .

اقـول : ان هذا الخبر الثاني لا يشير الـى وضع الكذب في اللغة، ولكنه يشير الـى ان الوضع في النص الادبي ؛ ولكني ذكرتـه لأشير الى ان الاختلاف والوضع والكذب شيء عـام؛فكما عَرَض للنص الادبي عَرَض لمـواد النصوص الادبية،وهي المـادة اللغوية.ومن غير شك ان ما جرى بين يونس بن حبيب ورؤبـة بن العجاج الراجز مفيد كـل الافادة في ان كثيرا من مـادة الغريب والنوادر هـو مما افتعله اولئك « النحارير » .

ومن المفيد ان اشير الـى ان كثيرا مما سأعرض لـه من المـادة اللغوية التي تشير الى انهـا موضوعة ورد من غير اي شاهد مـن نَصّ صحيح فصيح ؛ ثم إنْ وُجِـد ذلك الشاهد فهو رجز نادر لا يُعرَف قائلـه، او يكون احـد هؤلاء « النحارير » المشاهير، مثل رؤبـة وغيره من الرُجّاز، كمـا سنـرى .

ومن المفيـد ان اعرض لشيء مما اثر عن كبـار اللغويين النحاة، لأُشير الى شيء ممـا ذهبتُ اليه من مسالة الوضع في اللغـة .

جاء في اخبار ابي العباس محمد بن يزيد المبرّد صاحب « الكامل » :(٤)
« وقال ابو عبد الله المنجم : كان المبـرد لعظم حفظه اللغة واتساعـه، يتهـم ؛ فتوافقنا على مسالة لا اصل لهـا نسأله عنها لننظر كيف يجيب ، وكنا قبل ذلـك تمارَيْنا في مروض بيـت الشاعر :

أبـا منذر افنيتَ فاستبقِ بعضنا
حنانيك،بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ

فقال قـــوم : هو من البحر الفلاني ؛ وقال آخـــر : هو من البحر الفلاني.فقطّعْناه وتردد على افواهنا تقطيعه،ومنـــه « ق بعضنا ».فقلت : ايدك اللـــه تعالى ، ما القبعض ؟ فقـــال : القطن ؛ يُصدِّق ذلك قـــول الشاعر : « كأن سنامها حشي القبعضا » .

قـــال : فقلت لاصحابه : ترون الجـــواب والشاهد ؛ ان كـــان صحيحا فهـــو عجيب،وان كان اختلق الجـــواب في الحال فهو أعجب .

ومثل هذا مـــا ورد في ابي عمر الزاهد « غلام ثعلب »،فقـــد اشتهر منه انـــه لا يُسأل الآ اجاب،فقد كان كثير الاملاء،عالمـــا بالاخبار واللغة والادب،متَّهمًا بالكذب والتزيّد .

جـــاء في « انباه الرواة » (٥) للقفطي :

« ويروى ان جماعة من اهـــل بغداد اجتازوا على « قنطرة الصراة » وتذاكروا كذبـــه،فقال بعضهم : انا أُصحّف لـــه القنطرة واسأله عنها فانه يجيب بشيء آخـــر ؛ فلما صرنا بين يديه قال : ايها الشيخ مـــا الهرطنق عند العرب ؟ فذكر شيئا قد أُنسيته،فتضاحكنا واتممنا المجلس وانصرفنا . فلما كان بعـــد شهر ذكرنا الحديث فوضعنا رجـــلا غير ذلك نسأله،فقال لـــه : ما الهرطنق؟ فقال : الست قـــد سألت عن هذا المسألة منذ كذا وكذا ؟ فقال : هي كذا.فما درينا مـــن اي الامرين نعجب ؛ من ذكائه ، إن كان علما فهـــو اتساع طريف ، وان كان كذبا في الحال ثم قـــد حفظه ، فلما سئل عنه ذكـــر الوقت والمسألة فاجاب بذلك الجواب فهو اطرف .

ومثل هذه الاخبار كثير في مصادرنا العربيـــة،وهي مفيدة في نظـــر الباحث المدقق . اقول : قد تكون هـــذه الاخبار موضوعة بقصد السمر او النيل من فلان وفلان ممـــن اشتهروا بالعلم ، او قد تكون قـــد حيكت لبيان فضل فلان وفلان وتقدُّمـــه في العلم من الناحية الاخرى . غير انـــي اذهب من كـــل ذلك الى ان شيئا من الوضع في اللغة قـــد حدث،وانه بسبب من ذلك كانت لنا مـــواد ضخمة نجحت في بطـــون المطوّلات .

واني لاعرض لشيء من ذلك اتخـــذ منه نماذج ، وأود ان اقـــول بادىء ذي بـــدء إن هذه المخلفات اللغوية تتناول في الغالب المعاني الخَلْقية الحيّة مما يدخل في بـــاب « خلق الانسان والحيوان » . ثم انهـــا تشتمل على ابنية خاصة نافرة . اقول : نافرة،لانهـــا قليلة الورود في لغتنـــــا القديمة العريقـــة ؛ فهي والحالة هذه قد عفى عليهـــا الزمان في عربيتنا المعاصـــرة .

ويبدو لي ان اولئك النحارير الكبار قـــد اهتدوا الى هذا الوضـــع والافتعال سعيا وراء الغريب والنادر،وولوعا بتلـــك الاوابد النافرة،وحبًّا باظهار العلم والاجتهاد فيـــه . ثم انهم اتخذوا من بعض المـــواد التي تُثبت صحتها واستعمالها اصـــولا،فزادوا في اصواتها صوتا ظنوا انـــه يزيد المعنى قـــوة،فقالوا مثلا : خنبث وخُنابِث،والرجل الخنبث والخُنابِث هو المذموم الخائن . ومن غـــير شك ان هذه الكلمة لـــم ترد في نص قديم منسوب او غـــير منسوب؛والذي اراه انها صُنعت من مـــادة « خبث»، فزادوا في اصواتها النون،والتزموا بنـــاء غريبا من ابنية الرباعي،وذهبوا الى المعنى الذي ارادوه،والـــذي لا يبتعد عن اصل المـــادة الثلاثية كثيرا . ومن المفيد ان انبّـــه الدارس الى ان بناء « فُعالِل »،بضم اولـــه وكسر ما قبل الآخر،من الابنيـــة التي هجرتها العربية الفصيحة منـــذ قرون طويلة بَلْـــهَ عربيتنا المعاصرة .

هـــذا مثل اسوقه لأُخلُص الى تحقيقي الوافي الـــذي اعتمدت فيه على كتاب « الجمهرة » لابـــن دريد (٦) ، واقتصرت منه على ما جـــاء في « ابواب الرباعي الصحيح » من المجلـــد الثالث . ويحسن بي ان اهوِّن على القارىء فاتخذ منهجا واضحا ؛ وهانا ابـــدأ بمعنى « الصلب الشديد » فاعرض لطائفة مـــن الالفاظ التي وقفتُ عليها من هذا المعنى،فاجـــد : العتبل ، والنبتل ، والكنبث والكنابث ، والجلدب ، والعكبل ، والجلبز والجلابز ، والبعثج ، والعضبل ، والشنزب ، والكمتر والكماتر ، والكمتل والكماتل ، والجلعد والجلاعد ، والجلفز والجلافز ، والعردل والعصلد ، والعكلد والعندل ، والصمـــلّ ، والعكلد والعلكد ، وسيطر ، وضبطر ،

وكندث وكنادث وشعثم ، وعردل . ومثل هـذا كثير .

تعليـــق :

اقـول : ان هذه الطائفة من الالفاظ هي قليـل من كثير في معنى « الصلب الشديد » أو « الشديد الصلب » . وقـد وردت على هذا اللون النادر في ابنيتها وفي مكانهـا من اللغة،فلم ترد في اي نصّ كـان،موضوعا او غير موضوع . ثم إنها لـم تلصق بموصوف معروف،فلم اتبين انهـا من صفات ولوازم العاقلين،كما لم اتبين انهـا من لوازم غير العاقل مـن الحيـوان والجمـاد.

غـير ان العارف بالمعجم القديم وأصوات العربيـة **يدرك انصراف الاصوات لمـا** يمكن ان يكون شيئا من معنى حـيّ او ظِلّ **لذلك المعنى . اريـد ان اقول** مثلا إن سلحب وسلهب تشـيران الى « **الطول** ».**قـد نحس هـذا من معرفتنا ان في** « سحب » و « سهب » شيئا **ممـا يُشْعِر بهذا المعنى ؛** وهكذا زاد الوضع وزاد الاستعمال،وكثرت المتحجرات،**وسَمِّها ما شئت مـن** نوادر وغريب وأوابد .

وقـد ترد طائفة من هـذه الالفاظ مشيرة الـى « الصلب » او « الشديد » او « كليهما » او ما في معناهما،الى جانب « رجل » او « اسد » **او « حمار » فتكون كالصفات.ومن هـذا :**

الكندر والكنادر = الحمـار الصلب الشديد .

واسـد عشرّب وغشرّب وعشرّم = غليظ شديد .

وجمل غبنّك = شديـد صلب .

ورجل قنبل وقنابل = غليظ شديـد .

ورجل كنبـل وكنابل = صلب شديد .

تعليـــق :

لا ارى ان كـــان صوت القاف في « قنبل » هـــو الذي غيَّر المعنى من « الصلب » الـــى « الغليظ » ! ذلك انهـــم قالوا : كنبل،صلب شديد .

وقـــد وجدت من ذلك انهـــم قالوا :

عنتـــل = صلب شديد ، امـــا غنتل (بالغين المعجمة) فهي الخامل ! فهل صحيح ان العرب نطقوا بالكلمـــة مبدوءة بالعين المهملة لتعني الصلب الشديد،وبالغين وهـــي نظيرتها وتعني الخامل . انهم لـــم يذكروا اي شاهد على ذلـــك .

ومن المفيـــد ان اشير الى ان « عنتل » ربما يكون قريبـــا من « عتل » التي وردت في قولـــه تعالى،« عتل بعد ذلك زنيـــم » .

ولا بـــد ان اعرض لبقية من هـــذه المعاني الحسية التي تدخل في خلـــق الانسان والحيوان وصفاتهما،ممّـــا ورد يتيما في مطولات اللغة،لم نظفر بـــه في نص ثبتت نسبته،ولـــم يرد في اضعف الاحوال في رجز من الارجاز . وسأعرض لطائفة مـــن الالفاظ التي لم تُعرَف الا عند الرجازين ممـــن يتساهلون في صنع هـــذا اللون من الكلام .

قالـــوا : الجنبخ والجنابخ = العظيم مـــن كل شيء .

الجنبز = القصير ؛ الجعشب = الطويـــل الغليظ .

ومـــن الطريف ان يكون مقلوب « الجعشب » شيئا آخـــر، فقالوا : العشجب = الرجـــل المسترخي . كل هذا من غـــير ان يُشفَع بشاهد يعطي شيئا من الثقـــة .

ومثل هـــذا : الدَنْبُخ = السيء الخلق،في حين الدنحبة = الخيانة . ورجل شرحب = طويل ؛ والجركي = القصـــير المتداخل .

وسحتب = اسم،وهـــو الجريء المقدّم ؛ والكلتب والكلتبة = شبيه بالمداهنـــة .

والبهكنة = السرعة فيما أُخِـــذ فيه من عمل .

والسلحب والسحبل = الطويـــل .

تعليـــــق :

لـــم يغيِّر القلبُ شيئا من المعنى،وسبحل وسبحلة = طويـــل ضخم ، وطويلـــة ضخمـــة .

وقـــد ذكروا في هـــذا رجزا مشهورا هـــو :

سبحلـــــة ربحلـــــه تنمي نمـــاء النخله

وسكتوا عـــن « ربحلة » ولم يقولوا فيها شيئا،ولعلها شيء مـــن « الاتّباع » مثل : شذر مذر ونحوها .

والكنتب والكناتب = القصـــير المتداخل ؛ ورجل خنبث وخنابث = الخائن ؛ وشنبث وشنابث وهـــو الغليظ من الناس ؛ ورجـــل كلبث وكلابث = متقبض بخيل؛ورجـــل حبجر وحباجر = عظيم البطـــن ؛ وربما سمي الغليظ حباجر ؛ ورجـــل جحرب وجحارب = العظيم الخلق ؛ ورجل طرعب = طويـــل قبيح في الطول .

وحبجر وحباجر = ذُكَـــــر الحبارى؛وكذلك حبرج وحبـــارج ؛ والبحرج = ولـــد البقرة الوحشية؛وخبجر وخباجر = المسترخي البطن .

تعليـــــق :

وقد مَـــرَّ بنا ان حبجر وحباجر (بالحاء المهملة) يفيـــد عظيم البطن ، ولا ادري كيـــف تطلق الدلالة .

ورجل جلحب وجلحاب وجلاحب = الشيخ العظيم الجسم وفيـــه بقيـــة ؛ ورجل جحنب وجحانب = القصير الغليظ ؛ والحنجب = اليابس من كل شـــيء ؛ وخلبج وخلابج = المضطرب الخلـــق الطويل . وجنبخ وجنابخ = الطويل الخلق ، والجسرب = العظيم الطويل ؛ والشرجب = الطويل مـــن الناس والخيل .

ورجل جعبر = القصير المتداخل ؛ والجعبر ايضا = القعب الغليظ الذي لم يُحْكَم نحتـــه .

والجرعب = الجافي ؛ والجنبـــز = القصير ؛ والكهدب = الثقيل الوخـــــم .

تعليـــــق :

مـــرَّ بنا ان الجلبز = الصلـــب الشديد !

الجعشب = الطويـــل الغليظ .

ولا بـــد ان نعرف ان مقلوبها مـــع تغيير الضمتين الى فتحتين،وهو المشجب،يفيـــد الرجل المسترخي،ثم زادوا فقالوا : المخبول مـــن جنون ونحـــوه وليس بثبت .

وسأعرض لطائفة مـــن الالفاظ ذكروا انهـــا « ليست بثبت ! »

والهلج اصل بناء قولهم : رجل هلباج وهلباجة وهلابج = الثقيل الوخم.

والحربق = القصير المجتمع ؛ الدنـــج = السيء الخلق ؛ ورجـــل شرحب = طويل ؛ وحضرب مـــن الحضربة = الضيق البخيل ؛ ورجـــل دخبش ودخابش = العظيم البطـــن .

والخضربة = اضطراب المـــاء ؛ ومـــاء خضارب ، وشخارب = الغليظ الشديد ؛ ورجـــل سلخب = مـــدم ؛ وشنخب = طويل ؛ وناقة خدلب = مسنّـــة مسترخية .

والخدلبة = مشية فيهـــا ضعف ؛ والخترية منهـــا اشتقاق الخنزوب والخنزاب = الجريء على الفجور ؛ ورجـــل كنابد (بالدال المهملة) = صلب شديد ؛ ورجـــل كنابذ (بالذال المعجمة) = غليظ الوجه جهـــم ؛ وعرزب = غليظ شديد ؛ وعرزب = صلب شديد . وناقة بلعس ودلعس وبلعك ودلعك،اي المسترخية المتبخبخة اللحـــم .

تعليـــق :

ولا ادري ان كـــان تغيير الضبط بالحركات قـــد ادى الى هـــذا التغيير الطفيف فـــي المعنى .

ورجـــل برشع وبرشـاع = سيء الخلق ؛ القهزب = القصـــير ؛ المصلب = الطويـــل المضطرب؛علبط وعلابط الرجل الغليظ ؛ ولبـــن ملبط وملابط اذا خثر ؛ ورجـــل هبتع وهباتع = قصير ملزز الخلـــق ؛ وجمل غبنّك = شديد صلب ؛ والدهكث = القصير ؛ والدلمث والدلامث = السريع ؛ وبعير دلهث ودلاهث = الجريء في سيره ؛ وكنثر وكنائر = المجتمع الخلق ؛ والحرجل = الرجـــل الطويل ،

وامـــرأة حفضج وحفاضج = عظيمة البطـــن ، وكذلك عفضج ؛ وأتان سمحج = طويلـــة .

والشرجع = الطويل ؛ ورجـــل بلعث وامرأة بلعثة = هـــو الاهوج وهي الرخواء في غلـــظ؛ورجل جنمظ وجنعاظ = هـــو الجافي الغليظ الاحمق ؛ وقالوا : هـــو القصير المجتمع الخلق .

تعليـــق :

لقـــد لاحظت على طائفة من هـــذه الغرائب ابتعادا في الدلالة،وهذا قـــد يعني ان الكلمة قد توحي لاحدهم شيئا في حين انها توحي لآخر شيئا آخر ، وكل ذلك جائز مـــع غياب الشاهد والاستعمـــال .

وعجوز هرشفّة = مسنّة ؛ ويقال : بـــل الهرشفّة خرقة يُنشّـــف بها المـــاء من الارض او من الحسى .

تعليـــق :

وهـــذه الهرشفة نظير سابقتها وهـــي الجنعظ والجنعاظ ، ولا يمكن للدارس ان يطمئن الى هذا الذي ذكر في مطولات اللغـــة من الكلم الغريـــب المهجـــور .

ورجـــل حظبّة وحظبّ = الغليظ .

وقالوا : هجفّ = جافّ وغليظ ؛ والهزفّ = السريع ؛ والخدبّ = مظيم الخلق (للبعـــير) .

ويقـــال : هدبد وعثلط وعجلط وعكلط،وهـــو اللبن الخاثر .

تعليـــق :

وهـــذا من اعجب العجب؛فكيـــف تكون جملة هذه الالفاظ التـــي جاءت على بنـــاء واحد،وكلها بدات بصوت العـــين؛ تؤدي معنى واحدا هـــو اللبن الخاثر !

والهدبد ايضا داء يصيب الانسان في عينه كالعشا فلا يبصر بالليل .

الفـــاظ مـــع شواهدهـــا

وهـــذه الطائفة من الالفاظ ذات شواهد؛والشاهد إمّـــا ان يكون بيتـــا او رجزا غير معروف ولا منسوب ، وإمّـــا ان يكون مثالا مصنوعا على طريقة النحاة في قولهم : قام زيـــد وجلس عمرو .

الجردبة : يقال : رجـــل مجردب الذي يستر يمينـــه بشماله ويأكل ، قـــال الشاعـــر :

اذا ما كنت في قوم شهادى

فـــلا تجعل شمالك جردبانا

واجلعبّ الرجل اذا سقط على وجهه

واجلعبّ الفـــرس اذا مـــرّ سريعا

تعليـــق :

ومـــا ادري كيف اثق بهذين الاستعمالين على البعـــد وما بينهما وافتقارهما الى الكـــلام الاصيل .

ومثل ذلك : ابلندح المكـــان اذا اتّسع ؛ وابلندح الحوض انهـــدم . قـــال الراجـــز :

قـــد داست المركوَّ حتى ابلندحا

البغثر وهـــو الاحمق الضعيف ؛ قـــال الراجز :

ليعلمنَّ البغثر ابـــن البغثر

ومـــن ذلك : زلحب،من قولهم : تزلحب عـــن الشيء اذا زلَّ عنه .

ويقـــال : عثلبت الحوض اذا هدمته،عثلبة وعثلابا ؛ قـــال الراجز :

« والنؤى بعـــد عهده المعثلب »

وقـــال الآخر : « والنؤى امسى جدره معثلبا » .

ومـــن الطريف ان يكون « غثلب »،بالغين المعجمة،شيئا آخـــر ؛ يقال : غثلب المـــاء يغثلبه اذا جرعـــه جرعا شديدا .

خدرب : اسم،ودربخ احسبها سريانية،وهـــو التذلل والاصغاء الى الامر ؛ قـــال المجاج :

ولـــو نقول دربخـــوا لدربخوا لِفَحْلِنـــا ان ســـرَّه التنـــوّخُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليـــق :

سآتي على طائفة مـــن الالفاظ التي ظنوا تَوَهُّمًا وتصوُّرًا انهـــا دخيلة،وربما عرّبت؛وليس شيء مـــن ذلك قائما على ثقـــة وصحة وتأكُّد وانما هو ظن ورجم بالغيب ؛ ثـــم ان المعنى في هذه الكلمة استوحـــاه اللغوي القديم من قـــول الراجز الذي لا يتوقف امـــام القافية،فهو يصنع اللفظة وهي توحي مـــا توحيه ؛ ومثل هذا ما نستشعره كثيرا في الاراجيز، وقد لمحـــوا الى شيء من ذلك .

بخذع وخذعب : يقال ضربـــة بالسيف حتى بخذعه وخذعبـــه .

سربخ : هـــو الفضاء القفر ؛ قال عبيـــد :

فابصرت ثعلبا بعيـــدا ودونـــه سربخ جديـــب

وخطرب وخطارب وهـــو التقول بما لم يكن ؛ جـــاء فلان يخطرب.

تعليـــق :

ولا ادري مـــا العلاقة بين هذا وبـــين قولهم :

الخطربة والحطربة والحظربة تُعني الضيـــق في المعاش ! ومن قال هـــذا،واين،ومتى ؟

خرباش : وقع القوم في خرباش،اي في اختلاط وصخب ، لغة يمانية .

تعليـــق :

لعـــل الباحث يستطيع ان يجمع طائفـــة ضخمة من الالفاظ التي « زعـــم » ابن دريد في « الجمهرة » انها يمانية،وليس مـــن دليل يثبت هذه الاصالة في الموطن القديـــم .

وخبرقت الثوب اي شققته . ومثلـــه الخزلبة ؛ يقال : **خزلبت اللحم او الحبل اي** القطـــع السريع .

تعليـــق :

لعـــل هذا المعنى من لمـــح الثلاثي وهو « خرق » و « خزل »،وقد زيـــد الباء في الفعلين ارادة التكثير او التخصيص ؛ ومثل هـــذا حاصل . ولكني اتساءل هل وُجـــد الفعلان في كلامهم الفصيح المعروف ؟

ومثل هـــذا « بزمخ » اي تكبَّر.ومن غـــير شك ان الثلاثي « زمخ » يفيد هذا،فزيد اليـــاء .

زغدب . قالوا : فـــلان يزغدب على الناس اذا كـــان يلحف في المسالة ؛ هـــذا عن مكوزة الاعرابي .

تعليـــق :

كـــان صاحب الجمهرة « اراد ان يبعد التبعة فذكر هـــذا الاعرابي « مكوزة ؟ » الا يرى الباحـــث ان هؤلاء الاعراب قد اريد لهـــم ان يضعوا ويفتعلوا ويأتوا بالكلام البارد ؟ ومثل هذا ما ذكروا في مادة « بخدق » (٧) :

اخبرنا ابـــو حاتم ، قال : سألت ام الهيثم (الأعرابية) عـــن الحَب الذي يقال بـــه بالفارسية اسفيوش مـــا اسمه بالعربية ؟ فقالت : ارني منه حبّات،فاريتهـــا وانكرت ساعة ثم قالت : هـــذا البخدق؛ولم اسمعه مـــن غيرهـــا .

ولمـــا كان الكلام على الافتعال فلا بـــد ان اورد قصة ام الهيثم هذه :

قال عمر بـــن خالد العثماني : قدمت علينـــا عجوز من بني منقر تسمى ام الهيثم،فغابت علينـــا ، فسأل عنها أبـــو عبيدة فقالوا : انها عليلة ، فقال : هـــل لكم ان نعودها؟فجئنا فاستأذنّا،فقالت : لِجـــوا . فسلمنا عليها،فـــاذا هي عليها اهدام وبجـــد ، وقد طرحتها عليهـــا ؛ فقلنا : يـــا ام الهيثم كيف تجدينك ؟ قالت : كنـــت وحمى بالدكة (الودك) ، فشهدت مادبة فأكلت جبجبة مـــن ضعيف هلمة فاعترتني زلخة . فقلنـــا يـــا ام الهيثم : اي شيء تقولين ؟ فقالـــت أو للناس كلامان ؟ واللـــه ما كلمتكم الا بالعربي الفصيـــح .

وهـــذا الذي زعموا ان ام الهيثم ذكرته لم يقل بـــه غيرها ، وهو ان كان صحيحا والخبر ثابتا فسان من غير شك ان الأعراب شاركـــوا في هذا العمل المفتعل المختلق . وفي مطوّلات العربية مـــادة كثيرة لم تُسمع الا من واحـــد من اللغويين،فقد أُثِر عن اللحياني،من علماء اللغـــة،مسائل كثيرة تَفَرَّد بهـــا فجاءت غريبة عـــن المتوارد المسموع .

ويبـــدو انهم كانوا لا يشكّون كثيرا فيما يقال إنّـــه مسموع عن الاعراب.ذكـــر يونس فيما زعموا انـــه سمع بعض العرب يقولون : ما هذه الكنخبة ؟ يريـــد الكلام المختلط من الخطـــأ (٩) .

ومن هذا الباب الذي استشهدوا عليـــه بالرجز اليتيم قولهم : رجـــل قرشب،اي طويل ، ويقـــال للشيخ اذا عسا وغلظ:« قرشبّ » ، وقـــال ابـــو محمد الفقعسي :

كيف قريت شيخـــك القرشبّا لمـــا اتاك سائلا مخبّـــا

وقالوا : رجـــل شهبر وامراة شهبرة اي مسنّة لـــم تحطمها السن ؛ قـــال الراجـــز :

رُبَّ عجوز من اناس شهبره علمها الانقاض بعـــد القرقره

ويبدو ان الراجز ينصرف في الكلمة حسب الحاجة،فقد قلبت « شهبرة » الى « شهربة » فقـــال الراجز :

ام الحليس العجوز شهربـــه ترضى من اللحم بعظم الرقبه

فصارت من شواهد النحو في مجيء خبـــر المبتدأ محلى بلام الابتداء للتوكيد،خلافـــا للمشهور من مجيء اللام داخلة على خبـــر « ان » .

وقالوا : تبعرص الشيء اذا قُطِع فوقـــع يضطرب . ذكر ابن الكلبي ان الشنفرى لمـــا خرج من البئر قُطِعت يـــده بعد ان ضربه رجل فتبعرصت يـــده وكانت بها شامة فقال :

لا تبعدنْ لا تبعدنْ يـــا شامه ...

وقالوا : زعبل وهـــو اسم،واشتقاقه من قولهم : « صبي زعبلٌ اذا كان سيّيء الغـــداء كادى الشباب . ومن امثالهم،(لا يكلم زعبـــل) .

وقالوا : الصبغطي والضبغطي وهـــي كلمة يفزع بهـــا الصبيان ، قـــال الراجـــز :

وزوجهـــا زونزك زونـــزي يجزع ان فُزّع بالضبغطي

وقالوا : الطلخشة التلطّخ بالشيء ؛ ذكـــر ابو مالك وابو الخطـــاب الاخفش : طلخثَهُ طلخثةً اذا لطّخه بأمـــر يكرهه .

وقالوا : حضجم وحضاجم اي الجافي الغليظ اللحم ؛ قـــال الراجز :

« ليس بمبطان ولا حضاجـــم »

وقالوا : الدعجلة اي الاخـــذ الكثير ؛ قال الاســعـــر الجعفي :

باتت كلاب الحيّ تسنح بيننا ياكلن دعجلة ويشبع من عفا

ثم قالوا : الدعجلة اختلاط الالوان في ثوب او غيره . اين هذا من ذاك ؟
وقالوا : شمرج الرجـــل اذا عمل عملا غير محكـــم .

وقالوا : غمجر المـــاء اذا جرعه جرعـــا شديدا .

وقالوا : افرنجم اللحـــم اذا تشيَّط من أعلا ولـــم يُنْشَوِ .

وقالوا : علهضت القارورة اذا صممت راسهـــا؛هكذا يقول الخليل ؛ قال أبو حاتم؛هذا بنـــاء مستنكر ويقال : عضهلت . ويقال : دحقبـــه اذا دفعه من ورائـــه .

الفـــاظ اخـــرى

وهذه طائفة من الالفاظ منها مصادر تدل علـــى كثرة الكلام واختلاطه، واخرى تدخل على المشي وما يتصل بـــه ، ومنها الفاظ قالوا انها موضوعة وليست بثبت او انهـــم ،

قالوا : جعتب اسم ماخوذ من فعل مُمات ؛ والجعتبة الحرص والشره .

وقالوا : الصعتب،واصـــل الصعتبة مقاربة الخطـــو والخفّة .

وقالوا : عنبث والجمع عنابث،وهـــي شجيرة زعموا وليس بثبـــت .

وقال ابن دريد : السبرجة احسبهـــا دخيلة في العربية من قولهـــم : سبرج على هـــذا الامر اذا عمّـــاه .

وقالوا العشجب اي الرجـــل المسترخي؛وقالوا المخبول مـــن جنون ونحـــوه،وليس بثبت .

وقالوا : الشهجبة اي اختلاط الامـــر .

وقالوا : خرزب ماخوذ من الخرزبة،وهـــو اختلاط الكلام وخطلـــه .

ومثله : هذربة وهذرمـــة،وتعني كثرة الكلام ، امـــا الهزربة فهي الخفّـــة والسرعـــة .

ومثل هـــذا : الهرثمة والحذرمة،وكلّهـــا كثرة الكلام .

وقالوا : الخنبصة (١٠) اي اختلاط الامـــر .

وقالوا : الخطلبة وهي كثرة الكـــلام واختلاطه،ومثلهـــا الهزمجة أي اختـــلاط الصـــوت .

وقالوا : الدربلة وهي ضرب من مشي الانسان فيه ثقل، كقولهم جاء يدربل .

وقالوا : ذدلبت اللقمة اذا ابتلعها وليس بثبت .

وقالوا : البركلة والكربلة،وهي مشي في الطين او خوض في الماء ؛ وكربلت الشيء خلطته بعضه ببعض .

وقال ابن دريد : الرهبلة احسبها ضربا من المشي،وليس بثبت ؛ قالوا : جاء يترهبل اي يمشي مشيا ثقيلا .

وقالوا : ذحلط في كلامه اذا خلط .

وقالوا : الحضرمة اي اللحن في الكلام . والهتمرة اي كثرة الكلام .

وقالوا : الهبرمة،زعموا كثرة الكلام ولا احققه . وقالوا : العذرمة والغذرمة والغذمرة اختلاط الكلام .

وقالوا : زلهب،زعموا انه خفيف اللحية ؛ قال ابن دريد ولا احققه .

وقالوا : الدرقمة العدو الشديد مع فزع،ومثله:القعسبة والكسعبة .

وقالوا : القنطئة وهي العدو بفزع.قال ابن دريد وليس بثبت .

وقالوا : الثخرط والثخروط نبت زعموا وليس بثبت .

وقالوا : تخطع اسم ؛ قال ابن دريد : واحسبه مصنوعا .

وقالوا : عفشج اي ثقيل وخم زعموا ؛ ذكر الخليل انه مصنوع .

وقالوا : عجوز جلقق اي كثيرة اللحم مسترخية ؛ قال ابن دريد : واحسب ان هذا الحرف مصنوع لان الجيم والقاف لم تجتمع الا في احرف معروفة .

وقالوا : الحوكلة ان يمشي ويضع يديه في خصره ويعتمد عليها .

وقالوا : الحركلة والحرقلة ضرب من المشي ؛ والخذعلة والخزعلة والخزرفة وهي ان يمرّ الرجل يخطر .

هـــذا تحقيق في طائفة من الالفاظ الرباعية البنـــاء ، وهي من غير شك من مـــادة الغريب المهجور ؛ وقد كنت اشرت الـــى أن شيئا كثيرا من هذا لا يوحي انـــه ورد في كلام العرب او ان الالسن قـــد لاكته . ومن اجـــل ذلك فهي مخلّفات لغوية لـــم تكتسب الحياة منذ ان وضعت . وقد لمحنا أن اهـــل اللغة قد وقفوا منها موقفـــا خاصا،وإن كانوا قـــد سعوا الى جمعها وضبطها رغم انهم لم يتحققوا الكثير من اصالتها وصوابها.

ان معجمنا القديم لهـــو وعـــاء واسع اشتمل على فوائد جمّـــة ، نستخلصها فتتبين لنـــا عبقرية العربية،وكيف انها ظلت لغـــة الحضارة في العالم المعمور طوال عصور عـــدّة،وما زالت قادرة علـــى مسايرة عصرنا الحاضر بحضارته المعقّـــدة الضخمة . غير ان هـــذا المعجم قد ضَمَّ الى جانب تلـــك الاعلاق النفسية مـــوادّ اخرى صُنعت صناعة وأُختُرِعت اختراعا،فلم يكن لها مـــا حفظ الحياة .. ومن اجـــل ذلك كان على اللغوي في عصرنـــا ان يؤرخ هذه اللغة فيقف علـــى مراحلهـــا ، وكيف استجابت لتلك المراحل الزمنية ازاء الحضارات المتعاقبة ، ثم يعرض لمـــا لفظته القرون ، فانقطعت اخباره وعفت آثـــاره . ومن العجيب أن مؤسساتنا العلميـــة ومجامعنا اللغوية لـــم تحقّق كثيرا من علـــم اللغة التاريخي، فنقيـــم للعربية تاريخا اســـوة بغيرها من اللغات المتقدمة في عصرنـــا هـــذا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) السيوطي ، المزهر ١٣٧/١ ـ ١٣٨ .

(٢) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء (ط دار المعارف) ص ٥٨١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٤) الانباري ، نزهة الالبّاء (ط مكتبة الاندلس ببغداد) ص ٢٢٠ .

(٥) القفطي ، انباه الرواة ١٧٢/٣ .

(٦) ابن دريد ، الجمهرة ٢٩٥/٢ ـ ٣٧٠ .

(٧) اللسان ٣٩/١٢ (ط. دار صادر) مادة بخق ، بخدق . وكذا في الجمهرة (مادة بخدق) .

(٨) القالي ، الامالي ٦٩/٣ ، والمزهر للسيوطي ٥٤٠/٢ . والدكة = الودك ، والجبجبة = الكروش يحفظ فيها اللحم المجفف ، والصفيف = ما صف من اللحم . طعمة = الهلع الجدي .

(٩) الجمهرة ، المجلد الثالث مادة (كنخب) .

(١٠) لعل كلمة « خبصة » في العامية الدارجة العراقية شيء من هذا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول تنمية المهارات القرائية لدى الطلبة في الأردن

للدكتور أمين الكخن

مقدمـــة : ــ

مـــن الملاحظ ان هناك ضعفا ظاهرا في استخدام اللغـــة العربية لدى الطلبة في مراحـــل التعليم المختلفة . ونتيجة لاحساس المربين بهـــذا الضعف اخذوا يوجهون عنايتهم لحصر اسبابه ، ليكون هـــذا نقطة انطلاق لمعالجته . ويمكـــن رد بعض اسباب هـــذا الضعف الى :

قلّـــة الدراسات العلمية في مجال تطويـــر التعليم اللغوي ،

ومزاحمة اللغة الاجنبية للغـــة العربية ،

والنقص في اعـــداد معلمي اللغة العربية وتدريبهم قبل الخدمـــة وفـــي اثنائهـــا ،

وعدم توفير الحوافز لمعلمي اللغـــة العربية ،

وعدم استعمال العديد من معلمي المـــواد الاخرى للُّغة الفصيحة .

والتغيُّر الذي يتـــمّ في مناهج اللغة العربية على اسس غير علمية ،

وقلّـــة التأليف في ادب الاطفـــال والطلبة ،

والثنائية في اللغة (لغـــة الكتاب ولغـــة التخاطب اليومي) ،

وعدم التزام وسائل اتصـــال الجمهور باللغة الفصيحة ؛ وغـــير ذلك مـــن الاسباب .

وتُعَـدّ اللغة اداه لنمـوّ شخصية الفرد ، اذ انها تعينه على القراءة والفهم ، وعلى الاتصال بالتراث وبالمجتمـع ، والتعبير عما يختلج فـي حناياه من مشاعر ؛ كمـا انها اداة لنمو شخصية المجتمـع ؛ فهي تسهم في تحقيق تماسكه ، ووحدة الأمـة ، من خلال وحدة اللغة . ومن أجـل تحقيق كل هـذه الوظائف ،يتطلّب تدريس اللغـة العربية مساعدة الطلبة على اكتساب المهـارات العديدة في مجالات عـدة ، منها : القراءة ، والكتابة ، والقواعـد ، والاملاء ، والتعبير . ويحسن ان تكون هـذه المهارات واضحة في اذهـان المدرّسين لكي يتمكنوا مـن ممارستها على نحـو سليم في اثناء تدريسهم اللغـة العربية .

ومـن الواضح ان القراءة تلعب دورا بالـغ الاهمية فيما يتعلق بنمو الطالب ثقافيا ولغويـا ، فهي تساعد علـى الاتصال بالثقافات المختلفة ـ سواء اكانـت متقدمة ام معاصرة ـ والتفاعل معها ، وتساعد على التعبير بسلامـة ووضوح ، وتعمل على زيـادة الثروة اللغوية ، واتساع دائـرة المعلومات . والقراءة تساعد على نمـوّ مدارك الطالب العقلية ، وارتقاء ذوقـه الادبي والفني ، كما انها تعوّده ألفـة الكتاب وحُـبّ المكتبة . ويمكن الوقوف على أهميـة الدور الذي تلعبه القراءة في عملية التعلم اللغوي بالنظر الـى بعض الاهداف المتوخاة منهـا في المرحلة الثانوية ، وهـي :

زيـادة القدرة على القـراءة الصحيحة بيسر وسرعة ،

والقدرة على فهـم المقروء واستنباط المعلومات منـه ،

وتنمية الميـل الى القراءة الحرة ،

وتشجيع الاقبال عليهـا ،

واستيعاب النصوص الادبيـة وتذوقها ،

والقدرة على التمييز بـين انواعها ومعرفـة خصائصها ،

وتدريب الطلبـة على القراءة النقديـة .

والملاحظ في عـــدد من المدارس ان العناية تُوَجَّه الى بعض المهارات القرائية دون البعض الآخـــر ، وقلّما تتجه العناية الى التدريب علـــى القراءة السريعة مـــع استيعاب المعاني وفهم المـــادة المقروءة والتفاعل معها ، او وصل الطلبـــة بالثقافة الحيّة ، او بالمعاجـــم والمراجع وأمهات الكتب العربية . وقـــد نتج عن هذا عجز بعض الطلبة عـــــن تلخيص معنى مـــا يقراون ، وعن الانطلاق والاسترسال في القـــراءة ، وضعف الاقبال على القراءة الحـــرّة .

ومن هنا رؤي تحديـــد الممارسات التي يُنْتَظر ان تكون مجديـــة في اكساب الطلبة المهـــارات القرائية المتوخاة مـــن منهاج اللغة العربية في المرحلـــة الثانويـــة .

دراســـات سابقـــة :

هنـــاك دراسات تناول كل منها جانبا او اكثر مـــن الجوانب المتعلقة بهذه الدراسة خـــارج الاردن . فلقد اشارت دراســـة سمك (سمك ، ١٩٧٥ ، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤) الى المهـــارات القرائية الملائمة لطلبـــــة المرحلتين ، الاعدادية والثانوية ، وهـــي :

التعرف السليم علـــى الالفاظ واشكال الكلمات ، وتفهُّم معانيها ، وعلى الروابط التي بين الجمـــل والتراكيب والفقرات ،

وادراك المعاني والافكـــار والقدرة على ترتيبهـــا ،

واستخلاص النتائـــج والحقائق من المقروء ونقـــده ،

واستغلال المكتبة واختيار المـــادة المناسبة للقـــراءة ،

وتحديد هـــدف الكاتب ،

وتنمية الثروة اللغويـــة ،

واستخدام المعاجـــم ودوائر المعارف والمراجـــع ،

والقـــراءة السليمـــة ،

ومزاولة القراءة امـــام الآخرين بصوت واضـــح واداء مؤثر .

وجاءت نتائج هذه الدراسة متّفقة مـــع نتائج دراسة قورة (قورة ، ١٩٧٧م ، ص ١٣١) ، ودراسة اخرى للجمبلاطي والتوانسي (الجمبلاطي والتوانسي ، ١٩٧٥ ، ص ٣٨٤ ــ ٣٨٥) .

ومـــن الدراسات التجريبية التي تعرضـــت للمهارات القرائية ، دراسة خاطر وزملائـــه ــ ١٩٧٤ . ومن نتائجها :

أ ــ ان المهارات التي يركـــز عليها المدرسون في تعليم القراءة في المراحل الثـــلاث هـــي :

صحة النطق ، وفهـــم المعاني ، وحفظ الافكار ، وحســـن الاداء ، وكلّ ما يزيـــد في المرحلة الثانوية هو نقـــد المقروء .

ب ــ ان التدريب على مهـــارات التصفّح قليل في المرحلـــة الاعدادية ، ويزداد نسبيا في المرحلـــة الثانوية .

ج ــ ان الاهتمام بالتدريب على استخدام المكتبة وتنمية الميـــل الى القراءة ضئيل في المرحلتين الاعدادية والثانوية . (ندوى النوري ، ١٩٧٦ ، ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤) .

ودراسة آرثر اولسن (Olson, 1970, p. 235) التي مـــن نتائجها ان المعلّمـــات يستخدمن المقررات الدراسية الملائمـــة لمستوى قراءة الطلبة دومـــا ، بينما يستخدمها المعلمون بدرجة اقَـــلّ ، وان اكثر من نصف المعلمات شعرن انهـــن يدرسن المهارات القرائية لموضوعاتهن بكفاية . ولقـــد اجرت جامعة هارفرد ١٩٦٨ دراسة من اجـــل التخطيط لبرنامج يساعد علـــى حيويّة تعليم القراءة . ولقـــد تضمن التخطيط : سرعة الانتهاء مـــن قراءة الكتب المقررة في مجـــال القراءة ، والقراءات الاضافية في المكتبـــة ، ومشروعات بحثية ، وكتابة التقارير حول مـــا يقومون بقراءته ، وقراءة كتـــب القراءة المتممة للكتـــب المقررة والتي تعادل مستواهـــا . (قورة ، ١٩٧٧ ، ١٠٢ ــ ١٠٣) .

ومـــن الجدير بالذكر ان نتائـــج دراسة كل من رووث سترينج (Strange, 1970, pp. 231 - 232) ونيوقولاس (قـــورة ، ١٩٧٧ ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣) تتّفق مـــع دراسة جامعة هارفورد .

ومـــا تَقَدَّم تبدو الحاجة ماسّة الى اجـــراء دراسات تجريبية تتناول المهارات القرائية ، ومـــدى ممارستها من قبل معلمي اللغـــة العربية في اقطار الوطن العربي المختلفـــة .

مشكلـــة الدراســـة :

تحاول هـــذه الدراسة الاجابة عـــن السؤالين التاليين :

١ ــ مـــا هي المهارات القرائية ــ في ضوء المناهج المقـــررة ــ التي يمارسها معلّمـــو اللغة العربية في المرحلـــة الثانوية ؟

٢ ــ هـــل في شدّة الممارسات للمهارات القرائية ــ في مجالَي القـــراءة والنشاط اللغوي-اختـــلاف بسبب التأهيل التربوي ، أو سنـــوات الخبـــرة ، أو الجنس ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امـــا فرضية هـــذه الدراسة فهي :

لا توجد فروق احصائية مهمـــة (٠.٠٥ = ∝) بـــين درجات ممارسات المعلمين للمهـــارات القرائية في مجالي القـــراءة والنشاط اللغوي تُعْزَى الـــى جنس المعلمين ، او عـــدد سنوات خبرتهم فـــي تدريس اللغـــة العربية ، او الـــى تاهيلهم التربوي .

تعريـــف المهارات القرائية : هي الاساسيات اللغويـــة التي يكسبها الطلبة في مجـــال القراءة (جمبلاطي وتوانسي ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٩) .

طريقـــة البحـــث

١ ــ عينـــة الدراســـة :

يتألـــف مجتمـــع الدراسة من ثلاثة عشر قطاعـــا تمثّل مديريات التربية والتعليم المختلفة في الاردن . ولمـــا كان مجتمع الدراسة واسعا ، فلقد أُجْرِيَت هـــذه الدراسة على جميع معلّمي اللغـــة العربية ومعلّماتها في المدارس الثانوية المكتملـــة (الحكومية والخاصة) في أربـــع مناطق تعليمية تَـــمَّ اختيارها عشوائيا ؛ والمناطق المختارة عشوائيا هـــي : مديرية عمان ، الزرقـــاء ، الطفيلة ، والرمثا . وبذلك يشكّل عـــــدد المعلمين المشتركين في الدراســـة ٣٥٪ من عـــدد معلمي اللغة العربية في المدارس الثانوية في الاردن . ومـــا هو جدير بالذكر ان عـــدد معلمي التعليم الثانوية في الاردن ٢٠٩٧ (وزارة التربيـــة والتعليم ، التقريـــر الاحصائي السنوي التربوي ١٩٧٧/٧٦م ، ص ١٩٤) ؛ ويبلغ مدرّســـو اللغة العربية خُمْسَ هـــذا العدد تقريبا . وتتكوّن عينـــة البحث النهائية من ١٤٦ (وبلغ عدد الاستمارات التي تـــمّ جمعها ١٤٩ ، وتـــمّ استبعاد ثلاث استمارات عنـــد التحليل الاحصائي ، لان اجاباتها غير تامـــة) معلّما ومعلمة يدرّسون اللغـــة العربية في سبعين مدرسة ثانوية (تَـــمّ الحصول على هـــذه الاحصائيات من دليل الاحصاءات التربوية للمدارس والمعاهد في المملكة الاردنية الهاشمية لعـــام ١٩٧٨/٧٧م) . وتظهـــر الجداول رقـــم (١) ، (٢) ، (٣) ، علـــى التوالي توزيع المعلمين والمعلمات في عينـــة الدراسة حسب المناطق التعليمية ، وحسب متغيرات الجنس والمؤهل ، وحســـب متغيرات سنوات الخبرة في التعليم والجنس .

جـــدول (١)

توزيع المعلمين والمعلمات في عينة الدراسة حسب المناطق التعليمية

الجنس / المنطقة التعليمية	ذكـــور	انـــاث
عمـــان	٥٨	٣٠
الزرقـــاء	٣١	١٢
الطفيلـــة	٦	٢
الرمثـــا	٦	١

جـــدول (٢)

توزيع المعلمين والمعلمات في عينة الدراسة حسب متغيرات الجنس والمؤهل

المؤهـل / الجنس	جامعـــي	جامعي + دبلوم تربية
ذكـــر	٥٦	٤٥
انثـــى	٣٥	١٠

جـــدول (٣)

توزيع المعلمين والمعلمات في عينة الدراسة حسب متغيرات سنوات الخبرة في التعليـــم والجنس

سنوات الخبـرة / الجنس	١ ــ ٣ سنوات	٤ ــ ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكـــر	١١	٣٨	٥٢
انثـــى	٨	١٧	٢٠

ب ــ اداة البحــث :

أُستُخْدِم للبحث استبيان تـمَّ تصميمه خصيصا لهــذا الامــر ، للتعرف الى المهــارات القرائية التي ينبغي على معلم اللغــة العربية ممارستها في المرحلــة الثانوية . ولقد اعتُمِد في ذلك على ما يلــي :

١ ــ الاطلاع على الدراسات المتعلقــة بموضوع البحث ، والاستئناس بهــا (دراسات سمك ، قورة ، الجمبلاطي والتوانسي ، ابرهيم ، خاطر ، اولسن ، سترينج ، ونيوقولاس) .

٢ ــ تحليل مناهج اللغــة العربية في الاردن ، واشتقاق قائمة بالمهارات القرائية التي يمكــن تطبيقها في اثنــاء تدريس اللغة العربية .

ولقــد تألفت القائمة التي عُرِضَت على اعضاء هيــأة التحكيم من ثلاث وعشرين ممارسة ، أَقَرَّها كلّها . وبنــاء على الاقتراحات التــي قدّمتها غالبية الاعضاء المذكورين ، تمــت اضافة الممارسات التالية : ــ

ــ تدريب الطلاب على تعيين الموضــوع الرئيسي في النص .

ــ اتاحة الفرصة للطــلاب لمناقشة ما يسمعون والحكم عليــه .

ــ اتاحة الفرصة للطــلاب لمناقشة ما يرون والحكم عليــه .

ــ ارشاد الطلبة الذيــن يجدون صعوبة في قراءة الكتاب المقــرر الى كتــب تناسب مستوياتهم القرائية .

ــ تشجيع الطلاب علــى القراءة في المكتبات العامــة .

ــ ارشاد الطلاب الى عمــل ملخّصات .

وهكــذا تكوَّن الاستبيان في صورته النهائية مــن تسع وعشرين ممارسة (صيغت بجمــل تقريرية) ممثِّلة للمهارات القرائية الواجــب على معلــم اللغة العربية القيام بها . ثــم صُنِّفت تلك الممارسات في مجالين : ــ مجال القراءة ، ومجــال النشاط اللغوي . وقد بلغ عــدد ممارسات المجال الاول سبع عشرة ممارسة ، وعــدد ممارسات المجال

الثاني اثنتي عشرة ممارسة . ولقـــد وُضِع أمام كل ممارسة مـــن ممارسات الاستبيان أربعـــة مستويات من الاجابة : « دائما ، غالبـــا ، احيانا ، نادرا » . ثـــم اعتُمِدت طريقة التصحيح على تحديد درجة لكـــل اجابة من هـــذه الاجابات الاربع ، بحيث تحصل اكثرها ايجابية « دائما » على اربع درجات ، وتحصل « غالبا » علـــى ثلاث درجات ، « واحيانا » على درجتين ، « ونادرا » على درجـــة .

والطريقة التي اتُّبِعَت في تعبئة الاستبيانات في المناطق التعليمية التي شملتها الدراسة تمّـــت بواسطة المساعد الفني لمديـــر التربية والتعليم في كل منها ؛ فقد قـــام كل مساعد بتكليف مشرفي اللغـــــة العربية في منطقته توزيع الاستبيانات على معلمي اللغـــة العربية والاشراف علـــى تطبيقها . وفي محافظة عمان قـــام المساعد الفني بتوجيـــه كتاب رسمي الى مديري المدارس الثانوية ومديراتها لاجـــل تعبئة الاستبيان (رقـــم الكتاب : ع/١٤/٣٩/١٤٥٢١ بتاريـــخ ١٨/٥/١٩٧٨م) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج ــ صـــدق الاداة :

أمـــا عن صدق الأداة ، فقد اعتُمِـــد الصدق المنطقي المتمثل فـــي تحديد المهارات القرائية التي ينبغي أن يمارسها معلمـــو اللغة العربية ، وذلك من خـــلال تحليل مناهج اللغـــة العربية ، وفي احكام هيأة التحكيم المؤلفة من عشرين مربّيا ، تـــم اختيارهم على النحو التـــالي :

١ ــ عشرة من اعضاء هيـــأة التدريس في قسم اللغـــة العربية بكلية الآداب بالجامعـــة الاردنيـــة .

٢ ــ جميع خبراء مناهج اللغـــة العربية بوزارة التربية والتعليم (وهـــم ثلاثـــة خبـــراء) .

٣ ــ جميع موجّهي اللغـــة العربية بمنطقتي عمـــان والضواحي (وهـــم سبعـــة موجهـــين) .

ولقـــد طُلِب من كـــل مختص ما يلي :

أ ــ الحكم في مـــا اذا كانت كل ممارسة مـــن الممارسات المتضمَّنة في القائمة منتمية الى مجـــال المهارات في القراءة او النشاط اللغوي .

ب ــ الحكم على المرحلـــة التعليمية التي تناسبها كـــلّ ممارسة مـــــن الممارسات المشار اليهـــا .

ج ــ تعديل صيغة الممارسات التي يظهر انهـــا بحاجة الى تعديـــل .

د ــ اضافة ممارسات جديدة قـــد يقترحها المحكَّمون .

وبنـــاء على تحليل نتائج التحكيم،اختيرت الممارسات علـــى اساس اتفاق اغلبية المحكّمين على كون كـــل ممارسة منتمية الى المهـــارات ، وملائمة للمرحلة الثانوية . وهكذا تـــمّ التوصل الى استبيان مكوَّن مـــن تسع وعشرين ممارسة ، اجمَعَ اغلبُ المحكّمين على انهـــا واجبة التطبيق في اثناء تدريس مـــادة اللغة في المرحلة الثانويـــة .

د ــ ثبـــات الاداة :

حالت ظروف اجـــراء البحث دون امكانية اعـــادة تطبيق الاستبيان مرة ثانية على افـــراد العينة ــ بعد مضيّ فترة زمنية معينة ــ من اجـــل التحقّق من ثباته . ولهذا تـــمّ اللجوء في حساب ثبات القائمة الـــــى طريقـــــة حساب معامل الثبـــــات بمعادلة كرونبـــــاخ (α)

(Chronbach , 1970 , P - 161) وقانون هذه المعادلة بالرموز هـــو :

$$\text{معادلـــة كرونباخ } (\alpha) = \frac{ك}{ك - ١}\left(١ - \frac{\text{مج ع}^{٢}\text{ ف}}{\text{ع}^{٢}\text{ د}}\right)$$

وتعني هذه الرموز ما يلـــي :

(α) = معامـــل الاتساق الداخلي (الثبات) .

ك = عـــدد فقرات الاداة .

مج ع٢ ف = مجموع تبايـــن الاستجابة على كلّ ممارسة .

ع٢ د = تبايـــن درجات المعلمين علـــى الأداة كلّها .

ولقـــد كانت قيمة معامل الثبات بهـــذه الطريقة ٨٦ر٠ . ويُعتبَـــر معامل الثبات هـــذا مناسبا لاغراض البحـــث .

النتـــــائج

مـــن اجـــل اختبار فرضية الدراســة ، حُلّلت المعلومات التي تـــمّ التوصل اليهـــا باستخدام أسلوب تحليـــل التباين الثنائي (٢ x ٢) ، (٣ x ٢) . وقـــد كانت وحدات التحليل عبارة عـــن المهارات في مجال القراءة ، ومجـــال النشاط اللغوي ، وفي المجالين معـــا .

والجدول رقـــم (٤) يمثل نتائج تحليل التبايـــن .

الجدول رقـــم (٤)

تحليل التبايـــن (٢ x ٢) لممارسات المعلمين في مجـــال القراءة علـــى عاملي الجنس والمؤهـــل

مصدر التغير	مجـــموع المربعـــات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنـــس	٢ر٣٧	١	٢ر٣٧	١ر٢٠
المؤهـــل	٢ر٥٨	١	٢ر٥٨	١ر٣١
التفاعـــل (الجنس x المؤهل)	٠ر٦٣	١	٠ر٦٣	٠ر٣٢
الخطـــأ	٢٧٩ر٠٩	١٤٢	١ر٩٧	

يتّضح من نتائـــج التباين الواردة في الجدول رقـــم (٤) ، عـــدم وجـــود فروق احصائية ذات دلالـــة (٠٥ر٠ = ∝) بين درجـــات ممارسات المعلمين في مجال القراءة تُعْزَى الى الجنس او التأهيل التربوي.

وهذا يعني انـــه لا يوجد اختلاف في تصوّرات المعلمـــين للممارسات التي يقومون بهـــا في مجال القراءة في اثنـــاء تدريسهم اللغة العربيـــة بسبب جنسهـــم او تأهيلهم التربوي .

ويبـــين الجدول رقم (٥) نتائـــج تحليل التباين لممارسات المعلمين في مجـــال النشاط اللغوي علـــى عاملي الجنس والمؤهـــل .

الجدول رقـــم (٥)

تحليل التباين (٢ × ٢) لممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي على عاملي الجنس والمؤهل

مصدر التغير	مجـــموع المربعـــات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنـــس	٢ر٤٣	١	٢ر٤٣	١ر٩٤
المؤهـــل	١ر١٢	١	١ر١٢	٠ر٨٩
التفاعـــل (الجنس × المؤهل)	٠ر٢٣	١	٠ر٢٣	٠ر١٨
الخطـــأ	١٧٧ر٤٤	١٤٢	١ر٢٥	

مـــن نتائج التباين الواردة في الجـــدول (٥) يتضح لنا عدم وجود فروق احصائية ذات دلالـــة (٠ر٠٥ = ∝) يبين درجات ممارسات المعلمين في مجـــال النشاط اللغوي تعزى الى الجنس والتأهيل التربوي .

ويُظهِـــر الجدول التالي رقـــم (٦) نتائج تحليل التباين لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين،وكلاهما على عاملي الجنس والمؤهل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقـــم (٦)

تحليل التباين (٢ × ٢) لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ، على عاملي الجنس والمؤهل

مصدر التغير	مجـــموع المربعـــات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنـــس	١٢ر١٦	١	١٢ر١٦	٢ر٢٠
المؤهـــل	٦ر٠١	١	٦ر٠١	١ر٠٨
التفاعـــل (الجنس × المؤهل)	٢ر٢٢	١	٢ر٢٢	٠ر٤٠
الخطـــأ	٧٨٣ر٨٦	١٤٢	٥ر٥٢	

مـــن تحليل التباين الوارد في الجدول رقـــم (٦) يتّضح عدم وجود فروق احصائية ذات دلالـــة (٠ر٠٥ = ∝) بـــين درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائيـــة في مجالَي القراءة والنشاط اللغوي معـــا ، تُعْزَى الـــى الجنس والتاهيل التربوي . وهـــذا ما يدعم صحة فرضية الدراســـــة .

ويبـــيّن الجدول رقم (٧) نتائج تحليل التبايـــن لممارسات المعلمين في مجال القراءة علـــى عاملي الجنس وسنوات الخبـــرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقـــم (٧)

تحليل التباين (٢ x ٢) لممارسات المعلمين في مجال القراءة على عاملَي الجنس وسنوات الخبرة

مصدر التغير	مجـــموع المربعـــات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنـــس	٠ر١	١	٠ر١	٠ر٠٠
سنوات الخبرة	١ر٣٤	٢	٠ر٦٧	٠ر٢٣
التفاعـــل (الجنس x سنوات الخبـــرة)	٨ر١٧	٢	٤ر٠٩	١ر٤١
الخطـــأ	٤٠٣ر٥٣	١٤٠	٢ر٨٨	

يتّضح لنـــا من نتائج تحليل التباين الواردة في الجدول رقـــم (٧) عـــدم وجود فروق احصائية ذات دلالـــة (٠ر٠٥ = ∝) بـــين درجات ممارسات المعلمين في مجـــال القراءة ، تُعْزَى الـــى الجنس او الى سنوات الخبـــرة .

ويُعني هذا انـــه لا يوجد اختلاف في تصورات المعلمـــين للممارسات التي يقومون بهـــا في مجال القراءة ، سواء أكان الممارسون لهـــا من المعلمين أم مـــن المعلمات ، وبغضّ النظر عـــن سنوات خبرتهم في تدريس اللغـــة العربيـــة .

والجدول رقـــم (٨) يبيّن لنـــا نتائج تحليل التباين لممارســـات المعلمين في مجـــال النشاط اللغوي على عاملَي الجنس وسنوات الخبرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقـــم (٨)

تحليل التباين (٣ x ٢) لممارسات المعلمين في مجـــال النشاط اللغوي على عاملَي الجنس وسنوات الخبرة

مصدر التغير	مجـــموع المربعـــات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنـــس	٠ر٤٧	١	٠ر٤٧	٠ر٢٥
سنوات الخبرة	٠ر٤٨	٢	٠ر٢٤	٠ر١٣
التفاعـــل (الجنس x سنوات الخبـــرة)	٣ر٥٨	٢	١ر٧٩	٠ر٩٧
الخطـــأ	٢٥٦ر٠٩	١٤٠	١ر٨٣	

يتّضح لنـــا من نتائج التباين الواردة في الجدول (٨) عـــدم وجود فروق احصائية ذات دلالـــة (٠ر٠٥ = ∝) بـــين درجات ممارسات المعلمين في مجـــال النشاط اللغوي ، تعزى الى الجنس وسنوات الخبرة .

ويُظهر الجدول رقـــم (٩) نتائج تحليل التباين لممارسات المعلمـــين للمهارات القرائية في المجالين ،وكلاهما على عاملَي الجنس وسنوات الخبرة.

الجدول رقـــم (٩)

تحليل التباين (٣ x ٢) لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ، على عامل الجنس وسنوات الخبرة

مصدر التغير	مجـــموع المربعـــات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنـــس	٠ر٤٥	١	٠ر٤٥	٠ر٠٥
سنوات الخبرة	٢ر٠٨	٢	١ر٠٤	٠ر١٣
التفاعـــل (الجنس x سنوات الخبـــرة)	٢٠ر٨٣	٢	١٠ر٤٢	١ر٣٨
الخطـــأ	١٠٥٦ر١٧	١٤٠	٧ر٥٤	

مـــن نتائج التباين الواردة في الجدول (٩) يتّضح لنـــا عدم وجود فروق احصائية ذات دلالـــة (٠,٠٥ = ∝) بـــين درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائيـــة في مجالَي القراءة والنشاط اللغوي معـــا ، تُعْزَى الى الجنس وسنوات الخبـــرة في تعليم اللغة العربية . وفي هـــذه النتيجة مـــا يدعم صحة فرضية الدراســـة .

وتشير الجداول رقم (١٠) ، (١١) ، (١٢) ، (١٣) ، (١٤) ، (١٥) الى متوسطات درجـــات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالات المختلفة ، على عوامـــل الجنس ، والمؤهل ، وسنوات الخبرة .

الجدول رقـــم (١٠)

متوسطات درجـــات ممارسات المعلمين في مجـــال القراءة على عاملي الجنـــس والمؤهـــل

المؤهـــل / الجنـــس	جامعـــي	جامعي ومؤهّل تربويا
ذكـــــر	٣,٢٩	٣,٣٥
انثـــــى	٣,٣٣	٣,٤٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقـــم (١١)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي ، على عاملي الجنس والمؤهل

المؤهـــل / الجنـــس	جامعـــي	جامعي ومؤهّل تربويا
ذكـــــر	٣,١٧	٣,٢١
انثـــــى	٣,٣٠	٣,٣٨

الجدول رقـــم (١٢)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ، على عاملي الجنس والمؤهل

المؤهـــل / الجنـــس	جامعـــــي	جامعي ومؤهّل تربويا
ذكـــــر	٣ر٢٤	٣ر٢٩
انثـــــى	٣ر٣١	٣ر٤٣

الجدول رقـــم (١٣)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين في مجال القراءة ، على عاملي الجنس وسنوات الخبرة

سنوات الخبرة / الجنـــس	١ ـــ ٣ سنوات	٤ ـــ ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكـــــر	٣ر٤٧	٣ر٣٠	٣ر٢٨
انثـــــى	٣ر٢٧	٣ر٤٢	٣ر٣٥

الجدول رقـــم (١٤)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين في مجال النشاط اللفوي على عاملي الجنس وسنوات الخبرة

سنوات الخبرة / الجنـــس	١ ـــ ٣ سنوات	٤ ـــ ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكـــــر	٣ر٢٦	٣ر٢٥	٣ر١٣
انثـــــى	٣ر١٦	٣ر٢٨	٣ر٣٤

الجدول رقـــم (١٥)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ، على عاملي الجنس وسنوات الخبرة

سنوات الخبرة / الجنـــس	١ ــ ٣ سنوات	٤ ــ ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكـــر	٣ر٣٧	٣ر٢٧	٣ر٢١
انثـــى	٣ر٢٢	٣ر٣٦	٣ر٣٤

المتأمـــل لمتوسطات درجـــات الممارسات في الجداول رقم (١٠) ، (١١) ، (١٢) ، يلاحظ وجـــود فروق ملحوظة بـــين متوسطات درجات المعلمات المؤهّلات جامعيـــا والمعلمات المؤهلات تأهيلا تربويا . وأمـــا بالنسبة للمعلمين فـــان الفروق كانت طفيفة ؛ وبالرغم من هـــذا الفرق الملحوظ في متوسطات درجـــات الممارسات ، فان الفرق يبقى دون مستوى الدلالة الاحصائيـــة (٠٥ر٠ = ∝) .

والمتمعن ايضـــا في الجدول رقم (١٣) ، (١٤) ، (١٥) يلاحـــظ وجود زيادة واضحة في متوسطات درجـــات ممارسات المعلمات للمهارات القرائية ، تُعْزَى الـــى سنوات خبرتهن في تدريس اللغـــة العربية ــ ومع أن هذه الفروق كبيرة نسبيا ، فانها تبقى دون مستوى الدلالة الاحصائية .

امـــا الجدولان (١٦ ، ١٧) فيشيران الـــى متوسطات درجـــات ممارسة المعلمين للمهارات القرائية مرتبـــة حسب شدّتها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقـــم (١٦)

متوسطات درجات ممارسة المعلمين في مجال القراءة مرتبة حسب شدتها

الرقـــم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نـــوع الممارســـة	معدل درجة الممارســة
١	٧	مشـاركة الطلاب في استخلاص المفردات والتعابير الجديدة في كل موضوع وشرحها	٣ر٧٩
٢	٥	تدريـــب الطلاب علـــى تعيين العناصر الاساسية في الموضوع .	٣ر٧٥
٣	٤	تدريب الطلاب علـــى تعيين الموضـــوع الرئيسي فـــي النص .	٣ر٦٥
٤	٢٢	ارشاد الطلاب الى تحليل مـــا يقرأون والحكـــم عليـــه .	٣ر٦٢
٤	٢٣	مناقشـة الطلاب في مـــا قراوه .	٣ر٦٢
٦	٢٧	العمـــل على تنميـــة الذوق الادبـــي والاحساس بالجمال لـــدى الطلبة .	٣ر٥٨
٧	١٤	تشجيع الطلاب علـــى القراءة بتوســـع في المـــواد المتّصلة بدراستهم .	٣ر٣٠
٨	٢٦	اتاحة الفرصـــة للطلاب لمناقشـة مـــا يسمعون والحكم عليـــه .	٣ر٢٩
٩	٣	تحديد وقـــت قصير مناسب للقـــراءة الصامتة السريعة لكي يعتاد الطلاب على السرعة مع الفهـــم والاستيعاب .	٣ر٢٧
١٠	٢٤	اتاحة الفرصـــة للطلاب لمناقشـة مـــا يرون والحكم عليـــه .	٣ر٢٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تابع الجدول رقـــم (١٦)

الرقـــم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نـــوع الممارســـة	معدل درجة الممارســة
١١	٢٩	التعرف الى قدرات الطلاب القرائية من خلال الادوات التقويمية المتاحـــة .	٣ر٢٠
١٢	١٣	ارشاد الطـــلاب الى انتقاء المـــــادة الصـالحـــة لقراءتهـــم .	٣ر١٦
١٣	١	القيام بالتمهيد لدراسة الكتاب المقـــرر بمقدمة تتضمن حياة المؤلف ، وموضوع الكتاب ، وطريقة تأليفـــه .	٣ر١٦
١٤	٢٥	تشجيع الطلاب على القراءة بتوسع في المـــواد المتصلة بدراستهم .	٣ر٠٨
١٥	٢	تخصيص بعض الوقـــت لتدريب الطلاب على القـــراءة الصامتة .	٣ر٠٠
١٦	٦	تدريـــب الطلاب على مجـــالات القراءة الجهريـــة المختلفة في الحيـــاة ، كالقاء قصيدة شعرية ، أو توجيـــه موعظة ، او قراءة سورة في الصـــلاة .	٢ر٩٣
١٧	١٧	ارشاد الطلاب الذيـــن يجدون صعوبة في قراءة الكتاب المقرر الى كتب تناسب مستوياتهـــم القرائيـــة .	٢ر٨٠
		المتوســـط الحســـابي	٣ر٣٢

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقـــم (١٧)

متوسطات درجات ممارسة المعلمين في مجال النشاط اللغوي مرتبة حســـب شدتهـــا

الرقـــم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نـــوع الممارســـــة	معدل درجة الممارســـة
١	٢١	تشـجيع الطـــلاب على الجراة الادبيـــة وتنمية قدرتهم علـــى مواجهة الجمهور .	٣ر٧٦
٢	٨	تشجيع الطلاب على استخدام اللغـــة العربية السليمة للتعبير عمـــا يقرأون .	٣ر٧٢
٣	٢٠	تشجيـــع الطلاب علـــى الاشتـــراك بالنشاطات التي تتصل باللغة كالاذاعة المدرسية وصحيفة الحائط ... الـــخ .	٣ر٤٢
٤	١٦	تشجيع الطـــلاب على القراءة الحـــرة الواسعة في اوقـــات فراغهم .	٣ر٣٥
٥	٢٨	مراعاة توافر عنصري الدقـــة والوضوح في الواجبات المدرسية المعطاة للطلاب .	٣ر٣٤
٦	١٨	تشجيع الطلاب على القراءة في المكتبات العامـــــة .	٣ر١٣
٧	١٩	تشجيع الطلاب ذوي المواهب على انتاج الشعر والنثر بصورهما المختلفة .	٣ر١٢
٨	١٠	توضيح كيفية استعمال المعاجم للطلبة .	٣ر٠٠
٨	١٢	ارشـاد الطلاب الى عمـــل الملخصات .	٣ر٠٠
١٠	١١	ارشـاد الطلاب الى طريقة كتابة التقارير او الابحـــاث .	٢ر٩٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تابع الجدول رقـم (١٧)

الرقـم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نـــوع الممارســـة	معدل درجة الممارســة
١١	٩	مساعدة الطلاب في استخدام المكتبـــة	٢ر٩٢
١٢	١٥	توجيه الطلاب لقـــراءة بعض النصوص من أمهات الكتـــب العربية .	٢ر٦٨
المتوســـــط الحســـــابي			٣ر٢٠

ويلاحـــظ من الجدولين رقـــم (١٦) ، (١٧) أن المتوســـــط الحسابي لدرجة ممارســـة المعلمين في مجال القراءة قد بلـــغ (٣ر٣٢) ، بينمـــا كانت ممارساتهم في مجـــال النشاط اللغوي (٣ر٢٠) .

وبالرجوع الى الجدول رقـــم (١٦) يُلاحَظ أن اكثر المهـــارات ممارسة في مجـــال القراءة (مرتبة حسب أهميتهـــا) بالنسبة لافـــراد العينـــة كانـــت :

- المشاركة في استخـــلاص المفردات وشرحهـــا .
- تعيين العناصر الاساسية فـــي الموضوع .
- تعيين الموضوع الرئيسي فـــي النص .
- تحليل ما يُقـــرأ والحكم عليه .
- مناقشة النص المقـــروء .

كمـــا يُلاحَظ أن اقـــلَّ المهارات ممارسة في مجال القراءة مـــــن جانب أفـــراد العينة هـــي : ـــ

- ارشاد الطلاب الذيـــن يجدون صعوبة في قـــراءة الكتاب المقرر الى كتـــب تناسب مستوياتهم القرائية .
- تدريبهم على مجـــالات القراءة الجهرية المختلفة في الحيـــاة .

- تدريبهم على القـــراءة الصـامتة .
- مناقشـة مـــا يرون والحكم عليـــه .
- التمهيـــد لدراسة الكتاب المقـــرر .

ويتبين من الجدول رقـــم (١٧) ان اكثر المهارات ممارسة فـــي مجال النشـاط اللغوي مـــن جانب افراد العينة هـــي :

- تشجيع الطلاب على الجراة الأدبيـــة،وتنمية قدرتهم على مواجهـــة الجمهـــــور .
- استخدام اللغـــة العربية السليمة للتعبير عمـــا يقرأون .
- الاشتراك بالنشاطات التـــي تتصل باللغة ، كالاذاعـــة المدرسيـــة وصحيفـــة الحائـــط .
- القراءة الحـــرة الواسعة في اوقـــات الفراغ .
- توافر عنصر الدقـــة والوضوح في الواجبات المدرسية المعطـــاة .

كمـــا يتبين من الجدول المذكور أن اقـــل المهارات ممارسة في مجال النشـاط اللغـــوي من جانب افراد العينة هـــي :

- توجيه الطلاب الى قراءة بعض النصوص في امهات الكتب العربية .
- مساعدتهم في استخدام المكتبـــة .
- ارشادهم الى طريقة كتابـــة التقارير او الابحـــاث .
- ارشادهم الى كيفية استعمال المعاجـــم .
- ارشادهم الى عمـــل الملخصات .

مناقشة النتائج والتوصيات

ظهر من نتائج هذه الدراسة ان المتوسط الحسابي لدرجة ممارسة المعلمين لمهارات القراءة والنشاط اللغوي كان مرتفعا . ويمكن ردّ ذلك الى :

١ ـ اهتمام المعلمين باللغة العربية لانها لغة القرآن الكريم .

٢ ـ امتزازهم باللغة العربية لانها من اهم مقوّمات الوحدة العربية .

٣ ـ كون مادة اللغة العربية مادة اساسية في مراحل التعليم المختلفة .

٤ ـ حصول معظم معلمي اللغة العربية في المرحلة الثانوية في الاردن على مؤهلات جامعية ، اضافة الى ان قسما منهم يحمل مؤهلا تربويا .

واظهر التحليل الاحصائي ان المتوسط الحسابي لدرجة ممارسة المعلمين في مجال القراءة أعلى منه في مجال النشاط اللغوي . ولعلّ ذلك يرجع الى شعور المعلمين بان اكساب المهارات القرائية للطلبة يأتي في طليعة مهماتهم التعليمية ، في حين انهم ينظرون الى النشاط اللغوي المرافق على انه من المهمات الاضافية . ولهذا بات من الضروري القيام بتوعية معلمي اللغة العربية بأثر هذا النشاط في تقوية المهارات القرائية وتدعيمها .

ولقد ظهر من نتائج تحليل التباين انه لا يوجد في درجة ممارسات المعلمين للمهارات القرائية ـ في مجالي القراءة والنشاط اللغوي ـ اختلاف يُعْزَى الى التأهيل التربوي ، او سنوات الخبرة ، او الجنس . وبالرغم من ان جداول المتوسطات تشير الى وجود فروق ملحوظة بين متوسطات درجات المعلمين المؤهلين تاهيلا تربويا ، والمعلمين

المؤهلين جامعيا ، الا انـــه لا يمكن القول ان هـــذه الفروق جوهرية ، بدلالة ان قيـــم الاحصائي (ف) لم تكن ذات دلالة ، وبذلـــك تكون فرضية الدراسة قـــد تحققت .

وهـــذه النتيجة تشير الى ان المعلمـــين والمعلمات الأقلّ خبرة فـــي مجال تعليم اللغـــة العربية ، او غير المؤهلين تربويـــا ، ينظرون الى المهارات القرائية نظـــرة ايجابية،ويمارسونها بدرجة لا تقـــلّ عن زملائهم وزميلاتهم الاكثر خبـــرة والمؤهلين تربويـــا .

وكشفت الدراسة عـــن ان المعلمين يمارسون بعض المهـــــارات الضرورية في مجـــال القراءة والنشاط اللغوي ، بمعدّل يكـــاد يكـــون فـــوق المتوسط . ومن هـــذه الممارسات :

- تدريب الطلاب علـــى مجالات القراءة الجهريـــة المختلفة في الحياة .
- تدريبهم على القـــراءة الصامتة .
- توجيههم الـــى قراءة النصوص من امهـــات الكتب العربية .
- مساعدتهم في استخدام المكتبـــة .
- ارشادهم الى كيفية استعمال المعاجـــم .
- ارشادهم الى عمـــل الملخصات .

ويمكـــن تفسير هذه النتيجة في ضوء مـــا يُلاحَظ من قلّة اقبال عدد من المعلمين على استخدام المكتبـــات والمعاجم ، وقلّـــة رجوعهم الى أمهات الكتب . يضاف الى هذا ان الكثير منهم لـــم يزوَّد بالخبرات الكافية في ما يتعلق بالممارسات الصفّية الخاصـــة بتدريس المهارات القرائيـــة ، مما يشير الـــى ضرورة توجيه عناية اكبر لإعداد المعلمين قبل الخدمـــة . وتفسَّر كذلك في ضـــوء النقص في متابعة المعلمين في اثنـــاء الخدمـــة ، سواء اكانت هـــذه المتابعة على هيـــأة دورات ، ام زيارات صفية ، أم دروس تطبيقية ، ممـــا يشير الى ضرورة العناية بتنميـــة المعلمين في اثنـــاء الخدمة . ويمكن ردّ جانب مـــن النتيجة المشار اليها الى عـــدم

كفاية كتب اساليب تدريس اللغة العربية ، وعدم تناولها للممارسات التراثية التي ينبغي القيام بها من جانب المعلم ، او الى نقص في الاشراف التربوي وفي الخدمات الاشرافية من قبل ادارة المدرسة ، مما يشير الى ضرورة تكثيف الخدمات الاشرافية من قبل المشرفين التربويين وادارة المدرسة .

والتوصيات المشتقة من نتائج هذه الدراسة هي :

١ ــ ان تُوَفَّر للطلبة مادة تراثية كافية تشوقهم ، وتسدّ حاجات نموّهم ، وتربطهم بالتراث العربي .

٢ ــ ان تُهَيَّأ مواد تراثية اخرى للطلبة الذين لا يجيدون قراءة الكتاب المقرر .

٣ ــ ان يراعَى في حصص القراءة تدريب الطلبة على انواع القراءة المختلفة (الصامتة ، والجهرية ، والسمعية) .

٤ ــ ان يُعْتَنَى في تعليم القراءة باكتساب المهارات والقدرات الفكرية والتذوقية ، وان يُعْمَل على تنميتها تنمية مستمرة .

٥ ــ ان يُدَرَّب الطلبة على تطويع طريقة القراءة للهدف منها ، ولطبيعة المادة المقروءة .

٦ ــ ان تُوَجَّه الجهود الى اجراء دراسات لقياس مدى تمكّن الطلبة من المهارات القرائية في مختلف المراحل التعليمية .

٧ ــ ان يُراعَى الربط بين القراءة والوان النشاط اللغوي المختلفة ، كالاذاعة المدرسية ، والصحافة ، والتمثيل ، واللجان الادبية والدينية في المدرسة .

٨ ــ ان يُعْتَنى بإعداد معلمي اللغة العربية قبل الخدمة .

٩ ــ ان يُعْتَنى بتنمية معلمي اللغة العربية في اثناء الخدمة .

١٠ ــ ان تُكَثَّف الخدمـــات الاشرافية لمعلمي اللغـــــة العربية ، سواء اكانت من قبـــل المشرفين التربويين ، ام من قبـــل المدرس الاول ، ام من قبـــل ادارة المدرسة .

١١ ــ ان تتضمن الكتـــب المتعلقة بتدريس اللغـــة العربية الممارسات التي ينبغي على معلمي اللغـــة العربية ان يقوموا بهـــا في مجال تعليـــم المهارات القرائية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« المراجـــــع »

١ ــ حسين سليمان قورة ، **تعليم اللغـــة العربية** ، دار المعارف بمصر ، القاهـــرة ، ط ٣ ، ١٩٧٧م .

٢ ــ عبـــد العليم ابرهيم ، **الموجّـــه الفني لمدرّسي اللغة العربية** ، دار المعارف بمصر ، القاهـــرة ، ط ٦ ، ١٩٧٢م .

٣ ــ علي الجمبلاطي ، ابو الفتوح التوانسي ، **الاصول الحديثة لتدريس اللغـــة العربية والتربية الدينية** ، مطبعة نهضـــة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٤ ــ د . محمـــد صالح سمك ، **فـــن التدريس للّغة العربية وانطباعاتها المسلكية وانماطها العلمية** ، مكتبـــة الانجلو المصرية ، القاهـــرة ، ١٩٧٥م .

٥ ــ د. محمـــد مصطفى هدارة ، « اهداف تدريس اللغـــة العربية في مراحل التعليم العـــام ووسائل تحقيقها » ، **ندوة خبراء اللغـــة العربيـــة لتطوير وسائل اعـــداد مدرسيها في الوطن العربـــي** ، مطابع جامعـــة الرياض ، الرياض ، ١٩٧٦ ، ص ١ ــ ٧ .

٦ ــ ندوي النوري ، « فروع اللغـــة العربية وطرائق تدريسهـــا » ، **تطوير تعليم اللغـــة العربية** ، اتحـــاد المعلمين العرب ، المؤتمـــر التاســـع ، دار الطباعة الحديثـــة ، الخرطوم ١٩٧٦م ، ص ٢٤٩ ــ ٢٨٥ .

٧ ــ وزارة التربية والتعليـــم ــ قسم الاحصاء ، **دليـــل الاحصاءات التربوية للمدارس والمعاهـــد في المملكة الاردنية الهاشميـــة** ، عـــام ١٩٧٨/٧٧م .

ARCHIVE

٨ ــ وزارة التربية والتعليم ، قســـــم الاحصاء التربوي ، **التقريـــــر الاحصائي السنوي التربـــوي** ، ١٩٧٦/١٩٧٧م .

٩ ــ وزارة التربية والتعليم ــ قســـم المناهج ، **مناهج اللغـــة العربية للمرحلة الثانوية** ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٠م .

١٠ ــ وزارة المعارف ــ ادارة الابحاث والمناهج والمـواد التعليمية ، **منهـــج المرحلة الثانوية العامـــة** ، المطابع الاهليـــة للأوفست ، الريـــاض ، ١٩٧٤م .

11. Anderson, Theodore R. &Zeldithch, moris **J. A Basic Course in Statistics,** Holt, Rinehart and Winston, Inc., New York, 1968.

12. Cronbach, lee J., **Essentials of Psychological Testing, Harper** & Row, Publishers, New York, 1970.

13. Olson, Arthur V., "Attitude of High School Content Area Teachers, Toward the Teaching of Reading", **Teaching Reading Skills in Secondary Schools : Readings,** International Textbook company, Scranton, Pennsylvania, 1970, pp. 235 - 241.

14. Strange, Ruth. "Developing Reading Skills in the Content Areas", **Teaching Reading Skills in Secondary Schools : Readings,** International Textbook Company, scranton, Pennsylvania, 1970, pp. 229 - 234.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثنائية والميزان الصرفي في اللغات العربيّة في الجزيرة العربية (١)

للدكتورة باكزه رفيق خلمي

تتفق آراء اللغويين الذين درسوا قواعد لغات الجزيرة العربية ، في ان الكلمة مطلقا لا يمكن أن تتألف من اقل من صوتين صحيحين في هذه اللغات ، وان معظم الكلمات فيها تتألف في الاصل من ثلاثة أصوات صحيحة (٢) وان الثنائية تنحصر في عدد قليل جدا من الاسماء (٣) لا تزيد على سبع وثلاثين كلمة ، على رأي فريق ، هي في ذاتها أصولها (٤). وانها تنحدر في اصولها من الثلاثية على راي اغلبهم . ولذلك فقد عُدَّت الصيغة الثلاثية للكلمة الصيغةَ القياسية للاشتقاق في جميع هذه اللغات منذ أقدم عصورها التاريخية ، ابتداء من البابلية القديمة حتى اللغات الحية الآن .

كما ان هذه الصيغة أُعتُبِرت من حيث الشكل الجذرَ الدالَّ على المعنى المطلق للكلمة ، وجاءت كلُّ زيادة او تغيير في هذا الجذر عند الاشتقاق والتصريف لاداء دلالات جديدة تضاف الى المعنى المطلق . وبضبط هذا الميزان والقياس عليه تَمكَّن اللغويون العرب من جمع وتصنيف جميع المفردات في اللغة العربية،وتقصّي اصولها،وابراز الزيادات والتغيرات التي تطرأ عليها،والمعاني التي دلّت عليها الزيادات والتغيرات (٥).وبالقياس على العربية تَمكَّن علماء اللغة في اللغات العربية الاخرى،كالعبرية والآرامية،من دراسة لغاتهم ، كما استعان المستشرقون بهذه القياسات العربية الوضع لدراسة اللغات المندثرة، كالبابلية القديمة،والاكدية،والاوغاريتية،واكتشاف الصلات اللغوية بينها وبين العربية . وللميزان الصرفي،بالاضافة الى ما تَقدَّم من

فوائـــد . فائدة كبرى جليلة تفتقر اليهـــا معظم لغات العالم ، هي القدرة على قياس الجديـــد من المفردات عليها،واشتقاق المزيـــد من الصيغ منها، للدلالة على المعاني الجديدة التـــي تتطلبها حاجات الحياة الحضاريـــة الدائمة التطور والنموّ،والتي لم تكن لهـــا دلالات في اصول اللغـــة . وعلى ذلك فضَبْطُ ميزان الكلمـــة والقياس عليه ، يُعَـــدّ من اهم العوامل التي ساعدت اللغـــة العربية على الدوام،والبقـــاء بأصولها وجذورها الاولى، والنمو الدائم والمتطور بالقياس علـــى تلك الاصول والجـــذور ، دون أن يمسّ أصالتها وسلامتها عامـــل من عوامل الضعف والضمور التي تعتري اللغات عادة عبـــر التاريخ،وتقضي على سماتها الاصيلـــة .

ولعل أقـــدم اللغات العربية التي عَرَفت الميزان الصرفي واستخدمته في الاشتقاق والتصريف، هـــي المجموعة الشرقية منها،والتي عُرِفت بالاكدية أو البابلية الاشورية . وعلى الرغـــم من وجود الكثير مـــن المفـــردات الثنائية في لغات (٦) هـــذه المجموعة ، فان الغالب على مفرداتها هـــو الوزن الثلاثي (٧) ؛ ولذلك فقد عَـــدَّ علماء اللغة الذين درســـوا قواعد هذه اللغات الصيغةَ الثلاثية وحدةَ قياسهـــا لتركيب المفردات فيهـــا، واتخذوا من التصنيف العبري المأخـــوذ اساسا من التصنيف العـــربي المبنـــي على اعتبار الصيغة الثلاثية وحـــدة للقياس اساسا لتصنيـــف المفردات فيها ، الأمـــر الذي ادى بالتالي الى اكتشاف العلاقـــات الوثيقة بين العربية وبين هـــذه اللغات،من حيث تركيب المفـــردات واوزانها ودلالاتها ، والذي ادّى بدوره الـــى جمعها في اسرة لغويـــة سُمّيت باللغات السامية تعصُّبـــًا لراي عِرْقي معيّن . وقـــد اقتَرَحْتُ تصويب هـــذا المصطلح،وتسميةَ هـــذه المجموعة التي تكاد تكون العربية فيها ابرزها واوسعها واقدمهـــا تاريخا،باسم « لغـــات الجزيرة العربية العربية » تأكيدا لـــدور العربية البارز في نشأتها واصولهـــا .

ومـــن المؤسف ان الأكديين انفسهم لم يتركوا لنـــا ، او لم نكتشف بعد،دليلا علـــى قيامهم بدراسة صرفية لمفـــردات لغاتهم ، لضبطهـــا وقياسها،ووضع قواعـــد الصرف والاشتقاق وفـــق الموازين التي سارت عليها اللغـــة في النشوء والتطور . ولكـــن دراسة الظواهر اللغويـــة

التي لفتت انظار علماء اللغـــة والمستشرقين الى الصلات اللغوية بـــين نصوص الالواح الطينية التي كُتبت بالخـــط المسماري منذ نحو اربعـــة آلاف سنة ق. م. ولغات الجزيرة العربية الحيّـــة،ولا سيما العربية ، دَلّت على وجـــود تشابه كبير،ليس فقط في المفردات،بـــــل في الصيغ الصرفية واساليب الاشتقاق نفسهـــا؛حيث تبيَّن ان هـــذه المجموعة من اللغات العربية تخضع للميزان الصرفي الثلاثي،في الغالـــب،كالعربية تماما؛ وان الكلمة الاكدية تعتمـــد على الاصوات الصحيحة في بنـــاء الكلمة،وان ابنيـــة الكلمة تكون ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية،ولكـــن الغالب على مفرداتها البنـــاء الثلاثي؛ولذلك اتخذ علماء اللغة هـــذه الصيغة وحدة للقياس عنـــد دراستهم قواعد هـــــذه اللغات (٨).وعلى الرغم من أن الثنائية تُعتَبَر الاصل في بنـــاء المفردات الاولى في اللغـــة ، وان لغات الجزيرة العربية لا تختلف من حيـــث الاسس التي نشأت عليها ، ومـــن حيث القواعد الصوتية التي بموجبها يتـــم تشكيل ابنية الكلمة،عن غيرهـــا من اللغات . وعلى الرغم من وجـــود طائفة كبيرة جـــدا من المفردات الفعلية والاسمية الثنائية ذات الصوتـــين الصحيحين،نحو:(قـــال) و (مـــال) و (سعى) و (دعـــا) (٩) الفعلية،و نحو:(دم) و (عـــم) و (فم) و (هم) الاسمية ؛ ثـــم وجود طائفة أكبر من بنـــات الصحيحين المضعَّفة الثاني (١٠) نحو:(أب) و (أد) و (مج) و (حج) و (مـــد) و (هد) و (فم) و (صف) و (كف) (١١) الـــخ ؛ وهي كلها ثنائية جـــرى عليها بعض التغيُّر الصوتي عنـــد الاسناد أو الاضافة لاسباب صوتيـــة محضة ؛ على الرغم من كـــل ذلك فان الجدل حول الاصول الثنائيـــة للكلمة العربية مـــا زال قائما ، وما زال اللغويون يصرّون علـــى ارجاعها الى الاصل الثلاثي بكثير مـــن التعسّف والخروج عن منطق اللغـــة .

واللغـــة الاكدية (١٢)،التي تُعْتَبَر اقـــدم واول لغـــة مدوَّنة من هذه اللغات،واقربها الى العربية ، تَحفل،بـــل يغلب عليها البنـــاء الثنائي المقطعي للكلمة ؛ ويُعَـــدّ هذا البناء الصورة الاولى لتشكيـــل الوحدات الدالة على المعاني،والتـــي تكوّن الجذر أو النـــواة التي تدلّ على المعنى المطلق في الاصل،ثـــم تتطور من حيث الشكل بالتغيّر الحركي الداخلي،او

بالاضافة اليها لتدلّ على معانٍ جديـــدة تشترك مع الوحدة الاولى فـــي المعنى الكلي،وتتميز عنهـــا بمعنى جزئي خاص (١٣)؛الامـــر الذي يدلّ على ان لغات الجزيرة العربية العربية لا تختلف في شيء،من حيث القواعد العامة التي سارت عليهـــا في تشكيل مفرداتها،عن اللغـــات الاخرى ، الا في التفاصيل الجزئية التي تحـــدّد صفاتها المستقلّة . وكثرة وجـــود الابنية الثنائية للمفردات ذات العلاقـــة المباشرة بالحياة الاجتماعيـــة البدائية،والوثيقة الصلة بشؤون الحيـــاة اليومية،دليل اكيـــد على ان المفردات الاولى للُّغـــة كانت ببساطة شؤون الحياة ذاتهـــا ؛ وتتعلق بالانسان واعضـــاء جسمه:(يد) (فم) (راس) (سن) (كف) (دم) ؛ وذوي قربـــاه:(اب) (ام) (اخ) (خال) (عـــم) (بن ـــ ابن) (بت ـــ بنت) الـــخ ... والاحداث التي ترافق هـــذه الحياة البدائية : قال . قام . نام . كان . راح . جاء . شد . عد . هد . (كل ـــ اكل) (خذ ـــ اخذ)؛والصيغة الثانية تطور لاحق (١٢).ولـــو استعرضنا الابنية الثلاثية وما يزيد عليها،لوجدنا أنهـــا تحمل معاني حضارية تدلّ على الاستقـــرار واتساع الحياة ، واطّرادُهـــا والقياسُ عليها وخضوعُها للنظـــام بتمثّل مرحلة الانتقال من مرحلة التواضع الآني والعفوي علـــى المعنى والشكل للحاجة الى مرحلـــة التفكير والقصد في الصياغة للانتقاء والتأنق . وقـــد احسن العلماء باختيارهم هـــذا البناء وحدة للقياس؛فهـــو كما رأوا الغالب على مفردات اللغـــة العربية المستحضرة التي درسوها ، ويسلم مـــن التغيير والشذوذ،ويسهل القياس عليـــه لاغراض حضارية يتطلبهـــا التطور المستمر للحيـــاة وحاجاتها . الا ان ذلـــك لا يمنعنا من الاعتراف بوجود البنـــاء الثنائي مستقلا عن الثلاثي،وليس منـــه (١٤)؛نشأ في المرحلة البدائية لنشوء اللغـــة،ثم تطور منه ما تطور بالتغير الداخلي او الاضافـــة الى البنـــاء الثلاثي او الرباعي،وليس العكس كما قال علماء اللغـــة القدامى بـــأن الاسم المتمكن والافعال المتصرفة يجب الا تَقِلّ عـــن ثلاثة احرف : حرف يُبتدا بـــه،وحرف يُحشى بـــه،وحرف يوقف عليه (١٥)؛وكما يظهر من قول ابـــن مالك (١٦) من ان غير الثلاثي يغـــيَّر ليوافق الثلاثي في الصيغة ويقبـــل التصريف .

وليس ادنى من ثلاثي يُرى قابِـلَ تصريف سوى ما غُيِّرا

وهـــذا تعسّف لا مبرر لـــه في اخضاع ما لا يَقْبل القياس للقياس . وقد ادى بهم هـــذا التعسف الى اعتبار كـــل ثنائي ثلاثيا في الاصل، يُسقط ثالثه لعلة . والعلة لا علاقة لهـــا بأصل البناء، بـــل بالوظيفة النحوية للكلمة داخـــل العبارة .

يقول الخليل (١٥) : « وقـــد تجيء اسماء لفظُها على حرفين، وتمامها ومعناها على ثلاثة احرف ، مثل : يـــد و دم و فم، وانما ذهب الثالث لعلة انها جاءت سواكن وخلفهـــا السكون ، مثل (بأيد) و (يأدم) في آخـــر الكلمة .. فلما جـــاء التنوين ساكنا اجتمع ساكنان ، فثبت التنوين لانـــه اعراب، وذهب الحـــرف الساكن، فاذا اردت معرفتها فاطلبها في الجمـــع والتصغير كقولهم : ايديهم في الجمع و (يُدَيَّـــة) في التصغير .

وكـــل هذه التعليلات لا علاقة لهـــا مطلقا بأصل البناء، بل انهـــا تغيّرات صوتية محضة تطـــرأ على كل كلمة عنـــد الاضافة والاسناد وتغيير البناء بقصد تغيير الدلالـــة او الوضعية النحوية ، لا مجـــال لشرحها هنـــا فان ذلك يتطلـــب بحثا مستقلا ، آمل ان اقوم بـــه في المستقبل . وآمل ان يقف هنـــا القارىء والباحث ويدقق ويعيـــد النظر في تقييم هـــذه التعليلات، ليجد التعسير واضحـــا في تفسير ظواهر اللغة، لا التيســـير .

ولا بـــد هنا من الدعوة الى ضرورة اعـــادة النظر في قواعد اللغة العربية وفـــق نظريات علم اللغة الحديث، لازالة هـــذا العسر الذي يجابهنا ونحـــن نحاول تيسير اللغة. ولست مـــن القائلين بنبذ آراء القدماء كلية ، فأنـــا من المؤمنين بأن الخليل هـــو اول علماء الاصوات، وواضع اسس هـــذه الدراسة، ولكن ذلك لا يمنع مـــن القول بأن الخليل لم يُصِبْ في كل ما قـــال، وإن منطق التطور العلمي في تفسير اللغـــة يتطلب اعادة النظـــر في كل ما قيل في اللغـــة، كما تَطلَّب ذلك في المعرفة الانسانية بكافّـــة فروعها. ولا بـــد من الاخذ بالمنطق العلمي الحديـــث في تفسير الظواهر اللغويـــة، معتمدين على التجربة والاختبار والمقارنـــة

للتأكد من صحة تلـــك التعليلات او بطلانها،والا اقتصرت معرفتنا باللغة على التلقين والحفظ ، وكان علمنا بهـــا ينتهي بانتهاء الدراسة المدرسيـــة التقليدية،وهـــذا اسوأ واخطر اساليب التعلّـــم والحصول على المعرفة .

يكفي ان اشير الـــى التغيّرات الصوتية التي تصيب الابنيـــة الثنائية، اسميةً او فعليـــةً،وخروجها بذلك عن القياس الـــذي اقحمها فيه علماء اللغة اقحاما لضبطها ، لأدلّ على بدائيـــة هذه المفردات،وتعذّر حصرهـــا في القياس.وهذا أمـــر بديهي،ليس فقط في اللغـــة العربية،بل في جميع اللغات العربية،فانها مـــن مدخرات النشأة الاولى للّغـــة،اي انها من عهـــد ما قبل التنبُّه الى الاخـــذ بالقياس . ولنقرّر بأن هذه المفـــردات يجب أن تعالَج معالجة خاصة وفـــق منطق الواقع،واعتبارها مـــن التراث اللغوي الدالّ على قِـــدَم تاريخها،ومدى التطـــوّر الذي أصابها، والنمو العظيم الـــذي بلغته . امـــا الحكم بأنها كلّها كانت قد جاءت وفق صيغة قياسية ثابتة،وانهـــا اصيبت بعلّة ذهبت بعجزها،فأَمْـــرٌ اقرب الى الصناعة منـــه الى السليقة والطبيعة،واللغـــةُ ظاهرة تُرافِق المجتمع في نشوئه ونمـــوّه وتطوره ؛ لم تُصْنَع مسبقا وفـــق مقاييس موضوعة اصابها الاختلال بحكـــم التطور،بل العكس هـــو الصحيح .

ثـــم ان القصد من الميـــزان الصرفي والقياس عليه ليس هـــو بالتأكيد اخضاع جميـــع مفردات اللغة لـــه ، بل انه وسيلة من وسائل الكشف عن خفايا اللغـــة واسرارها،لتمييز اصناف المفـــردات،وليس لتصنيـــع الاصـــول .

وهنا لا بـــد من الاشارة الـــى اختلاف العلماء القدامى عـــن المحدثين في تقييم الاصوات المعروفـــة بأصوات الحركة الآن (١٧)،والتي تقابل مجموعة الاصـــوات المعروفة عند القدماء بحروف المـــدّ والعلة والحركات جميعا (١٨) ، اي ما يسمى في اللغات الاوروبية بـ Vowels .

واذا كانت الاصوات الصحيحة تقـــوم بإعداد الهيكل أو البنـــاء الاساسي للكلمة،وتؤدي المعاني المطلقة لهـــا،فان أصوات الحركة تقـــوم بإعداد الاوجه المتعددة لجزئيات ذلـــك المعنى ومشتقاته . وعلى ذلـــك فان

صياغة الابنيـــة المختلفة للمعاني المتفرعة مـــن المعنى المطلق تعتمد في معظم الاحوال على اصوات الحركة هـــذه (١٨).ولذلك فقد عنيت الدراسات الحديثة عناية فائقة بتحديد هـــذه الاصوات وتصنيفها،وبحث آثارهـــا في التشكيل اللغوي . ولـــم يهمل اللغويون العرب هذا الجانب ، بـــل اشبعوه بحثا؛ولكـــنّ دراساتهم لهذه الاصوات جـــاءت ضعيفة مرتبكة، ولم تصل الى درجـــة اقناع الباحث الحديث بالاكتفاء بهـــا (١٩).ولذلك اسباب،قد يكون اهمهـــا ، اقتصار العلماء في هـــذه الابحاث على الدراسة النظرية،وانعدام وسائـــل الاختبار الآلية الحديثة التي حقّقت نتائـــج مذهلة في علـــم الاصوات اللغوية ؛ وهـــو العلم الذي كَشَف لنا عـــن ان دراسة اللغـــة لا يمكن ان تتمّ بصورة صحيحة ودقيقة الا من خـــلال دراسة الاصوات اللغوية علميًّـــا،وبالوسائل المختبرية التـــي استُنْبِطت لمثل هذه الدراسات؛فأساس اللغة هـــو التشكيلات الصوتية . وقـــد كان الخليل بن احمد من أوائل علمـــاء العالم في القرن الثاني الهجري (٢٠)، بل اول من تنبّـــه الى دَور الصوت في نشوء اللغـــة،ودَرَس الاصوات ومخارجها،كما هـــو معروف،في كتابه العين (١٧).ولكنها كما قلنـــا دراسة نظرية اعتمد فيهـــا الخليل على اجتهاده وتعليلاته،وما بين يديـــه من معرفة سابقة بهـــذا الشأن . واذا كنّا نحكم بأن علـــم الخليل،او ما في العين والكتب الاخـــرى التي دونت بعده،كـــان كاملا او متكاملا، فاننا نحكم على المعرفـــة البشرية بالجمود والتوقف.والعلمُ باللغـــة واسرارها عِلْمٌ نامٍ،واللغة ترافـــق الانسان،والانسان في تغيّر دائم،ووسائل الكشـــف عن الحقائق تزيـــد وتدقّ،وما كنا نعتقد فيه نهايـــة المعرفة وغايتها بالامس، اصبح اليوم من المعرفـــة السطحية.والخليل لم يكن الا واحـــدا مـــن الباحثين العباقرة،ولكنه انتهى الى جـــزء من المعرفة ووقف،ولا بـــد من الاستمرار والتقدم والكشف الجديـــد ، والا لاصبحنا نسخا مكررة بـــلا حياة لمـــن مضى .

اذن فالبـــدء من حيث انتهى الخليل وغيره من العلماء،واعـــادة النظر فيما قدموه،وتصويب البعض وفـــق الرؤية الحديثة لعلم اللغـــة ودراستها،امر لا بـــد منه.واول ما يلفت نظر الباحث الحديث هـــو

الارتباك الذي حصل في تفسير الظواهر اللغوية لدى العلماء العرب، بسبب ما وقعوا فيه من الوهم في دراساتهم للأصوات اللغوية،ولا سيما اصوات الحركة (٢١)،واول وهم كبير وقعوا فيه،وكان سببا لكثير من التعليلات الخاطئة،هو اعتبار اصوات الحركة ساكنة (٢١)،والاصل في هذه الاصوات انها حركات تساعد على انطلاق الاصوات الحبيسة من مخارجها،فالصوت الساكن في الحقيقة هو الصوت الحبيس ذو المخرج ؛ وحروف المد في مثل الكلمات : عالم وكاتب وعليم وحكيم وخجول وصبور ، حركات طويلة تطلق الحبيسات التي قبلها . واذا وردت اصوات مشابهة لها في بدء الكلمة،نحو:(ولد) و (يد) و (امل) فانها اصوات حبيسة،حركتها الفتحة واطلقتها . ولعل السبب في هذا الارتباك هو الرموز الكتابية نفسها.ولا بد لنا هنا من وقفة قصيرة عندها لنكشف عن بعض هذا الغموض .

دلّت الدراسات الحديثة للّغات العربية وتاريخها،على ان الالفباء العربية مشتقة اصلا من ابجدية عربية قديمة،هي الابجدية الكنعانية : ابجد . هُوَّز . حطّي . كلمن . سعفص . قرشت (٢١)،ولسنا هنا بصدد الاشارة الى الاصوات الصحيحة،فقد خلصت من تعقيدات التقييم والرسم . بل ان ما يعنينا الآن هو الاصوات الحركية فيها الممثلة بـ (ا) ابجد،و (ياء) حطي و (و) هوّز فقط . والباحث المدقّق يجد ان الاصوات اللغوية هنا تذكر داخل تشكيلات قد تساعد على تعيين كل صوت عند النطق،فالف ابجد و واو هوز هنا يرمزان الى اصوات صحيحة تشترك في بناء الكلمة . فالاهتمام عند نشوء الكتابة الابجدية كان منصبًّا على الاصوات التي تشكّل البناء،اي الاصوات الصحيحة،اما اصوات الحركة فلم تكن موضع دراسة او اهتمام اول الامر مطلقا . واذن فالقيمة الصوتية لهذه الرموز هي كقيمة الاصوات الصحيحة الاخرى،ولا تختلف . ولكن عندما بدىء بالتدوين الواسع وقُصِد الضبط الصحيح لشكل الكلمة لحفظ سلامة النطق عند القراءة،شعر الكُتّاب

بضرورة ايجاد رموز تحقق هـذا القصد،وكان ان استخدمت اول الامـر هذه الرموز للدلالة علـى الحركات الطويلة،والنهايات الإعرابية التي قـد يؤدي اهمالها الى الخطـأ . وقد سبق ان فعلت البابلية القديمة والاكدية والعربية الجنوبية والاوغاريتية ذلـك؛فالنماذج اللغوية في هذه اللغـات تؤكد استعمالها في مواضـع الحركات الطويلة والنهايات الاعرابية (٢٢)؛ فكل المفردات البابلية والاكديـة تنتهي بأصوات حركية لتدل علـى وظائفها النحوية في العبـارة؛وهي تشابه الحركات الاعرابية في اللغـة العربية تماما؛فالواو للرفـع،والالف للفتح،والياء للكسر.والملاحـظ ان الإعراب في اللغات الاكدية يظهر حتى في الضمائـر المنفصلة،اذ تتغـير نهاياتها الحركية حسـب مواقعها في الجملة؛فتكون مرفوعة بالـواو، ومفتوحة بالالف ومجرورة بالياء (٢٣) . ولكـنَّ هناك فرقا واضحا بـين رموز الكتابة المسمارية والابجديـة الكنعانية ؛ فالخط المسماري الاكدي مشتقّ من الخـط المسماري السومري،الذي يدل الرمز فيه علـى المقطع المؤلف من صوت صحيح مـع الحركة التي ترافقه.فاللغـة السومرية اعتمدت الاسـاس المقطعي في تمثيل الصوت،وهو مقارب للنظرة الحديثة الـى الاصوات اللغوية،الى حـد ما،التي تدعو الى الكتابة الصوتية، ومعنى ذلك تمثيل كـل صوت،سواء اكان صحيحا ام حركـة،برمز،وكما هو حاصل في اللغـات الاوروبية بصورة عامة . أمـا الابجدية الكنعانية فقد اقتصرت،كما قلنـا،على رموز الاصوات الصحيحة؛وهـذا هو سبب الارتباك الذي وقـع فيه العلماء العرب عند بـدء التدوين،ومحاولـة الانتقال بالابجدية الكنعانية الى مرحلـة من التطور يستطاع فيها كتابـة اللغة العربية كتابة صحيحة،تتمثل فيها كـل الاصوات الحركية الضرورية لسلامة النطق وحفظ الصيغ من الخطـأ . ولكن الابجدية كانت قـد استقرّت بعد محاولات متعددة لتطوير بعض رمـوز الاصوات الصحيحة، للتعويض عن رمـوز الاصوات التي كانت تفتقر اليهـا الابجدية الكنعانية، واستُخدِم التنقيط لهـذا الغرض (٢٤)،وارتفع بذلك عـدد الاصوات الصحيحة الـى ثمانية وعشرين رمزا بدلا من اثنين وعشرين،واستُخدِمت الرموز (ا) و (و) و (ى) الصحيحة لرسـم الاصوات الحركية الطويلة

في نهاية المفردات الفعلية والاسمية،في الحالات التي استقرت عليها فيما بعد قواعد استخدامها للوظائف النحوية،كما كانت تستخدم سابقا في اللهجات الكنعانية القديمة (٢٥) وفي الصيغ التي تكون حركة فائها صوتا طويلا،نحو :(قال) و (مال) و (جيد) و (زير) . وقد مرت الكتابة العربية قبل الاستقرار على هذا الوضع بعدد من المراحل، لو رجعنا الى القرآن الكريم لاكتشفناها:« وقُتلوا في سبيل الله » (٢٦) . « ولٰكنّ اكثر الناس لا يشكرون » (٢٧) « فيضٰعفه له اضعافا » (٢٨) « وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ءال موسى وءال هرون تحمله المٰلئكة » (٢٩) « بل الله مولٰكم وهو خير الناصرين » (٣٠) و « اذ تصعدون ولا تلون على احد والرسول يدعوكم في اخرٰكم فأثٰبكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم »(٣١) « وءاتوا اليتٰمى اموالهم » (٣٢) و « ان خفتم الا تقسطوا في اليتٰمى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلٰث وربٰع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمٰنكم ذلك ادنى الا تعدلوا » (٣٣)،ولو راجعنا القرآن الكريم كله لوجدنا الرسم القرآني يشير الى تاريخ الكتابة العربية،وهو فترة محاولة تطوير الابجدية الكنعانية وسق اصوات اللغة العربية في مرحلتها الثالثة،اي مرحلة استقرارها لغة مستقلة انفردت بخصائص حضارية تقدمت بها على اخواتها وخلفتها وراءها ، ثم وصلت الى ما وصلت اليه من الاتساع والازدهار بفضل العناية بلغة القرآن،ورغبة في صيانتها وحفظها في اوضح صورة واكمل وجه .

ولما وجد العلماء العرب ان الرموز الثلاثة المذكورة،والتي استُخدِمَت لعملين مزدوجين هما:قيامها بدور احرف البناء عند وجودها في صدر الكلمة،ودور أصوات الحركة الطويلة التي تقوم باضفاء المعاني الجديدة على البناء،لا تكفي للدلالة على كل ما لاصوات الحركة من صفات وخواص،فقد تكون هذه الاصوات طويلة او قصيرة أو منفتحة او مغلقة ، كما تُستَخْدَم لوظائف نحوية (الاعراب) بالاضافة الى وظائفها الصرفية ، عمدوا الى ايجاد رموز تضاف الى رسم رموز الاصوات الصحيحة حسب احوالها الصرفية والنحوية،ولا تغيّر

في شكل الرموز انفسها،لانهـــا عارضة تتغيّر بتغيُّر الوظيفة الصرفية او النحوية ؛ ووجدوا ان هنـــاك تشابها بين الاصوات الصحيحة التـــي ذكرناها سابقا وهي:(أ) (ابجد) و (واو) (هوز) و (ياء) (حطي) في الصفات ،وهذه الاصوات الحركيّة التي تلاحظ بعد نطق كل صوت صحيح في بنـــاء الكلمة،ووجد ان الصوت الحركي الـــذي يرافق اصوات الكلمة (كَتَبَ)،مثلا،وهي الحركـــة القصيرة على الكاف والتاء والباء،يشبـــه صوت المـــد الذي مُثّل لـــه بالف ابجد،فسُمّي بفتحة،واُتّخِذ من رســـم مصغر للألف رمز لـــه . وهكذا اتُّخذ مـــن رسم مصغر للواو رمـــز للضمة ومن رســـم مصغر للياء رسم للكسرة . وتـــم بذلك تمثيل اصوات الحركة الطويلـــة بالاصل الصحيح،وبرسم مصغّر لهـــذا الاصل للحركة القصيرة . وبقيت بعض الاصـــوات الحركية التي لا تَـــرِدُ الا قليلا في الفصحى وتكثر في اللهجـــات الكلامية دون رمـــوز،كصوت الامالة والاشمام (٢٤) وبعض الاصوات المركّبـــة (٢٤) .

يبـــدو واضحا مما تقدم ان هناك نقصـــا في تمثيل اصوات الحركة في الرسم العربي،وان هذا النقص كان اكبـــر واوسع في بـــدء الدراسات اللغوية العربية؛فقـــد تطورت الكتابة العربية،كمـــا يلاحَظ من الرســـم القرآني،حتى وصلت الـــى الرسم الحديث تطوُّرًا ملحوظا ؛ وهنا لا بـــد من ذكر امـــر مهمّ جدا،وهو ان الدراسة اللغوية العربيـــة بدات بدراسة اللغة المدوّنة،واقتصرت علـــى العربية فقط،دون ملاحظة اللغـــات العربية الاخرى التي اشتركت في الاصول مـــع اللغة العربية،واستقلّت عنهـــا، وخضعت لعوامل غـــير العوامل التي خضعت لهـــا العربية القـــرآنية، فتغير وتطور فيها مـــا تغير وتطور،ثم عادت فاشتبكت مـــع العربية من جديـــد من حيث الرســـم الكتابي والاصول اللغوية باشكالهـــا المستقلة المتطورة.وان عمليـــة الانفصال والالتئام هـــذه غيرت وطورت الكثير من هـــذه اللغات،وان الدراسة المقارنة لا بـــد منها لتقرير حقائق تطور اللغة . كما ان اللغات الكلامية لـــم تَحْظَ بالدرس الا بقدر مـــا اخـــذ من اللهجات التي عدها علماء اللغـــة من الفصيحة ، بالاضافة الى

نقص في وسائل البحث اللغوي والتجريبي . كل ذلك ادى الى وقوع العلماء في كثير من اللبس والغموض في تعليلاتهم الصرفية والنحوية (٢٥)، فقد كانت التعليلات مستنبطة من الصورة المرسومة لا الاصل المنطوق .

ان هذا النقص في وسائل البحث اللغوي، من نقص في الرسم الكتابي الى نقص في التجربة والاختبار، ادى كما نرى الى ارتباك في التحليل، فقد ميّز علماء اللغة الابنية اللغوية وحددوا اسس قيامها، وهي انها لا تُبْنَى الا من الاصوات الصحيحة. وهذه حقيقة اكدتها الدراسات الحديثة. ثم عادوا، لمّا وجدوا ابنية لا يشترك فيها الا صوتان صحيحان، فرفضوا ما قالوا او رجعوا عنه، فعدّوا الصوت الحركي منقلبا عن اصل صحيح مماثل، وحاولوا تطبيق قواعد تصريف الثلاثي عليه، فوجدوه شاذا ولا يقبل هذا القياس الا بعد تمنّت وعناء؛ فحاروا في تعليل ذلك ووقعوا في كثير من التوهم (٢٦) .

وسنحاول الكشف عن بعض اسرار الصيغ الثنائية والثلاثية بدراسة مقارنة في اللغات الاكدية والعبرية والعربية، لعلّنا نستطيع القاء بعض الضوء على ما غمض منها في الصفحات القادمة .

ولما كانت العربية تمثل اقدم واوسع لغات الجزيرة العربية العربية ، وتظهر فيها كل الصيغ الصرفية التي تحتملها ابنية الكلمة في هذه اللغات مع كافة الاشتقاقات الممكنة ، فاننا سنتخذ من صيغ الثنائية والثلاثية ، وهما اقدم بنائين للكلمة فيها ، اساسا للمقارنة بينهما وبين ابنية الكلمة في اللغات الاخرى من هذه الاسرة .

واذا استثنينا الثنائية التي ما زالت موضع جدل بين العلماء (٢٧)، والتي سنحاول اثبات اصالتها وقدمها ، فان الثلاثية هي الصيغة المشتركة بلا جدل (٢٨) بين هذه اللغات ، والمجردة من الزيادة، على رأي من يقول بانها اصل الثنائيات (٢٩)، او اصل الصيغ جميعا على رأي آخر (٤٠) . اما الصيغ الرباعية والخماسية فانها، وفق منطق اللغة، متأخرة جاءت الزيادات فيها نتيجة تطور الثنائيات او الثلاثيات

في اغلب الاحوال «٤١»،ولذلـــك فاننا لا نستطيع الاعتماد عليهـــا في الدراسات المقارنـــة الا قليلا ؛ كما انها قليلة العـــدد اذا قورنت بالثنائيات والثلاثيات في جميع لغات هذه الأسرة ، وتقتصر على ابنيـــة دون اخرى ؛ اذ ليس في العربيـــة فِعلٌ مجرد يُبْنَى على اكثر من اربعـــة اصوات،ولا اسم مجرد على اكثر مـــن خمسة اصوات . وامثلة هـــذه الابنية قليلة تُعَـــدّ على الاصابع «٤٢» .

ولـــو اجرينا دراسة دقيقة للمفردات وابنيتها في اللغـــة العربية وفي لغات الجزيـــرة العربية الاخرى ، لوجدنـــا ان بالامكان ارجاع معظم مفردات هـــذه اللغات الى البناء الثنائي ؛ وهـــو ابسط صورة لبنـــاء الكلمة،ليس فقط في لغـــات الجزيرة العربية،بـــل في جميع اللغات ؛ فالوحدات اللغوية الوحيدة المقطـــع Monosyllabic ربما كانت هي الاصول الاولى التي نشأت منهـــا وتطورت الوحدات المتعـــددة المقاطع «٤٣»،إمّـــا بتغيير الحركات الداخلية،وإمّـــا باضافة مقاطع خارجية الى صدورها او احشائهـــا او اعجازها،كما في نحـــو:ضَرَبَ . ضَرْب . و كَتَبَ . كُتِبَ،بالتغيير . و يكتب و تكتب ونكتب،باضافة صدر،و كتبت و كتبنا، باضافة عجـــز ، ويُكْتَبُ و يُكْتَبُ،باضافة حشو . ولـــم يَفُتْ العلماء العرب ما يجري على الابنيـــة الاصول من تغيرات شكلية يُقصَد بهـــا تغيير الدلالة؛بـــل لا اكون مغالية اذ قلت بأن علمـــاء النحو واللغة العرب فاقوا جميع علماء اللغـــة في استقصاء اصول الكلمة،ومـــا يجري عليها من تغيير،ومـــا يعتريها من تطـــور بالاعلال والابدال والقلب والحـــذف والادغام «٤٤».ولـــو اجرينا مقارنة بين مـــا توصل اليه العرب من نتائج مذهلـــة في ابواب التصريف والاشتقاق في اللغـــة العربية،وما تـــم في اللغات الاخرى من ابحـــاث مماثلة،لوجدنا الاخيرة هزيلـــة لا تغني ولا تسمن الى جانب مـــا كُتِب وصُنّف وأُلّف من مؤلفات في الاشتقـــاق والتصريف في العربيـــة.واذا كان حرص العلمـــاء وجهدهم المضني في البحث والاستقصاء هـــو السبب الاول لكل هـــذا الانتاج الغزير ، فان سعة اللغـــة نفسها والقواعد الدقيقة المحيرة للعقـــل التي سارت عليها والتزمت بها،هـــو السبب المباشر الذي اثار العلماء وحفزهم علـــى

التعمق في البحث والغوص وراء اسرارهـــا . ولا ينتقص من هـــذا العلم وهؤلاء العلماء ان بعض مـــا توصلوا اليها من نتائـــج يُعْوِزُها الدقّـــة المبنية على الاختبار والمقارنـــة،وبحاجة الى إعادة النظر فيهـــا وفـــق اسس علميـــة ساعدت الوسائل العلمية الحديثة علـــى اكتشافها . فالخليل،وهـــو اول من درس الاصوات ومخارجها،لـــم يكن يملك من وسائل الاختبار الا فكـــره وتجربته الذاتية في نطق الحروف،ثـــم تحديد مواقعها في جهاز النطق (٤٥)؛وعلى الرغم مـــن ذلك فقد أصاب في الكثير من النتائج التـــي توصل اليها . ولو توافرت لـــه وسائل الاختبار الحديثة، وعرف ما بين اللغات مـــن صِلات،وما يجري عليها من تطورات عبـــر الزمان،اذن لكانت نتائجه ادق بكثير مما هي،بل ربما كانت الغاية في الدقة .

وقـــد قال الخليل:« كلام العرب مبني على أربعـــة اصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي » .

وأصاب في ذكـــر الثنائي بأنه البناء الذي يتألف من صوتين صحيحين؛ وذكر لذلك الامثلة:« قد . هل . لـــو . بل ».ولكنه لم يُصِبْ إذ حـــدّد هذه بأنها تكون في حـــروف المعاني فقط ، أما الاسم والفعل فـــلا يردان على اقل من ثلاثة؛ونعاته ان الكلمات الاسمية :(أب . أم . اخ . غم . فم) لا تختلف مـــن حيث البناء وعدد الاصوات الصحيحة عن بنـــاء الامثلة التي ذكرها . واساس البنـــاء كما حدد هو الصوت الصحيح ؛ وربمـــا كان السبب في ذلـــك هو خضوع المفردات الاسميـــة والفعلية للاعراب والاشتقاق والتصريف ، وجمود ابنيـــة حروف المعاني في حالة لا تقبـــل التغيير . فالتغيّرات الداخليـــة للحركات،وزيادة اللواحق والسوابـــق، تؤدي بالضرورة الـــى تغيير الحركات النهائية للكلمـــة وفق نُظُم لا يتسع المجال هنـــا لشرحها . يكفي أن نشير الـــى ان اللغـــة الاكدية كانت ، وهي اقـــدم صور لغات الجزيرة العربيـــة، تتميز بانها اكثر واقـــوى صلة باللغـــة العربية من اخواتهـــا،فهي من دون اخواتهـــا العبرية والارامية تلتزم بالاعراب في جميـــع الحالات،ونهايات الاســـم تحمـــل علامات الاعراب،ليس بالحركات كما في العربيـــة،وانما بأصوات المـــد او

حروف العلـــــة (و) (٤٦) و (ى) ، وان الصيـــغ الثنائية نحـــــو:

طيب ـــ tabu	و بعيد ـــ Ruku	و منير ـــ ellu	
و رب ـــ Rabu	و واطىء ـــ Nadu	و خالد ـــ Daru	
و ناس ـــ Nišu	و الـــه ـــ Ilu	و سماء ـــ Šama	

كل هذه الصيغ ثنائيـــة،والنهاية الحركية هي علامة الاعراب في حالـــة الرفع،كالعربية تمامـــا . ولكن الحركات،كما قلت سابقا،لـــم تضف الى الكتابة الا بعـــد عصر التدوين القـــرآني او في حينه ؛ ولذلك فقد رُسم العرب جميعا الحركات بهـــذه الحروف . ولعل هذه النهاية الحركيـــة التي كانت ترســـم في الكتابات الاسلامية الاولى بأصوات المـــدّ،جريًا على المألوف في ذلـــك الوقت في الكتابات العبرية والآراميـــة والنبطية، هي التي أوقعت العلماء في اعتبارها جـــزءًا من اصل البناء سقط عندمـــا أُهمِل فيما بعـــد الاعراب في اللغات العبرية والآرامية،كما هـــو معروف، وبقي في العربية (٤٧) . اشير هنـــا الى مسألة إعراب الاسمـــاء الخمسة، او الستة،واختلاف العرب في اعرابهـــا بالحركات او بالحروف،وجـــدل النحاة حولها،وصلة ذلـــك بالاشتباه بين الحركات والحروف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا عدنـــا الى لغات الجزيرة العربية جميعـــــا-والعربية تمثل الاوسع مـــادة والادق ضبطا والاقدم تاريخـــا-واستعرضنا الثنائيات فيها،لوجدنا انهـــا تتفق جميعا في ان الصيغـــة الثنائية فيها،الاسمية والفعلية،تشمل طائفة كبيرة جـــدا من المفردات تكاد تفوق الثُلاثيّـــات عددا . وانها تنتظم الفئات الآتيـــة :

١ ـــ الافعال الناقصة من حيـــث التصريف والوظيفة النحوية ، وعددها كما ذكرها النحاة سبعة عشر،منها احد عشر فعلا ثنائيا،هي : كان . صار . ظل . بات . آض . عـــاد . غدا . راح . ما (برح) . ما (دام) . ما (زال) . وليس (٤٨) .

وليس في الاكديـــة او العبرية افعال ناقصة بالمعنى المعروف في العربية . ولـــم تشر الدراسات اللغوية التي قـــام بها المستشرقون الى ان ما يماثل هـــذه الافعال يختص بوظائف نحويـــة تتميز بها

عن الافعال الاخرى ، وان كانت موجودة بصيغها ودلالاتها .
فكان في الاكدية — Kanu وفي العبرية כּוּן
تعني استقام او تمكن . و"صار" في العبرية קוּם
تعني تحجّر او تصلّب من כּוֹר حجر . ويتم تصريف
هذه الافعال كالعربية وفق الاحكام الصوتية المعروفة في قوانين
علم الصوت ؛ وسنأتي الى تفاصيلها في بحث مستقل لاحق (٤٩).

٢ — الاسماء المعروفة بالاسماء الستّة عند النحويين القدامى،وهي الاسماء التي اختلَف في اعرابها النحاة،فمنهم من قال بأنها تعرب بالحركات،ومنهم من قال بالحروف (٤٩)؛وهي في الحقيقة لا تخضع لاحكام الاعراب المعروفة لانها من ذوات المقطع الواحد القصير،ويتطلب الصاق اللواحق بها مدّ حركاتها النهائية،كما في نحو : ابوك واخوك وفوك ؟ وعند الإفراد تُعرَب كما تُعرَب الاسماء الاخرى : جاء الابُ ، ورايت الاخَ (٥٠)

وقد ذكر منها النحاة ستة فقط هي : اب . اخ . حم . فو . ذو . وهن ، في العربية ؟ وفي الاكدية والعبرية ما يقابلها،ولكنها تنتهي في الاكدية والآشورية،كما ذكرنا سابقا،بالحركات الاعرابية التي كانت تُرْسَم آنذاك بحروف المدّ،اي بالواو والالف والياء بدلا من الحركات،على النحو الآتي :

اب = abu . اخ = aḫu حم = Hamu
فم = Pu . اما في العبرية فانها تُرسَم بصوتي البناء الصحيحين فقط،بغير النهاية الحركية لزوال الاعراب في هذه اللغة الا في حالة الاضافة،وتُحرَّك عند ذاك بالياء ؟ وتكتب على النحو الآتي في حالتي الرفع والنصب : اب = אָב
اخ = אָח . ذو = זוּ . فاه = פֶּה

ويُلاحَظ هنا ان بعض هذه الاسماء أُحادية البناء في اللغات الثلاث،اي انها تتألف من صوت صحيح واحد وحركة مدّ طويلة.والواقع ان كل الأُحاديات في جميع اللغات تنتهي بحركات

مـــد طويلة (٥١) . ولا تقتصر الكلمـــات الأحادية علـــى هاتين الكلمتين في لغـــات الجزيرة العربية ، فهناك طائفة كبيرة منهـــا في كل لغـــة من هذه اللغات ، نذكر منها في الاكديـــة :

لـــو = Lu ثور وحشي . مو = Mu مـــاء .

قا = Qa قياس . و تو = Tu ســحر . ومثلها الضمائر المنفصلة للمفرد والمؤنث الغائب Ṣu = شو، و Ṣi = شي للمذكـــر .

وفي العبرية כא = كا (بالكاف الفارسية) وكذلـــك כי = كي بمعنى فخور . כא = كا بمعنى سهل . כי = كي بمعنى علامة . מי = مي بمعنى من . נא = نا بمعنى (ني — غير مطبوخ) .

ני = ني بمعنى نحيب . פא = فا بمعنى استفرغ . רי = ري بمعنى ري . שא = شا بمعنى هدم . תא = تا بمعنى غرفة (٥٢) .

٣ — الاسماء الثنائية،عـــدا الاسماء الستة الوحيدة المقطـــع ، وهـــي كثيرة في جميع اللغـــات العربية .

وهي إمّا ان تكون وحيـــدة المقطع قصيرة الحركة،وتكون علـــى اصناف،فمنها مـــا :

١ — يكون مفتوح الاول،وهو الغالب،نحـــو :

قَد . يَد . يَم . دَم . غَم . هَم . كَف . دَف . رَف . خَد . جَد . صَف . بَط . رَب . حَج . ضَب .

٢ — يكون مضموم الأول،نحـــو :

أُم . دُب . جُب . خُف . دُر . مُر . حُق . بُر .

٣ — يكون مكسور الاول،نحـــو :

قِط . هِر . زِق . رِق . شِص . دِن . كِن .

وفي اللغات الاكدية والعبرية مـــا يقابلها تماما .

٤ ــ الاسماء الثنائية ذات النهايات الحركية الممدودة نحــو :

فتى . صبا . هوى . نوى . جوى . عصا . قفا . مها . قطا . رُبى . عُلا . سُها . رِبا .

٥ ــ الافعال المعتلة ؛ وذكــر النحاة ثلاثة اصناف منهــا :

المثال،وهو مــا كان فاؤه حرف علّة،نحو : وعد . وهب ؛ والاجوف، ما كان عينه حرف علّة،نحو : قال ومال؛والناقص،ما كــان لامه حــرف علــة .

ولــو انعمنا النظر لوجدنا ان المثال الأول سالم وليس معتلاً ؛ فالواو في (وعد) ليس صوتــا حركيا او حرف علّة بل هو صوت صحيــح، مخرجه من بين الشفتين كالياء والميم،واختفاؤها عنــد تغيير البناء ليس واجبا وانما هــو ظاهرة حضارية،ثبتت في اللغة الكتابية فقط وبقيت في لهجــات الكلام فنحنُ نقول (يوعد) و (يوهب)؛وهــو بذلك ثلاثي صحيــح .

امــا المثالان الثانيان وهمــا الاجوف في نحو (قال)،والناقص في نحو (سعي)،فثنائيان و (ا) المــد و ياؤه حركتان طويلتان لفــاء الكلمة . واذا تذكرنا ان (ا) المــد تُلفَظ غالبا في اللهجة الكلاميــة اقرب الى الــواو المفتوحة منها الى الالف،وانهــا تلفظ (واوا) مفتوحة في العبرية،وتكتــب بالواو،لعرفنا لمــاذا تصبح (واوا) في المضارع فانهــا في العبرية تُكتب קוֹל = قــول .

ومعنى ذلــك أن المفردات الثنائية تفوق في العــدد الثلاثيات ، وان معظم الثلاثيات تطوّرت مــن اصول ثنائية .

(١) انظر البحث الذي نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع والعشرون ، سنة ١٩٧٤ ، حول لغات الجزيرة العربية .

(٢) الخليل : العين ، (١٠٠ ــ ١٧٥هـ) تحقيق الدكتور عبد الله درويش « كلام العرب مبني على أربعة أصناف . على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي » .

(٣) سيبويه . الكتاب . تحقيق هرتويغ درنبرج . الجزء الثاني ص ١٩٦ .

وبنات الحرفين في الكلام قليل .

(٤) الاب هنري فلايش . تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين . ص ٥٢ .

(٥) المعاجم العربية .

(٦) نقصد باللغة اللهجة التي دوّن بها ؛ فاللغة لهجة حتى تُكتب وتدوّن وتعمّم قواعدها في التعليم والكتابة .

7. L. A. Lipin. The Akkadian Language, p. 72.

8. L. W. King. First steps in Assyrian, p. L III.

(٩) صوت اللين لا يُعَدّ جزءا من بناء الكلمة،فهو حركة طويلة ؛ وصوت العلة في اول الكلمة يُعَدّ صوتا صحيحا،ولا تعتبر لذلك الافعال او الاسماء المبدوءة بأصوات العلة معتلة الاول،نحو:ولد . يد . وعى . وقى .

(١٠) ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا : مقاييس اللغة . المعجم كله يبدا بالابنية الثنائية في كل حرف من حروف الابجدية ثم ينتقل الى الابنية الثلاثية؛ وهكذا بدا الخليل بالعين ، وفعل غيره من علماء المعاجم .

(١١) الالفاظ ثنائية ، يشدد فيها الثاني عند الاسناد الى بعض الضمائر فقط .

12. L. A. Lipin. The Akkadian Language, p. 72

(١٣) الاب هنري فليش اليسوعي . تحقيق عبد الصبور شاهين ، سنة ١٩٦٦ . ص ٥٢ .

(١٤) سيبويه : الكتاب الجزء الثاني ، تحقيق درنبرج . ص ١٩٦ .

(١٥) الخليل بن احمد : العين ، تحقيق الدكتور عبد الله درويش . ص ٥٥ .

(١٦) الخليل : العين ، ص ٥٦ .

(١٧) الاب هنري فليش اليسوعي ، ترجمة عبد الصبور شاهين . ص ٥٢ .

(١٨) جان كانتينو ، تعريب صالح القرمادي . ص ١٢٧ وما بعدها .

(١٩) ابن جني : سر صناعة الاعراب ؛ تحقيق لجنة : مصطفى السقا ، ابرهيم مصطفى الخ . ص ١٩ وما بعدها .

(٢٠) ان الشكوك التي تحوم حول نسبة كتاب العين الى الخليل لا قيمة لها من وجهة النظر العلمية،فما هو مدوّن في هذا الكتاب ان لم يكن من علم الخليل وتدوينه

فهو من علـــم القرن الثاني الهجري وهو أقـــدم تاريخ صُنِّف فيه شيء في دراســـة الاصوات اللغوية بعـــد كتاب پانين الهندي في القرن الرابـــع ق. م.

(٢١) جلال الدين السيوطي ، المتوفي ٩١١هـ. طبعة ١٣٢٧هـ. الخانجي ، الجزء الثاني . ص ٢١١ .

22. L. W. King. First steps in Assy. p. XXXVII

23. L. A. Lipin. The Akkadian Lang. p. 109

(٢٤) محمـــد الانطاكي : الوجيز في فقـــه اللغة . ص ٨٩ .

25. Gesenius. Hebrew Gram. P. 37.

(٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) الآيـــات من سورة البقرة .

(٣٠ ، ٣١) مـــن سورة آل عمران .

(٣٢ ، ٣٣) مـــن سورة النساء .

(٣٤) جان كانتينو : دروس في علـــم الاصوات العربية . ص ١٧١

ظهرت الامالة والاشمام في بعض القـــراءات القرآنية،ولا شك انها تمثل أصواتا قديمة في اللغـــة العربية،لوجودها في اللغـــات العربية الاخرى،كالاكدية القديمـــة والعبرية الكنعانية والآرامية ، ومـــا زالت في العبرية الحديثة واللهجات السريانية، وكذلك الاصوات المركبة،وهمـــا صوتان للفتحة المركبة والواو المركبة كما في كلمـــة "بيت و يـــوم" وتمثلان في اللغات الاوروبية بـــ ai و au

(٣٥) ابـــن جني : سر صناعة الاعراب . أحيل هنـــا القارىء الى تعليل وتحليل ابن جني لعلاقة الحرف (الصوت الصحيح) بالحركة،هـــل هي قبله أم معه أم بعـــده ـ والحديث طويل لا مجـــال لنقله ـ ليرى مقدار الفوضى والفارق الكبير بـــين الرؤية المبنية على الوهـــم،والرؤية الحديثة المبنية على الاختبار والتجربـــة والواقع . ص ٣٠ ومـــا بعدها .

(٣٦) ابـــن الحاجب : الشافية ، شرح الرضى . ج ١ ص ٦ .

(٣٧) السيوطي ، المتوفى ٩١١هـ. همع الهوامع . ج ٢ ص ٢١٣ .

38. L. A. Lipin. The Akkadian Language. p. 71.

(٣٩) ابـــن الحاجب ، المتوفى ٦٤٦هـ: الشافية ، شرح البغدادي . ج ١ ص ٦٠ .

(٤٠) ابـــن مالك : الالفية وشرحها أوضح المسالك لابـــن هشام . ج ٣ ص ٣٠٤ .

41. L. A. Lipin. The Akk. Lang. p. 72 - 73.

42. L. W. King. First steps in Assy. p. LXXXVII

43. Leonard Bloomfield. Language. P. 244.

(٤٤) ليس في استطاعتنا هنا ذكر المراجع والمصادر التي صُنِّفت في العربية وعلومها، فانها على الالوف، يكفي ان نقول إن اهم هذه المراجع وضعت في القرن الثاني للهجرة، ولم يكتب شيء مماثل لها أو مقارب في اللغات الاخرى الا في القرن الثامن عشر للميلاد .

(٤٥) الخليل : العين ، تحقيق د . عبد الله درويش « وانما كان ذواقه اياها (ويقصد الاصوات) انه كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف نحو اب . ات . اح الخ » .

46. L. King. First steps in Assy. P. LVII

47. L. A. Lipin. The Akk. Language. P. 157.

(٤٨) ابن الحاجب : الكافية ، شرح الاسترابادي . ج ٢ ص ٢٩٠ .

49. Langenscheidt. Heb. Diction.

(٥٠) السيوطي : همع الهوامع . ج ١ ص ٢٨ .

(٥١) ادعو القارىء الى ملاحظة الاحاديات في الانكليزية :

zoo, See, do bee, sea, too, you, we, he, she, tea,
key.

وفي الفارسية . دو ـ اثنان . فا ـ لقب الامبراطور أو الشاه للتعظيم.شا ـ الملك العظيم . مو = شعر . سي = ثلاثون . سي = اثم . رو = وجه . دو = غاية . خو = عادة . جا = مكان . تا = صفحة أو واحد من عدد . با ـ قدم .

وفي اللغة الكردية . دو = اثنان . مو = شعر . رو = وجه . شو ـ زوج . جو = شعير . خو = عادة . رى = طريق . دى = قرية .

52. Gesenius - Heb. gram.

استدراكات على النصوص الشعرية في كتاب
"شعراء عباسيّون"

للمهندس السيّد حاتم غنيم

تمهيـــد :

جَمْـعُ اشعار من نُقدت دواوينهم من الشعراء امـــر ليس بالهيّن ، فهو يحتاج الى التنقيب في كل ما يمكن التوصل اليـــه من المراجع والكتب المطبوعة والمخطوطة ، ومقارنـــة الروايات المختلفة واختيار الانســـب ؛ علاوة على ترجيح نسبة الشعـــر الى شاعر ما عند الاختلاف في نسبتـــه باختلاف المراجع ، وذلـــك بالاعتماد على اسلوب الشاعـــر، والمناسبة، وتوثيق المرجع،وغيرها مـــن وسائل الترجيح والاستدلال . فـــاذا اخذنا بالاعتبار ان كثيرا من المراجـــع المطبوعة لم يُحقّق جيدا ولـــم يُفهْرَس ، عَلِمْنا مدى الجهـــد الذي يبذل في جمع النتف المتبقية مـــن نتاج شاعر ما . وقد قـــام المستشرق الدكتور غوستاف فون غرنباوم بجمع اشعار عـــدة شعراء نشرها مع دراسات وتعليقات قيّمة في مجلة (Orientalia) (١) ، وقد قام الاستاذ الدكتور محمـــد يوسف نجم بترجمة الدراسات الخاصـــة بثلاثة شعراء عباسيين ، وصَحَّح بعضـــا من النصوص،واضاف اليهـــا شيئا مما فات الدكتـــور غرنباوم (حوالي ٦٨ بيتـــا) ثم نشرها في كتاب (شعراء عباسيون) (٢) . وقد قـــام الدكتور احسان عباس بمراجعـــة الكتـــــاب .

الشعراء موضـــع الدراسة :

لا يجمع بـــين الشعراء الثلاثة الذيـــن تَمَّت دراستهم في الكتاب المذكور سوى وجودهـــم في عصر واحـــد،هو بداية الدولة العباسية :

فمطيع بن اياس الشاعر اللاهي ، نديم الوليد بن يزيد ، والمستهتر المتهم بالزندقة ، يختلف في نمط حياته ومواضيع أشعاره عن سلم الخاسر،شاعر البلاط المتفرغ لمدح الخلفاء والأُمراء والولاة ؛ وكلاهما غريب عن أبي الشمقمق الشاعر الفَكِه المنتقد الساخط المتذمر . واذا كان هذا الاختلاف يُصعِّب المقارنة بين هؤلاء الشعراء،ولا يُشعرنا بوجود مبرّر لجمع أشعارهم في كتاب واحد دون غيرهم من الشعراء (٣) ، فلعل مثل هذا الاختيار يساعد في اعطاء الباحثين صورة شاملة لجميع نواحي العصر الذي عاشوا فيه . وقد قَدَّم الاستاذ فان غربناوم لمحة موجزة عن حياة كل شاعر،والنواحي الفنية التي يتميّز بها وتجدر ملاحظتها ؛ وتعليقاتُهُ على إيجازها قيّمة ومفيدة للباحثين في تطور الشعر العباسي وتاريخه .

هذه الاستدراكات :

عندما حصلتُ على الكتاب (قبل حوالي عشر سنوات) وبدأت مطالعته ، لم يخطر ببالي تتبّع ما فات الاساتذة الذين ساهموا في جمع نصوصه والتعليق عليه ، وذلك لان عملي في حقل الهندسة يستغرق جُلّ وقتي ، ومثل هذا الهدف يستلزم التفرغ ومراجعة الكتب وزيارة المكتبات (كمكتبة الجامعة مثلا) ؛ وانا لضيق وقتي لا استطيع الرجوع الا الى المراجع الموجودة في مكتبتي الخاصة ، وهي،مهما بلغ حجمها،يعوزها الكثير من المراجع . ولكنني عندما وصلت في مطالعتي الى آخر ما جمع لسلم الخاسر،وجدت المترجم قد أضافه بيتين من كتاب « الورقة » اعتبرهما من البحر السريع،وهما (٤) :

تخاله مستقبلا مقبلا حتى اذا استدبرته قلت أكَبْ

وهو على ارهافه وطيّه يقصر عنه المحزمان واللّبَبْ

وبما انني اعرف هذين البيتين في شعر علي بن جبلة العَكَّوك (٥) ، في قصيدة من بحر الرجز ، فقد ظننت في البداية أن صدر البيت الاول فيه خلل،وان النسبة لسلم غير صحيحة،أو على الاقل مشكوك بها ،

حتى رجعت الى كتـــاب الورقة (٦) فوجدت البيتين في ترجمـــة المَكّوك ، حيث ذكـــر البيت الاول كما يلـــي :

تحسبه اقعـــد في استقبالـــه وهو اذا استدبرته قلت اكَبْ

ثـــم قال : « وقد اخذ هذا المعنى من سلـــم الخاسر حيث يقول :

تخالـــــه مستقبـــلا مقعيـــا حتى اذا استدبرته قلت اَكَبْ

وهـــو على ارهافه وطيّـــه يقصر عنه المحزمان واللّبَبْ »

فادركت بديهة ان هناك خطـــأ من الناسخ للأصل استبدل بـــــه عجز بيت سلم (الذي هو من البحـــر السريع) بعجز بيت علي بن جبلة، ثم اكمل بيتي علي (٧) استمرارا في الخطـــأ،فتوهَّمَ محقّقا الكتاب (٨) أن البيتين لسلم،ولـــم يوضحا اختلاف البحر بين صدر البيـــت الاول وبقية الشعر ؛ ولا بـــد ان محقق الطبعة الاولى من كتـــاب الورقة (٩) ، وهي التي رجع اليها الدكتور نجـــم ، لم ينبّه ايضا الى هـــذا الاختلال، فتبعه الدكتور نجـــم في وهمه .

عنـــد ذلك حاولت ان اجـــد تكملة بيت سلم في المراجع المتوافرة لدي فلم اوفق،ولكنني وجدتُ في كتـــاب الوساطة (١٠) بيتـــا منسوبـــا لبعـــض العـــرب :

تخالـــه مستقبـــلا اقعـــــدا وهو اذا استدبرت مكبـــوبُ

ورغم انني لـــم اقع على قصيدة لسلم على هـــذا الوزن وبهذه القافية (١١) ، الا انني رجحت ان يكون هـــذا هو بيت سلم المذكـــور في « الورقة » ، وكلمـــة (اقعدا) في صدر البيت روايـــة اخرى للبيت .

وخلال بحثي عن بيت سلم هـــذا وقعت على بعض النصوص لسلم ليست موجودة في المجموعـــة المنشورة ، فدوَّنتُها لنفسي اولا ، ثم لمـــا وجدتها مجموعة صالحـــة،عزمت على ارسالها للأستاذ الدكتور نجـــم ؛ واستكمالا للبحث تَتَبَّعتُ بعض النصوص التي فاتته لابي الشمقمق ومطيع ؛ ولكن الامر استغرق مني اكثر ممـــا قدرت ؛ ثم حدثت عوائـــق منعتني

من ارسال ما جمعت اليـــه ، وبعدئذ رايت من الافضل نشر هـــذه الاستدراكات تعميما للفائدة ، ولكيلا تبقى في انتظـــار طبعة ثانية مـــن الكتاب لكي تظهر للنـــور .

وبلـــغ مجموع ما نتبَّعتُه من الابيـــات ١٥ بيتا لمطيع و٤٦ بيتـــا لسلم و ٤٠ بيتـــا لابي الشمقمق . ولا اريـــد هنا ان أُهَوِّن من الجهد الذي قام بـــه جامعو الكتاب ، فكثير من الكتـــب التي رجعتُ اليها لم تكن قد طُبعت بعـــد ، وليس ما قمتُ بـــه الا محاولة ارجو ان اكون وُفِّقتُ بهـــا لاكمال ما بذلوه مـــن مجهود .

الابيات المستدركة على ما جمع لمطيـــع :

ا ــ تخريجها : الحيوان ٥/٦٠٣ ، الاول في البرصان والمرجـــان ٣١٨ **(من المنسرح)**

١ ــ قـــد دلَّهَتْني طويلة العُنُقِ وحُبُّ طول الاعناق مِـــن خُلُقي

٢ ــ اقلَقُ مِن بُعدها فان قَرُبَتْ فالقـــرب ايضا يزيـــدُ في قَلَقي

ب ــ تخريجها : الابانـــة ١٥١ **(من البسيط)**

١ ــ أَبَى جزائي على مَدحي لـــه وغـــدا
يعـــمُّ هاجِيَـــه جهـــلاً بنائِلـــــهِ

٢ ــ فـــلا يميِّـــزُ من هاجيـــهِ مادِحَـــهُ
ولا يُحَقِّـــق فيـــهِ ظَـــنَّ آمِلِـــهِ

٣ ــ لـــو كان للسيف عقـــلٌ او محافظة
لمـــا نَـــرَى جِيْـــدُ جاليـــه وصاقِلِـــهِ

ج ــ تخريجها : تاريخ بغـــداد ١٢/٣٥١ **(من الطويل)**

١ ــ ومـــا زال بي حُبّيك حتـــى كانني
برجـــعِ جـــوابِ السائلي عنـــك اعجـــمُ

٢ ــ لاسلــم من قول الوشـــاة وتسلمي
ــ سلمتِ ــ وهــل حيٌّ على الناس يَسلمُ

د ــ تخريجها : الابانـــة ٧٠ **(من مجزوء الكامل المرفل)**

١ ــ يا ابن الجحاجحة القُرو م ِالســـادةِ الغُـــرِّ الكـــرامِ
٢ ــ والمستضـــاء برايـــه وبوجهـــه وابـــن الامـــامِ
٣ ــ لا تَشْكُ عارضَ عِلَّـــةٍ وَلَّى ولـــم يَـــكُ ذا عـــرامِ
٤ ــ فالله جَلَّى مـــا ترا كَمَ مِـــن سحائبها العِظامِ
٥ ــ وكساك عاجلَ صِحَّةٍ وسلامـــةٍ طـــولُ السقـــامِ
٦ ــ والبدرُ يُكسِبُه المَحَـــا قُ سنى الاضـــاءةِ والتمامِ

هـ ــ تخريجها : درة الغوّاص ١٣٩ ، والابيات الاربعة في كنايات الجرجاني ٤٥ منسوبة ليحيى بـــن زياد ، والبيتان الاخيران ــ وهما المقطوعة ٦٧ ص ٦٧ من كتـــاب (شعراء عباسيون) ــ منسوبان لمطيع في الغيث المسجم ٢/٦١ **(من البسيط)**

١ ــ امن قلوص غدت لـــم يحذها احـــد
إلاّ تذكرهـــــا بالرمـــل اوطانـــــا

٢ ــ خان العقال لهـــا فانبتَّ إذ نفـــرت
وانمـــا الذنـــب فيهـــا للـــذي خانـــا

اوليتنـــا منك هجرانـــا ومُقلِيَـــةً
ولـــم تزرنـــا كما قـــد كنـــتُ تغشانـــا

خَفِّض عليك فمـــا في الناس ذو إبل
الا وايْنُقُـــــه يَشْـــرُوْنَ احيانـــــا

ملاحظات اخرى على ما جُمع لمطيـــع :

ا ـــ المقطوعة ١١ ص ٣٧ من مخلع البسيط وليس مـــن مجزوء البسيط . وكذلك المقطوعة ١٩ ص ٤١ ؛ امـــا المقطوعة ٥٢ ص ٦٠ فهـــي من مجزوء الرجز لا مـــن السريع .

ب ـــ المقطوعة ١٦ ص ٣٩ هي لعبد اللـــه بن معاوية في مطيع ، ونسبتها لمطيـــع وَهْـــم .

ج ـــ المقطوعة ١٩ ص ٤١ نُسِبت لمطيع عـــن الحماسة ، وهي مـــن ضمن سبعة ابيات في الاغـــاني ١٤/٣٢٥ ، منسوبة لحماد عجرد في رثاء الاسود بن خلف ؛ وممـــا يرجِّح ما جاء في الاغاني انَّ ذكـــر الاسود جـــاء في البيت الرابع :

على صدى اسود المُوارَى في اللَّحد والترب والصفيحِ

ممـــا يؤكد انها في رثاء الاسود وليس في رثاء يحيى بن زيـــاد كما جـــاء في الحماسة .

د ـــ القصيدة ٢٣ ص ٤٢ ليست في موت ابيـــه ولكن في غلام اسمه محمـــد بن سالم سافَرَ الـــى الري ..

هـ ـــ المقطوعة ٤٠ ص ٥٤ (ستة ابيات) نقلها الجامع عـــن الاغاني لمطيع ، وهي لبشار من قصيدة (٢٦ بيتـــا) في ديوانه ٣/١٦٩ (لجنة التاليف) ومنها ٢٣ بيتـــا في الاغاني ٣/١٨٣ لبشـــار، وفي نـــور القبس ١١٨ (٢٣ بيتـــا) لبشار .

و ـــ لا دليل علـــى نسبة المقطوعة ٤٥ ص ٥٦ لمطيـــع .

ز ـــ المقطوعة ٧٦ ص ٧٣ ، لـــم يستقم فيها وزن البيت الاول ، ولـــو اطلعنا على ما في الاصل لرجح عندنا ان قراءة البيت يجب ان تكون :

يا مُسمَّى باسم النبيّ الذي خـــــصَّ بـــه الله عبده زكريّا

ح ــ المتطوعة ٧٧ ص ٧٣ ، جميــع ابياتها من الهزج ما عــدا البيت الاول،فالرواية المذكورة في الكتــاب من مجزوء الوافر . وتصحيــح البيت (عــن بدائع البدائه ص ٢١٧) :

الا يــا بأبي الناظـــــــر من بينهــمُ نَحْوي

وهــو بهذه الرواية مــن الهزج ايضا .

ط ــ في الهفوات النادرة (ص ٣٥٢) قصيدة في هجــاء اصفهان لعتراه(؟؟) الخياط من عشرة ابيات،جــاء من ضمنها الابيات ٤ ، ٥ ، ٦ مــن المقطوعة ٣٢ ص ٤٨ .

الابيات المستدركة على ما جُمع لسلــم :

١ ــ تخريجها : كنايات الجرجاني ٧٠ **(من مجزوء الرمل)**

١ ــ خــاط لي زيــد قباءْ ليــت عينيــه ســــواءْ

٢ ــ قُل لمــن يعرف هذا امديــــح أم هجــــاءْ

ب ــ تخريجها : الانــوار ١/٣٠٥ **(من السريع)**

١ ــ وأغتدِي والشمسُ محجوبة لــم تَنْسَفِر عنهــــا الجلابيبُ

٢ ــ بسابغِ الاضلاع ذي ميعة تمَّــت لــه ساق وعرقــوبُ

٣ ــ هاديه مثل الشطر من خَلقه اذا عــــدا والبطنُ مقبــوبُ

٤ ــ تخالــه مستقبــلاً مقعيًا وهــو اذا استدبــرتَ مكبوبُ

٥ ــ يشرف او ينحط كلّ معــًا فالخلــق تصعيــدٌ وتصويــبُ

٦ ــ كأنما الشِّعْرَى على وجهه وفي مجــاري المتــن تذهيــبُ

٧ ــ يحمل منــه بعضُه بعضَه فراكــب منــــه ومركــوبُ

٨ ــ كالريــح الا انهــا صورة بســو بهــا شــدٌّ وتقريبُ

جـ ــ تخريجها : الصبح المنبـــي ٨٤ **(من الكامل)**

١ ــ وكتائب تغشى العيون اذا جـــرى
مـــــاء الحديـــــد عليهـــم الرجـــــراجُ

٢ ــ وتفرقـــت زُرقُ الأسنّـــة فيهـــمُ
تَسقـــي الحنايـــا مـــــا لهـــنَّ مـــزاجُ

نزلـــت نجوم الليل فـــوق رؤوسـهم
ولكـــــلّ راس كوكـــــبٌ وَهّـــــاجُ

البيت الاخير هـــو السابع من القصيدة ٧ ص ٩٥ ــ ٩٦ ، مـــع اختلاف بسيط في الروايـــة .

د ــ تخريجها : الاعجاز والايجاز ١٦٥ ــ ١٦٦ **(من الكامل)**

١ ــ ملـــكٌ كـــان الشمس فوق جبينـــه
متهلّـــلُ الامســـــاء والاصبـــــاحِ

٢ ــ واذا حللـــتَ ببابـــه ورواقـــه
فأنـــزِلْ بسعـــدٍ وارتحـــل بنجـــاحِ

هـ ــ تخريجها : المحاسن والمساوىء ٣٦٨/١٠ **(من الكامل)**

١ ــ افنـــى ســـؤال السائلين بجـــوده
ملـــــكٌ مواهبـــه تـــروح وتغتـــــدي

٢ ــ هـــــذا الخليفـــة جودُه ونوالُـــــه
نَفـــــدَ السؤالُ وجـــودُه لـــــم ينفـــــدِ

و ــ تخريجها : تاريـــخ الخلفاء ٢٦٣ **(من الكامل)**

١ ــ قفـــل الحجيج وخلّفوا ابن محمـــد
رهنـــــًا بمكـــة في الضريـــح الملحـــــدِ

٢ ــ شهــد المناسكَ كلَّهـــا وامامهــم
تحـــت الصفائح محرمـــا لـــم يشهــدِ

ز ــ تخريجها : تاريخ بغــداد ١٤/٣٣٦ **(من الخفيف)**

١ ــ ان للـــه في البريـة سيفـــــين،يزيدًا وخالدَ بـــن الوليدِ
٢ ــ ذاك سيفُ النبيّ في سالف الدهـــــر وهذا سيف الامام الرشيدِ
٣ ــ ما مقامي على الثماد وقد فا م ضت بحورُ الندى بكفَّيْ يزيــدِ

ح ــ تخريجها : جوهر الكنز ١٨٢ **(من المجتث)**

١ ــ اليس هــذا عجيبـــا أَمــوتُ طــورا وأُنْشَـــرْ
٢ ــ قيامــةً كــلَّ يـــومٍ علــى فتــى ليس يُقْبَــرْ

ط ــ تخريجها : المستطرف ٢/١٨ **(من الطويل)**

١ ــ ظللنــا فبتنــا عنــد أمّ محمـــد
بيـــوم ولـــم نشرب شرابـــا ولا خمرا
٢ ــ اذا صمتت عنّـــا ضُجِرنا لصمتهـــا
وان نطقـــت هاجـــت لألبابنـــا سُكـــرا

ي ــ تخريجها : التمثيل والمحاضرة ٤٨٦ ، ونسبها لبكر بـــن المعتمر في ص ١١ من نفس الكتـــاب **(من مجزوء الوافر)**

١ ــ هــي الايــامُ والغِيَرُ وامــرُ اللـــــه منتظَـــرُ
٢ ــ فـــلا تجزَعْ وان عُظم البـــــــلاءُ ومسَّك الضـــرُرُ
٣ ــ اتياس ان ترى فرجا فايــن اللـــــه والقـــدَرُ ؟

ك ــ تخريجها : المنازل والديار ١/٣٣٤ ــ ٣٣٥ **(من الطويل)**

١ ــ سلام علـــى الاطلال والمنزل القفـــرِ
وان كـــان لا يغنيـــه وصلـــي ولا هَجري

٢ ــ ولكـــنَّ آثـــار الاحبـــة بينهـــا
بَلِـــيْنَ ومـــا تَبلـــى البلابـــلُ في صـــدري

ل ــ تخريجها : مصارع العشاق ١/١٢٤ **(من الطويل)**

١ ــ ولمـــا رأى شوقي اليـــه وحسرتي
عليـــه واني لســـت اقوى علـــى الهُجْـــرِ

٢ ــ تُهَدِّدنـــي بالهجـــر ، حتـــى كأنمـــا
رآنـــي مـــدلاًّ بالعـــزاء وبالصبـــرِ

م ــ تخريجها : الحلـــة السيراء ٢/٣٤١ **(من البسيط)**

١ ــ أكـــرِمْ بقرمٍ امـــين اللـــه والـــده
وأمُّـــه امُّ موسى بنـــت منصـــورِ

ن ــ تخريجها : الرسالة الموضحة ١٩٢ **(من المنسرح)**

١ ــ كأنهـــا روضة منوَّرة تنسمت في أواخـــر السحرِ

لعلّـــه والمقطوعة ١٦ ص ١٠٠ مـــن قصيدة واحـــدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

س ــ تخريجها : المحاسن والمساوىء ١/٣٦٨ **(من الكامل)**

١ ــ ان الخلافـــة لـــم تكن بخلافـــة
حتـــى استقـــرّت في بنـــي العبـــاسِ

٢ ــ شـــدّت مناكـــب ملكهـــم بخليفـــة
كالدهـــر يخلـــط لينـــه بشمـــاسِ

لعلهمـــا والمقطوعة ٢٩ ص ١٠٦ مـــن قصيدة واحـــدة .

ع ــ تخريجها : الشريشي ٢/٨٥ ، نصرة الثائر على المثل السائـــر ٣٨١ **(من الكامل)**

١ ــ أقبلن في راد الضحيّ بنا يُسْتُرن وجه الشمس بالشمسِ

في طبقات الشعراء ٣١ لبشار مع بيت آخـــر .

ف ــ تخريجها : تاريخ بغداد ٣٣٥/١٤ **(من المتقارب)**

١ ــ وليت الامير ابــا خالد يزيــدَ ، يزيدُ كمــا ينتقصْ

ص ــ تخريجها : بدائع البدائة ٣٧ ، الاغاني ١٨٣/٢٠ **(من الخفيف)**

١ ــ ... يحيى أخَــطُّ من كفّ يحيــى
ان يحيــى بـــ ... لخُطــــوطُ

ق ــ تخريجها : المحاسن والمساوىء ٣٦٧/١ **(من الطويل)**

١ ــ اليس احــقَّ الناس ان يُدرِك الغنى
مُرَجّــي امــيرِ المؤمنــين وسائِلُــهْ

٢ ــ لقــد بسط المهديُّ عــدلا ونائــلا
كأنهمــا عــدلُ النبــيّ ونائِلُــهْ

ر ــ تخريجها : تاريخ الخلفاء ٢٧٤ **(من الوافر)**

١ ــ وباكيــة علــى المهــديّ عبرى
كــأنّ بهــا ، ومــا جُنَّــت ، جنونــا

٢ ــ وقــد خُمِّشَت محاسنهــا وابــدت
غدائرُهــا ، واظهــرتِ القُرونــا

٣ ــ لئــن بليَ الخليفــة بعــد عــزٍّ
لقــد ابقــى مساعيُ مــا بلينــا

٤ ــ سلام اللّــه عــدّة كــل يــوم
علــى المهديّ حيــث ثُوِى رهينــا

٥ ــ تركنــا الديــن والدنيــا جميعــا
بحيــث ثــوى امــيرُ المؤمنينــا

ملاحظات اخرى على ما جُمِع لسلـم :

ا ــ يضاف الى نسبـة البيتين السابع والثامن مـن القصيدة ٧ ص ٩٥ ــ تروى لابي الهـول الحميري في فوات الوفيـات ٥٣٢/٢ ، ولأشجع في الطبقات ٢٥٢ ، والثامن لأشجع في الاغاني ١٥٦/١٨ مع بيت آخـر ، ولأشجع في الاوراق ٩٤ قصيدة بنفس الـوزن والقافية . وينسب البيـت السابع ايضا لبشار، انتحلـه سلم في الاغـاني ٢٤٢/١٩ .

ب ــ المقطوعة ١٨ ص ١٠٠ من مخلع البسيط،وكذلك القصيدة ٢٤/٢٣ ص ١٠٣/١٠٤ .

جـ ــ البيتان ٢٣ ، ٢٤ مـن القصيدة ٢٣ ص ١٠١ (ومعهما بيت ثالث) نُسِبا في الجهشياري ٢٠٤ لعنان ، وفي الاغاني ١٦٧/١٨ لأشجع .

د ــ في عيون الاخبار ١٨٨/٣ يروي ابـن قتيبة ان معاوية كـان يتمثل بالبيتين ١ ، ٤ مـن القصيدة ٤٠ ص ١١٠ ؛ وهـذا وهـم ، والارجح ان الابيـات لسلم ، فهي كذلك ايضا في المرقصات ٤٥ .

هـ ــ المقطوعة ٤٥ ص ١١٢ هي في نجاح الحاجة وليس في نجاح الحاجب .

الابيات المستدركة على مـا جُمِع لابي الشمقمق :

ا ــ تخريجها : نـور القبس ٢٠٢ ــ ٢٠٣ **(من المتقارب)**

١ ــ رايتك في النوم اطعمتني قواصر مـن تمرك البارحَـهْ

٢ ــ فقلتُ لصبياننا ابشروا برؤيـا رايتُ لكـم صالحَهْ

٣ ــ قواصر تأتيكمُ باكـرا والا فتأتيكـمُ رائحَـهْ

٤ ــ فـأُمّ العيال وصبيانُها الى الباب أعينهم طامحَـهْ

٥ ــ فقل لي،نعم انها حلوة ودع عنـك،لا إنها مالحَـهْ

٦ ــ وصُدِّق بنجحك تعبيرُها فـلا يـك تعبيرُها نازحَـهْ

٧ ــ فانت امرؤ تبتني المكرمات
سَبوقٌ الى الصفقة الرابحَهْ

٨ ــ يداك: يَدٌ لسهام العدى وأُخرى لأَفواقها مائحَهْ

ب ــ تخريجها : مجمع الامثال ٢/٢٥٤ ، المستقصى ١/٣٢١ ، جمهرة الامثال ٢/٢٢٢ ، الدرة الفاخرة ٢/٣٧٧ **(من الطويل)**

١ ــ شفيعي الى موسى سُماحُ يمينه
وحسبُ أمرئٍ من شافع بسماحِ

٢ ــ وشِعريَ شعرٌ يشتهي الناس اكله
كما يشتهي زيد بزبّ رباح

ج ــ تخريجها : البرصان والعرجان ٢٣١ **(من مجزوء الرمل)**

١ ــ رجل زيد بن عمارَهْ مثل مفتاح مَنارَهْ

د ــ تخريجها : ثمار القلوب ٣٨٤ (دون عَزْو) **(من مجزوء الرمل)**

١ ــ قد وَلِيَ فارسُ والاهـ ـواز داود بن بشْرِ
وله لحيةُ تيس وله منقار نَسرِ
وله نكهة ليثٍ خالطت نكهة صَقرِ

بزيادة البيت الاول عن المقطوعة ١٤ ص ١٣٥

هـ ــ تخريجها : بخلاء البغدادي ١٠٨،ودون عُزْو في الشريشي ٣/٤٢١ **(من السريع)**

١ ــ آويت دهليزك مذ اربعٍ ولم اكن آوي الدهاليزا

٢ ــ خبزي من السوق ومدحي لكم
تلك لعمري قسمة ضيزى

و ــ تخريجها : بخلاء البغدادي ١٠٧ **(من مجزوء الرمل)**

١ ــ انا من زوّار بيتي وانا ضيف لنفسي

٢ ــ اشتري في كل يــــوم حزمـــــة البقــل بفلــسٍ

٣ ــ واذا ما ذقت خـــلاًّ كــان من ايـــام عرســي

ز ــ تخريجها : نــور القبس ١٤٤ ، ودون عُزْوٍ في كل من اخبار الظراف والمتماجنــين ٤٨ ، والتطفيل ٣ ، واخبـــار الحمقى والمغفلــين ١٩ **(من السريع)**

١ ــ يا ايها السائلُ عن منزلي نزلتُ في الخـــان على نفســي

٢ ــ آكُلُ من مالي ومن كسرتي حتى لقــد اوجَعَني ضرســي

٣ ــ يغدو عليَّ الخبزُ من خابزٍ لا يُقْبَل الرهــنَ ولا يُنْســي

ح ــ تخريجها : بخلاء البغدادي ١٠٦ ــ البيتان ١ ، ٢ والابيات الثلاثة دون عُزْوٍ في المحاسن والمساوىء ١/٤٢٠ **(من السريع)**

١ ــ الخبز يُبطي حين يُدعَى به كأنّمــا يُقْــدم مــن قــافٍ

٢ ــ ويَمْدحُ الملــحَ لاخوانــه يقــول،هــذا ملــحُ ســيرافٍ

٣ ــ سِيّانِ اكلُ الخبز في داره وقلــعُ عينيــه بخَطّــافٍ

ط ــ تخريجها : بخلاء البغدادي ١٧٣ **(من مجزوء الكامل المرفل)**

١ ــ يــا كاسرا حرفَ الرغيفِ عرضــتُ نفســك للحتــوفِ

٢ ــ أوَمَا علمتَ بــأن هُــوْ ذَةَ غــيرُ نَــوّامٍ ضعيــفِ

٣ ــ وتــراه خــوفَ مُطفِّــلٍ للبخلِ يأكــل في الكنيــفِ

ي ــ تخريجها : الحيوان ٢/٣٤٣ **(من السريع)**

١ ــ ضيَّع مــا وَرَّثه راشدٌ من كيلــه الاكداس في صفِّــهِ

٢ ــ فُرُبَّ كدسٍ قد علا رمسه كالديك اذ يعلــو على رُمّــهِ

ك ــ تخريجها : الشريشي ٢١١/١ **(من مجزوء الرمل)**

انـــا في حالٍ تعالَى اللـــــــــــه ربّي ايّ حـــــالِ
ليس لي شيء،اذا قيـــــــــــــلَ، لمن ذا؟قلتُ ذا لي
فأراضي اللـــــه فرشي والسمـــــواتُ ظِلالـــــي
ولقـــد افلستُ حتـــــى حـــلَّ اكلـــي لعيـــالي
مـــن راى شيئـــا مُحالاً فانـــــا عـــينُ المحـــــالِ
لو بقيْ في الناس حُـرٌّ لـــم اكن في مثـــل حالـــي

الابيات في القصيدة ٣٨ ص ١٤٦ ما عدا الثالث منها .

ل ــ تخريجها : المحاسن والمساوىء ٤٤٦/٢ **(من السريع)**

١ ــ ان امين الله موسى الذي لا يشتـــري المدحـــة بالدَّيْـــنِ
٢ ــ ايا امين الله والمصطفى دُقَّ ثنايـــــاي بألفـــــينِ

م ــ تخريجها : الابانـــة ١٦١ **(من الخفيف)**

١ ــ خاض بحـــرَ الموتِ الزؤام كَنَـــاسٍ
او كمستحقِـــرٍ لـــه مستهـــــــينِ
٢ ــ وسعى في اكتســـاب شُكرٍ وحمـــدٍ
وحـــوى مـــــا ابتغى بغـــيرِ مُعـــينِ

ن ــ تخريجها : الحيوان ٢٤٧/٦ **(من الكامل)**

١ ــ واذا تجنَّن شاعر او مُفْحَمٌ اسعطتـــه بمرارة الشيطـــانِ

س ــ تخريجها : بخـــلاء البغدادي ١٨٥ **(من البسيط)**

١ ــ مـــا إن رايـــتُ خنازيرا مغرَّبَـــــةً
الا ذكـــرتُ بهـــــا ناســـا بحلـــــوانِ
٢ ــ قـــوم اذا حـــلَّ ضيف بين اظهُرهم
لـــم يُنزلـــوه،ودلّـــوه علـــى الخـــــانِ

ع ــ تخريجها : الصبح المنبي ٢٥٠ **(من مجزوء الكامل المرفل)**

١ ــ المــرء ليس بمــدرك مــن دهره مــا يبتغيــهِ

٢ ــ يُسقي العليلُ من الدوا ء خــلافَ مــا هو يشتهيــهِ

ف ــ تخريجها : تاريخ بغداد ٣٣٦/١٤ **(من الكامل)**

رحل المطيّ اليك طُلاّب الندى ورحلتُ نحوك ناقتي نَعليَّــهْ

اذ لم يكن لي يا يزيد مطيّــة فجعلتُها لك في السفار مطيَّــهْ

تحدو أمــام اليعملات وتفتلي في السير تترك خَلفَها المهريَّــهْ

من كل طارئة الصوى مزورّة قطعــاً لكــل تنوفةٍ دوّيَّــهْ

١ ــ واذا ركبتْ بها طريقاً عامرًا تنساب تحتي كانسياب الحيَّــهْ

٢ ــ لولا الشراك لقد خشيت جماحها وزمامهــا مــا إن تمس بديَّــهْ

تنتــاب أكرمَ وائــل في بيتها حسبًا وقُبَّــة مجدها مبنيَّــهْ

اعني يزيدا سيف آل محمــد فرّاج كــل شديدةٍ مخشيَّــهْ

يوماه،يــومٌ للمواهب والندى خُضِلٌ،ويــومُ دمٍ وخطفٍ منيَّــهْ

ولقد اتيتُك واثقا بك عالمــا انْ لستَ تُسمَعُ مَدحَةٌ بِنَسِيَّــهْ

كامل القصيدة ٥٤ ص ١٥٢ ــ ١٥٣ باختلاف يسير في الرواية،وبزيادة بيتين بين الرابــع والخامس .

ملاحظات اخرى على ما جُمِع لابي الشمقمق :

ا ــ البيتان ١٠ ، ١٢ من القصيدة ٢ ص ١٣١ ينسبان ايضــا الى ابي نواس في المحاسن والمساوىء ٤٢٢/١،وفي المحاسن والاضداد ٥٨. ويذكر الشريشي ٢٠٩/١ ان القصيدة تُروَى ايضا عن وهب عابد قرطبــة .

ب ــ في بخلاء الخطيب البغدادي ١٠٥ يروي البيتين ١ ، ٣ من المقطوعة ١٧ ص ١٣٦ لابي الشمقمق في هجاء أوفى بن نوفل (برواية البيت الاول : ادنى بن خنزير) ثم يذكر انهــا تروى ايضا لحفصويه فــي

هجاء بن زيد بن زبر (برواية البيت الاول : حتى رايتك يـــا زيد بن خنزير) وفي المحاسن والمساوىء ٤١٨/١ يذكرهما دون عزو برواية « عوف بن خنزير » . أما رواية المحاسن والاضداد ٥٦ فهي : على ارض ابن منصور ـــ وهما دون عزو هناك .

ج ـــ يرجح نسبة القطعة ٤٧ ص ١٥٠ الى ابي الشمقمق كونها في هجاء جميل بن محفوظ ، وقد هجاه ابو الشمقمق بأُرّجان (المقطوعة ٤٠ ص ١٤٦) .

د ـــ المقطوعة ٥٣ ص ١٥٢ تنسب في بخلاء الخطيب البغدادي ١٠٣ لابي هنّان او لابـــي الشمقمق .

هـ ـــ المقطوعة ٢ ـــ زيادات ص ١٥٤ تُرْوَى لمسلم بـــن الوليد في اكثر المصادر بالاضافة الى بيـــت ثالث (راجع ديوان مسلم ص ٢٧٠) وهي لابي الشمقمق في التبيان في علـــم البيان ١٨٢ .

ARCHIVE

و ـــ المقطوعة ٥ ـــ زيادات ص ١٥٦ تُرْوَى ايضـــا لعليّ بن جبلة في الابانة ٧٦، والصبح المنبي ٢٣١، وبدائع البدائـــه ٢٨٩ ، كما تُرْوَى لدعبل في العقد الفريد ٣١٤/١ .

---

(١) راجع كتاب (شعراء عباسيون) ص ٧ الهامش . وقد قام الدكتور احسان عباس بترجمة الدراسات المتعلقة بشعر أبي داود الايادي وعلق عليها، واضاف الى النصوص التي جمعها الاستاذ غرنباوم ثم نشرها ضمن كتاب (دراسات في الادب العربي) بدار مكتبة الحياة ـ بيروت سنة ١٩٥٩ .

(٢) نشر دار مكتبة الحياة ـ بيروت سنة ١٩٥٩ .

(٣) لعله كان من الانسب جمع شعر مطيع بن اياس مع شعر حماد عجرد ويحيى بن زياد مثلا ، وجمع شعر سلم مع شعر مروان ابن ابي حفصة والمكوّك ، اما ابو الشمقمق فيبقى نسيج وحده في عصره، ولا يمكننا ان نقرنه بأبي دلامة او ابي هنّان مثلا . .

(٤) (شعراء عباسيون) ص ١٢٠ .

(٥) ديوانه جمع الدكتور حسين عطوان طبع دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٧٢ ـ ص ٣٢ .

(٦) كتاب الورقة لابن الجراح ـ طبع دار المعارف سنة ١٩٦٦ ـ ص ١١٦ ـ الطبعة الثانية.

(٧) نسبة البيتين ثابتة لعليّ بن جبلة ـ راجع الاغاني ٢٩٠/١٩ ، ديوان المعاني ٥١/١ ، ١٠٨/٢ ، الوساطة ٢٨٩ .

(٨) الدكتور عبد الوهاب عزام والاستاذ عبد الستار احمد فراج . وقد نبه المحققان الى أن البيت الثاني من قصيدة علي بن جبلة .

(٩) طبعة ليدن سنة ١٩٣٩ بتحقيق عباس اقبال .

(١٠) للجرجاني ـ ص ٢٨٩ طبعة عيسى البابي الحلبي ـ الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦ ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابرهيم وعلي محمد البجاوي .

(١١) وتمتُ حدينا على ثمانية أبيات لسلم منها البيت المذكور ، ذكرتُها في مكانها من مستدرك شعره ، مما اكد صحّة حدسي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مراجـــع التحقيـــق

١ ــ **الابانـــة** : الابانة عـــــن سرقات المتنبي ــ للعميدي نشر دار المعارف ــ مصـــر سنة ١٩٦١ .

٢ ــ **اخبار الحمقى والمغفّلين** ــ لابن الجوزي طبع المكتـــب التجاري بـــــيروت .

٣ ــ **اخبار الظُرّاف والمتماجنين** ــ لابن الجوزي منشورات المكتبـــة الحيدريـــة ــ النجف سنة ١٩٦٧ .

٤ ــ **الاعجاز والايجاز** ــ للثعالبي ، تحقيق اسكندر آصاف .

٥ ــ **الاغاني** ــ لابي الفرج الاصفهاني ــ نشر دار الثقافة ــ بيروت .

٦ ــ **الانوار** : كتاب الانوار ومحاسن الاشعار لابـــن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي ــ القسم الاول طبع الكويت سنة ١٩٧٧ .

٧ ــ **الاوراق** : قسم اخبار الشعراء ــ للصولي تحقيق ج هيورث دن .

٨ ــ **بُخلاء البغدادي** : البخلاء ــ للخطيب البغدادي ــ الطبعة الاولى ــ بغـــداد سنة ١٩٦٤ .

٩ ــ **بدائع البدائه** ــ لعلي بن ظافر الازدي، تحقيق محمد ابو الفضل ابرٰهيم ــ مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٠ .

١٠ ــ **البرصان والعرجان** : البرصان والعرجان والعميان والحولان ــ للجاحظ ــ مطابع الاهرام التجارية سنة ١٩٧٢ .

١١ ــ **تاريخ بغداد** ــ للخطيب البغدادي ــ مطبعة السعادة سنة ١٣٥٠هـ

١٢ ــ **تاريخ الخلفاء** ــ للسيوطي ــ تحقيق محمـــد محيي الدين عبـــد الحميد ، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني سنة ١٩٦٤ .

١٣ ــ **التبيان في علم البيان** : التبيان في علــم البيان المطلع على اعجاز القرآن ــ لابن الزملكاني ــ مطبعة المعاني،بغداد،سنة ١٩٦٤ .

١٤ ــ **التطفيل** : التطفيل وحكايات الطفيليين واخبارهم ونوادر كلامهم واشعارهم ــ للخطيب البغدادي ــ نشر المكتبة الحيدرية ــ النجــف سنة ١٩٦٦ .

١٥ ــ **التمثيل والمحاضرة** ــ للثعالبي ــ طبعة دار احياء الكتب العربية ــ مصــر سنة ١٩٦١ .

١٦ ــ **ثمار القلوب** : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ــ للثعالبي ــ تحقيق محمد ابو الفضل ابرٰهيم ــ مطبعة المدني،سنة ١٩٦٥ :

١٧ ــ **جمهرة الامثال** ــ للعسكري ــ مطبعة المدني،سنة ١٩٦٤ القاهرة.

١٨ ــ **الجهشياري** : الوزراء والكتاب ــ للجهشياري ــ الطبعة الاولى سنة ١٩٣٨،مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

١٩ ــ **جوهر الكنز** : تلخيص كنــز البراعة في ادوات ذوي اليراعة ــ لنجم الدين بن الاثير ــ نشر منشأة المعــارف الاسكندرية .

٢٠ ــ **الحلة السيراء** ــ لابن الأبار ــ تحقيق الدكتور حسين مؤنس ــ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر،سنة ١٩٦٣،القاهرة .

٢١ ــ **الحيوان** ــ للجاحظ ــ تحقيق عبد السلام هرون ــ الطبعة الثالثة.

٢٢ ــ **درة الغواص** : درة الغواص في اوهام الخواص،للحريري ــ صورة عــن طبعة ليبزيج سنة ١٨٧١ .

٢٣ ــ **الدرة الفاخرة** : الدرة الفاخرة في الامثال السائرة ــ لحمزة بن الحسن الاصبهاني ــ طبعة دار المعارف،سنة ١٩٧١ .

٢٤ ــ ديوان بشار ــ طبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر،سنة ١٩٦٥ بتحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

٢٥ ــ **الرسالة الموضحة** : الرسالة الموضحة في سرقات المتنبي وساقط شعره ــ للحاتمي ــ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ــ نشر دار صادر، سنة ١٩٦٥، بيروت .

٢٦ ــ **الشريشي** : شرح مقامات الحريري ــ للشريشي ــ تحقيق محمد ابو الفضل ابرٰهيم ــ نشر المؤسسة الحديثة، القاهرة، سنة ١٩٦٩ وما بعدها .

٢٧ ــ **الصبح المنبي** : الصبح المنبي عن حقيقة المتنبي ــ للبديعي ــ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ .

٢٨ ــ **طبقات الشعراء** ــ لابن المعتز ــ تحقيق عبد الستار احمد فراج ــ طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٦ .

٢٩ ــ **العقد الفريد** ــ لابن عبد ربه ــ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٣٠ ــ **عيون الاخبار** ــ لابن قتيبة ــ طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٤ وما بعدها .

٣١ ــ **الغيث المسجم** : الغيث المسجم في شرح لامية العجم، للصلاح الصفدي ــ الطبعة الاولى ــ المطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥هـ

٣٢ ــ **فوات الوفيات** ــ لمحمد بن شاكر الكتبي ــ مطبعة السعادة سنة ١٩٥١ .

٣٣ ــ **كنايات الجرجاني** : المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء ــ الجرجاني ــ مصورة عن طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦هـ .

٣٤ ــ مجمع الامثال ــ للميداني ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ الطبعة الثانية ــ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٥ .

٣٥ ــ المحاسن والاضداد ــ للجاحظ ــ تحقيق فوزي عطوي ــ الشركة العالمية للكتاب، سنة ١٩٦٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٦ ــ **المحاسن والمساوىء** ــ للبيهقي ــ تحقيق محمد ابـــو الفضل ابرٰهيم ــ مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٦١ .

٣٧ ــ **المرقصات** : عنوان المرقصات والمطربات ــ لابن سعيد المغربي ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ ــ دار حمـــد ومحيو ــ بيروت .

٣٨ ــ **المستطرف** : المستطرف في كل فن مستظرف ــ للأبشيهي ــ مطبعة المشهد الحسيني سنة ١٣٦٨هـ .

٣٩ ــ **المستقصى** : المستقصى في امثال العرب ــ للزمخشري ــ طبعة دائرة المعـــارف العثمانية سنة ١٩٦٢ .

٤٠ ــ **نصرة الثائر على المثل السائر** ــ للصلاح الصفدي ــ مطبوعات مجمع اللغـــة العربية بدمشق سنة ١٩٧٢ .

٤١ ــ **نـــور القبس** : نور القبس المختصر مـــن المقتبس ــ للمرزباني ، اختصار الحافظ اليغموري ــ تحقيق رودلف رنهايم ــ المطبعـــة الكاثوليكية سنة ١٩٦٤ .

٤٢ ــ **الهفوات النادرة** : لغرس النعمة الصابي ــ مطبوعات مجمـــع اللغـــة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧ .

ARCHIVE

حول تعريب العلوم
مشاكل، وحلول، وآراء

للدكتور: أحمد سعيدان

شرّفني مجمع اللغة العربة الاردني ، فأُسند الي مهمّة الإشراف على ترجمة كتب متخصصة ، في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، وذلك في اطار العمل على تعريب التعليم الجامعي . وغنيّ عن البيان انني لست متخصصا في هذه العلوم كلها ، فاشرافي انما هو تنظيميّ ، ولكنّ المهمة قد أتاحت لي ان أعيش مع مختلف المشاكل التي يعيش معها ويعاني منها الزملاء الذين يقومون بالترجمة ، كلٌّ في حقل تخصصه . ولأني اقف من المشكلة ، في أكثر الأحيان ، كمن ينظر من بعيد فيرى ما لا يراه القريب ، او كخلّيّ البال الذي ينظر بعين نقية صافية ، لا يغشاها ولا يثقل جفونها ما يغشى العيون ويثقلها من حواشي المشاكل وتلافيفها ، ومن لواحقها وعقابيلها ، فقد تبدت لي حلول لبعض المشاكل القائمة ، وملاحظات حول حلول سبق ان أُقِرَّت او اُقتُرِحت . وانه ليسعدني ان اعرض ها هنا حلولي وملاحظاتي ، عسى ان يجد فيها من يعنيهم الامر ما يستحق الاعتبار .

١ ـ الرموز العلمية

الرموز العلمية اشارات وحروف : اما الاشارات فهي عالمية ، لا يختص بها وطن من الاوطان ، ولا لغة من اللغات ؛ فكما اخذنا في الماضي اشارات الضرب والقسمة والمساواة ، نأخذ في الحاضر كل ما يستجدّ من اشارات ونُجري ، حيث يلزم ، التغيير الذي يقتضيه ان الاشارة

تستعمل لدينا في اثناء كلمات تكتب من اليمين الى اليسار . فالاشارات >، <، ∈ تظهر في الكتابة العربية <، >، ∋، على سبيل المثال .

ليس في الاشارات العلمية اذن مشكلة ؛ فماذا عن الحروف ؟ الحل الذي لقيناه مطروحا هو ان الحروف انما هي رموز ، كالاشارات ، فلا ينبغي أن تختلف من مكان الى مكان : على هذا جرى الكيميائيون العرب ، فأعطوا المركب الكيميائي رموزه اللاتينية ، واعطوا التفاعل الكيميائي صيغته المألوفة في اللغات الاوروبية . وعلى هذا جرى بعض الذين ترجموا كتب الرياضيات من قبلنا ، سواء عن الانكليزية او عن الروسية ، فجعلوا الرموز كلّها لاتينية ، حتى لقد صوروا المعادلات الرياضية تصويرا من الاصول التي عنها ترجمت .

وعلى هذا جرينا أول الامر في ما نقوم بترجمته . اما في الكيمياء فلم تجابهنا مشكلة ، فالطلاب قد أُلِفوا الرموز اللاتينية من قبل ان يأتوا الى الجامعة ، فلن تصدمهم هذه الرموز على اعقابها ؛ ثم هي رموز تخصّ عِلْمًا بذاته ، ويجري ترتيبها حسب نظام مرسوم ، حتى ليبدو رمز الماء مثلا ، او غاز النشادر او السكر : كلّ ، كأنما هو بمجموعه ، هوية ما يرمز اليه ، او اسم علم لا يحتاج الى تعريف ، شأنه في ذلك شأن الآلاف من اسماء الامراض والادوية ، او الاسماء العلمية للاحياء : اسماء يعرفها المتخصصون ، وقلّما تعني شيئا لسواهم .

واما في الرياضيات والفيزياء فالامر يختلف : هنا ترمز الحروف ، على الغالب ، الى اعداد او افكار مجردة . وفي هذه الحالة قلّما يتوجب استعمال حرف بالذات ، سوى ما يقتضيه حكم العادة ؛ فما نعطيه الرمز x او س ، يمكن ان نعطيه ، اذا شئنا ، اي رمز آخر . يُستثنَى من ذلك احرف قليلة محدودة ، جرى العرف على استعمالها للدلالة على مقادير بذاتها ، مثل π ، e

ثم ان الرموز والمعادلات والصيغ الرياضية تختلف عن مثيلاتها الكيميائية في أن الحاسب يخضعها لما يشاء من ضرب وقسمة ، ورفع وتجذير ، وتفاضل وتكامل ، وبرمجة وغير ذلك من العمليات الرياضية .

فماذا يجري اذ نقرأ الكلمات من اليمين الى اليسار ، ونقرأ ما بينها من صيغ رياضية من اليسار الى اليمين ؟ ان ما جرى لي — واقولها بصدق — شعور بالدوخة،اذ مضى نظري يمنة ويسرة ، في قفزات بهلوانية . وان ما جرى لطلابي ، وقد عُلِمْتُه علم اليقين ، التباس عَقّدهم حتى اجفلوا من الرياضيات ، وفقدوا الشعور بالاتجاه . جاءتني طالبة تسأل باستيحاء : هل $\frac{ص - ٤}{س}$ هي $\frac{٤ - س}{ص}$ ؟ ولم يُغْنِها جوابي ، فهي تقرأ كما اعلّمها ولكنها تسبق الى التفكير كما تألف .

ثم ان الصيغ الرياضية تختلف عن الصيغ الكيميائية من نواح اخرى. فاذا كانت الكيمياء للمتخصّصين فالرياضيات للملايين . انها للجميع وفي خدمة الجميع ، لا يستغني عنها أحد . فهل نقبل فعلا ان نرى المحاسب ، وعامل الكمبيوتر ، والمهندس يجرون حساباتهم بالانكليزية وهم يعايشون العربية ، وبها يتكلمون ؟ لماذا الترجمة اذن ؟ ولِمَ نشقى في تعريب العلوم اصلا ؟ ثم ان الطالب يستعمل في الرياضيات رموزا عربية منذ بدء دراسته الى ان يلتحق بالجامعة ، فلماذا لا تكون الجامعة ، ولو في المراحل الاولى ، استمرارا لما عرف وأُلِف ، كي نأخذ بيده برفق لنعرّفه على المزيد ؟ لهذه الاسباب رأينا ان نعرّب الرموز والصيغ الرياضية ، وكل ما تنطوي عليه من قواعد ومعادلات ومتباينات . وفي تنفيذ هذا توخّينا الامور التالية :

١ — هنالك ، كما سبق ، رموز أصبح لها ، كأسماء الاعلام ، دلالات خاصة مميزة . فهذه حافظنا عليها باشكالها واسمائها ، ولكن وضعناها في سياق عربي ، فكتبنا π ، π^2 ، π^3 ، π^4 ، π^5 ، كما نكتب ٢س ، س٢ .

٢ — غايتنا أن يقرأ ابناؤنا وأن يكتبوا بلغتهم ؛ ولكنّا نعرف ان هذا لن يغنيهم عن الرجوع الى المراجع الاجنبية ؛ فاخذنا على عاتقنا أن نسهّل عليهم الامر . واننا نعلم أن هذا يقتضي اجراءات ليست من شأن المترجم ، ولكنّا ، في نطاق مهمتنا ، جرينا على وضع الصور الانكليزية للصيغ والقوانين المتقدمة كي تألفها عين الطالب ولا تنفر منها .

٣ ـ في اللغات الغربيـــة تُسْتَعْمَل حروف متناظرة تخدم اغراضا خاصة ، مثل a ، A ، α . ولأداء هـــذه الاغراض نقترح استغلال اشكال الحـــروف العربية على النحـــو التالي :

أ ، ا ، ﻟ

ب ، ت ، ث

ج ، ﺣ ، ﺟ ، ح ، ﺣ ، ﺣ ، خ ، ﺧ ، ﺧ

د ، ﺪ ، د ، ذ

ر ، ﺮ ، ز

س ، ﺳ ، ﺳ ، ﺳ

ش ، ﺳ ، ﺷ ، ﺷ

ص ، ﺻ ، ﺻ

ض ، ﺻ ، ﺿ

ط ، ظ

ع ، ﻋ ، ﻋ ، ﻋ

غ ، ﻏ ، ﻏ ، ﻏ

ف ، ق ، ﻗ

ﻟ ، ك ، ﻛ ، ل

م ، ﻣ ، ن ، ﻧ ، ﻧ

هـ ، ﻻ ، و ، ى

بمثل هذه المجموعات تصبح الابجديـــة العربية اكثر سخاء مـــن الانكليزية في مـــد الحاسب بالرموز المتناظرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ الارقـــــام

ثمـــة مشكلة لا بـــد من عرضها بوضوح ودون تهويل أو تهوين . وثمة بصددها حقائق يحســـن استذكارها . أمـــا المشكلة فيجابهها من يتعاملون مـــع الارقام ، وهي ان أشكال بعض الارقام العربية لـــم تعـــد تصلح لمسايرة التطـــور الرياضي والتقني . واعني بذلـــك رمزي الصفر والثلاثـــــة .

أمـــا الصفر فان صِغَره ، ومشابهته للنقطة،يعرّضانه لخطـــر الاخفاء والاختفاء والتزوير ، حتى لنفضّل،في احيـــان كثيرة ، كتابة كلمـــة الصفر كاملة خشية الالتباس ، ولا سيما ونحـــن نستعمل النقطة لعدة أسباب ومناسبات ، ونستعمل الصفر الموجـــه وصفر المصفوفة وغيرهما مـــن الاصفار التي ادرجت مؤخرا في مناهج التعلّـــم والتعليم .

وأمـــا شكل الثلاثة ، ذو الاسنان الثلاثة (٣) ، فيسهل التباســـه بشكل الاثنين (٢) ، ولا سيما اذا انبرى أحـــد الاسنان . وقد يبدو هـــذا امرا هيّنا ، ولكن مـــن نتائجه الملموسة اننـــا لا نستطيع ان نطبع بأرقام عربية جداول بحجم كتب الجيب . وينسحب هـــذا على كل الكتب العربية المطبوعة التي تكثر فيهـــا الارقام ، فهي في العربية اضخم منهـــا في اللغات الاوروبية ؛ فاذا علمنا أن الرقم ٣ هو أحـــــد الاسباب ، حـــقّ لنا أن نتساءل : ألا يمكن تعديلـــه أو تغييره ؟

تلـــك هي المشكلة ؛ أمـــا الحقائق التي يحسن استذكارها بهـــذا الصدد فهـــي أن مجموعَتَي الارقام : المشرقية (العربيـــــة) والمغربية (الافرنجية) ، كلتاهما هندية عربيـــة : فهما هنديتان لان منشأهما فـــي الهنـــد ، وعربيتان لان العرب اكتشفوهما ، بعـــد ان كانتا مغمورتين ، ونشروهما . أمـــا المجموعة العربية فقـــد جاءت من السِّند بالذات ، وانتشرت في ما نسميه اليـــوم بالشرق الاوسط ، وهي مـــا تزال تستعمل بصورها الاصلية في الباكستان وبنغلادش وافغانستان . وأمـــا المجموعة (الافرنجية) فقـــد اخذها (الافرنج) مـــن اسبانيا ، وما تزال تُستَعمَل في بـــلاد شمالي افريقيا ، وهي هنـــاك أعرق منها في العالم الاوربي .

قــد يبدو الحلّ واضحا : نأخــذ اشكال الصفر والثلاثة والخمسة المغربية ، ونستعملها بدلا مــن اشكالها المشرقية . ولا ضرر في ذلــك ولا ضرار ، فهي بضاعتنا رُدَّت الينا . وقد يبدو هــذا الحل أهون أمــرا من الحل الذي يدعــو الى استبدال الارقام المغربية كلها بالارقام المشرقية ، اعني التخلي عن هــذه والاستعاضة عنها بالارقام التي تُستَعمَل في الغرب، وتجري بهــا الآلات الحاسبة والآلات الكاتبة وحسابات العالم بأسره .

وسواء اخذنا بهــذا الحلّ أو ذاك ، فهما لا يستدعيان اهمال اي رمــز من الرموز بحيث يذهب نسيا منسيّا ، اذ يمكــن أن يستعمل حيث لا يخشى الالتبــاس .

ولكــنّ هناك أمرا يخطر على بالي : اننــا نعرف كلتا المجموعتين ، قراءة وكتابة ، ونتعلّمها منــذ الصفر ، ولا نجــد صعوبة في كتابة اي منهما ، فلمــاذا لا نستعملها كما نشاء وحيــث نشاء ، وهما مِنّا والينا ؟ يمكن استعمال المجموعــة المشرقية في ترقيم الصفحات مثلا ، وفي الترقيم المتسلسل في الجــداول ، واستعمال المجموعة المغربيــة في المحاسبة والحســــاب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ــ المصطلحات بــين الترجمة والتعريب

هنــا المشكلة الكبرى والعقبة الكأداء ، فالمصطلحات العلمية كثيرة تُعَــدّ بالملايين ، وهي تتكاثر على نحــو يعجز حتى التعريب عن مجاراته ، بله سبقه ، ناهيك عــن الترجمة . ولست انوي ، وليس فــي مقدوري ، ولا احسب أن أحــدا يتوقع مني ، أن اضع البلسم الشافي لهــــذه المشكلة ، أو أن آتي لهــا بالترياق من العــراق . اني انما ادوّن افكارا في نطاق ما نجريه لمجمــع اللغــة العربية الاردني من ترجمة ، وعلــى صعيد المراحل الاولى الجامعيــة . « بيت القصيد »،كما يقولون،هــو : انترجم ام نعــرّب ؟

اذا نحن اخترنا التعريب ، او اجزناه ، يهون الامر ، ومــا علينا عندئذ سوى ان نتّفق علــى ضوابط وانظمة لهــذا التعريب . واذا نحن اخترنا الترجمة يطول الامــر ويُستبطأ الحل .

ولكـــن للترجمة مزايا أراها في صالـــح المجتمع وفي صالح العلم ، فضلا عن انهـــا تلقى رضى وترحابا من اللغويين .

أمـــا انها في صالح المجتمع فلأنها تساعد في نزول العلـــم الى الشارع، ووضعه تحت متناول يـــد المجتمع ، وعلى لسان الجميـــع ؛ ان اللفظ الاجنبي يجعل المصطلح يبـــدو غريبـــا ، وقد يجفل منـــــه الشخص العادي كما يجفل مـــن اسم المرض ، او يرتبك بـــه كما يرتبك باسم الدواء . صحيح أن العمال قـــد عرّبوا اسماء الادوات والاجهـــزة والآلات التي يستعملونها ، ولكـــن الشارع يعرّب ما يعرف ومـــا يستعمل ، ونحن المربين واجبنا أن نزيـــد من معرفته بأن نقرب لـــه ما لا يعرف ، ونُعَرِّبه .

وأمـــا أن الترجمة في صالح العلـــم فمردّ ذلك الى أن في العربيـــة اكتفاء ذاتيا ، في نطـــاق ما تستوعبه من كلمـــات . فالمصطلحات الانكليزية مثلا تتركب مـــن مقاطع لاتينية أو اغريقية ، إنْ يعرفهـــا القليل يجهلها الكثير ، ولـــــذا تبقى بعيدة عن حياة المجتمع بعدا قـــد لا نلحظه الآن واضحا ، لان المجتمـــع الانكليزي يسوده طابع علمي نفتقده في المجتمعات العربيـــة ؛ فالمتعلمون فيه كثر ، وكـــلٌّ يستعمل مصطلحات تخصُّصـــه ومصطلحات من تخصصات أخرى عرفهـــا . هذه النسبة من المتعلمـــين لـــو توافر بعضها في مجتمع عربي تَرْجَـــمَ المصطلحات العلمية ، لكـــان طابعه العلمي أقوى وأوضح ؛ ذلـــك ان اللفظ العربي المترجـــم ينقل معناه ، كلّه او بعضه ، على درجـــات قد تتفاوت من الوضوح ، لمـــن يعرف ، ولمـــن لا يعرف . مصطلحاتنا العربيـــة منّـــا والينا ، ولن نحتاج الـــى رحلة بعيدة في القواميس كـــي ندرك كنهها وفحواها .

كنت أتحدث مـــع باحث ، لغتـــه الانكليزية ، في أمـــر علمي ، فَجَرَت على لساني عبـــارة trigonometric function (= اقتران مثلثي) واذا بصاحبنا ينظر الـــيّ متسائلا في حيرة : function ؟ ماذا تعني ؟

وأوجزت لـــه مفهوم الاقتران في الرياضيات ، فقال : يـــا الهـــي ! كـــم تعبثون ؟ ان كلمـــة function تعني الوظيفة التي حددها الخالـــق للمخلـــوق .

للقارىء عليّ حق ان اوجز لـــه معنى كلمة « اقتران ــ function في الرياضيـــات :

اذا اقترن متغيران ، كعمـــر الطفل وطوله ، او كالسعر والربـــح ، بحيث اذا حـــدد أحدهما يتحدد الآخر ، نقول ان هنـــاك اقترانا . هـــذا المعنى البسيط لا يتضمن اكثر ممـــا تؤديه كلمة « اقتران » اداء طبيعيـــا لا نتكلفـــه ولا نتصيده ولا نتطاول حتى نبلغـــه . دع ما يبقى من شروط الاقتران والتعبير عنـــه رياضيا ، فتلك تفاصيل تعني الدارس وحـــده ، أما المعنى العام ، لـــب المسألة ، فقد ادّتـــه الكلمة بيُسر .

فـــاذا جئنا الى كلمة function نجـــد معناها الدارج « وظيفة او مهنـــة » ، ولكن علماء الفلسفة والديـــن جعلوا لها في عالمهم المعنى الذي عرفـــه صاحبنا وكأنه لا يعرف غـــيره ، في حين جعل لـــه الرياضيون المعنى الـــذي أربك صاحبنا حتى حُسِبُنا نعبث ؛ وهـــذه المعاني كلهـــا كامنة في جذور الكلمة . ولكـــن جذورها ليست انكليزيـــة ، وقد لا يعرفها علمـــاء الفلسفة ولا علماء الرياضيات الا مـــن القاموس ، لانهـــا جذور ميتة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا اظنني بحاجـــة الى ايراد مزيـــد من الامثلة ، ولكن تحضرني قصـــة طريفـــة :

كنـــت أتحدث مع رفيق طريق انكليزي ، فقلت لـــه في معرض حديث مجاملة عابر : كلامك هـــذا حـــق . واستعملت في عبارتي كلمـــة sentence . ولدهشتي ضحك الرجـــل بملء فيه ، وقال لـــي وهو يكاد يأخذني بالاحضان : كيـــف عرفت انني قاض ؟ ان كلمـــة sentence التي كانت اول ما تعلّمناه في دروس القواعـــد الانكليزية ، وقيل لنا إنها تعني « جملـــة » انما تعني ذلك على صعيـــد القواعد المدرسية فقـــط ، ولكنها في الحياة العامـــة تعني العقوبة او القضـــاء .

لست اجهل ولا انكر ان الالفـــاظ العربية تحمل معاني متعـــددة ومتباعدة ، كالانكليزية ، ولكنهـــا تقوم على جذور حيـــة ، عربيـــة او

معرّبة ، فهي ايسر فهمـــا ، واقرب الى الذهن والـــى اللسان . وهذا ما اعنيه اذ اقول إن في العربيـــة اكتفاء ذاتيا يجعـــل في صالح العلم أن تصير العربية لغـــة علـــم ، لان فيها القدرة على الوصول الـــى الملايين .

امـــا ان الترجمة تلقى لـــدى اللغويين رضى وترحابا لا يلقاهمـــا التعريب ، فمـــن منطلق خلاصته : اذا كان هنالك لفـــظ عربي يؤدي المعنى فلا حاجة لنـــا باللفظ الاجنبي .

ولا اعترض على هـــذا المنطلق من حيث المبـــدا ، غير اني لا ارضى أن يُجْعَل قاعدة ندور حولهـــا بعيون معصوبة .

اجـــل ! لا حاجة لنا باللفـــظ الاجنبي اذا كان يجافي الذوق العربي ويستعصي علـــى اللسان ، او يثير ايحاءات ممقوتة ؛ امـــا الأجنبي الخفيف الظل ، الحلـــو الشمائل ، فلماذا لا نرحب بـــه ليكون لنا ثروة لغوية ؟ انـــه سيتخذ سبيله الـــى الشارع ، وسيقبله الناس مـــع الشراب السائغ اللذيـــذ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اننـــا نترجم لنحفظ للغتنـــا اصالتها ومقوماتها ، ولكن هنالك امرا ينبغي الا يفوتنا ، هـــو أن اللغة كيان حي متطور ، وان وضـــع العراقيل دون تطورها أشـــد خطرا عليها من اللفظ الدخيل . ولتطوّر اللغـــة ، في تخيّلي ، سبـــل قليلة معروفة ، منهـــا أن تُفْتَح جميع النوافذ على لغات العالم، فتتلقّى منها مـــا تشاء ، اقتباسا ، واستعـــارة وتعريبا . ومنهـــا ان يُفسَح المجـــال لصياغة الفاظ جديدة ، أو تحميـــل الالفاظ المتوافرة معاني جديدة . ويبدو لـــي أن اللغويين يباركون هـــذا التطوير باللسان وبالجنان ، ولكنهم في الواقـــع يعارضونه عنـــد التنفيذ : الا تراهم مـــا زالوا يلحّون علـــى أن النسبة لا تكون الا للمفرد، مـــع أن الناس يتحدّثون عـــن "الجماهيرية والملائكية والعقائدية والدولية"، كمـــا تحدّث القدامى عن "الشعوبية والانصارية"، حتى و"البحرانية والفاسيانية" (نسبة الـــى المثنى) . ان اللغـــة في اي عصر تسايـــر ذوق الجماهير اكثر مما تساير قواعـــد اللغويين .

اننـــا نترجم لنحفظ للغتنـــا مقوماتها ؛ ولكنّ هنالك امرا ينبغي الا يفوتنا ، هـــو ان علينا ان نجعل لغتنا عالمية ؛ وهـــذا يقتضي ، في نطاق العلم ، ان يكون بينها وبـــين اللغات العالمية عناصر مشتركـــة • ولقـــد احسنت المجامع العربيـــة صنعا اذ افتت بـــأن أي مصطلح علمي مشترك بين اللغات الثـــلاث : الانكليزية والفرنسية والالمانيـــة ، يعتبر عالميا ، ومن ثـــم نُعَرّبه ولا نترجمه . فليتنا نتخـــذ هذه الفتوى ركيزة في ما نعرّب ومـــا نترجـــم .

جـــاء في المصباح المنير ان « الاسم المعرّب هـــو الذي تلقته العرب من العجم نكرة ، نحـــو ابريسم :

ثم (١) ما امكن حمله على نظيره من الابنية العربية حملوه عليه ،
(٢) وربما لم يحملوه على نظيره ، بل تكلموا بـــه كما تلقّوه
(٣) وربما تلعّبوا بـــه فاشتقّوا منـــه .
(٤) وان تلقّوه علمـــًا فليس بمعرّب » .

وليس في هـــذا النص من جديد ، وما جئت بـــه الا لتوكيد اننا انما نصنع مثل مـــا صنعوا : نتلقى اللفـــظ الاعجمي واغلبـــه ، في هذه الايام ، غربي ، ثـــم نحن قد نستبقيه كما تلقيناه ، وقـــد نخضعه للأوزان العربية فنحوّره بعض الشيء تحويرنـــا التلفزيون الى تلفـــاز ، وقد نتلعب بـــه فنشتق منه تلفـــز وتلفزة وبرامج متلفزة .

غـــير اني وانا اتخيل امامي ذلـــك الحشد الهائل مـــن المصطلحات العلمية الاجنبية ، والجهـــود المتواضعة التي يبذلها مجمعنـــا الناشيء لتعريبها ، يلفت انتباهي في النص ان الأعلام تؤخذ كما هـــي ، لا تترجم ، حتى ولا تعـــد معرّبة . واود لـــو نضع في صف الاعلام قائمة طويلة نضم اسماء اجهـــزة القياس ، واصناف الاحياء ، مـــن نباتات وحيوانات ، واسماء العلوم المختلفة ، مثـــل البيولوجيا والجيولوجيـــا والاركيولوجيا ، وكـــل مصطلح اكسبه الشيوع وكثرة الاستعمال هويـــة خاصة وشخصية خاصة ترفعـــه فوق مستوى النكرة ، ولا سيمـــا المتخصصة منها التي يتعامل بهـــا المتخصصون دون سواهـــم .

صفوة القول اذن اننـــا ، سواء اترجمنا المصطلحات ، أم عرّبناها ، ام اخذناها كما نأخـــذ الاعلام ، فاننا في الحالات جميعا نخـــدم اللغـــة ونخدم المجتمع ؛ المهـــم ان نعمل بحزم وعزم ؛ وإنـــا لعاملون .

وفي غضون عملنـــا بالترجمة ، بحزم وعزم ، تجابهنا المصطلحـــات الانكليزية بما تجـــرّ خلفها وتسوق قدامها من بوادىء ولواحق ، فَنُحارُ بها اذ نترجم ونحارُ ايضـــا اذ نعرّب ؛ وكثيرا مـــا نلجأ الى النسبة، فيُمْثُل امام ناظري شبـــح اللغويين ؛ ذلك اننـــا نضطرّ احيانا الى النسبة على غـــير قياس . ثم ان يـــاء النسبة قد طغى استعمالها ، سواء في النسبة ذاتها أم في يـــاء الجمع ، مثل "القدرية والنباتية والحيوانية والاحيائية"، وفي المصادر الصناعيـــة ، في مثل "الدمقراطية والاشتراكية والانعزالية". وهنـــا يدور في خلدي خاطر :

مِـــن قديم استعمَلَ العربُ صِيَغا تعمل عمـــل النسبة ، او شبـــه عملها ، هـــي كالبوادىء أو كاللواحق ، ولكـــن اللغويين لم يسلطوا عليها ما ينبغي من اضـــواء .

فمـــن اشباه البوادىء استُعمِلت ذو وذات وابن واخـــو وامثالها ، فقالـــوا :

ذو مـــال ، وذات الصدور ، واخو حزم ، وابن آوى ، وابن دنيـــا ، وابن السبيل ، وكثيرا غيرهـــا . ومن اشباه اللواحق قالـــوا : بدران ، وزيدان ، وسعيدان ، وارادوا آل بـــدر ، وآل زيد ، وآل سعيـــد . وفي بـــلاد عربية ينسبون الى نادي الهلال فيقولون هلالاب ، والـــى الارض فيقولون أرضاب . ومجموعات اخـــرى نسبت الى السعد فقالـــت سعدون والى العجـــل فقالت : عجلون ؛ ومثلها حمدون ، وزيدون .

انهـــا ملاحظات مشتتة غـــير مبلورة اضعها تحت نظر مجمـــع اللغة من ناحية ، وتحت نظـــر الزملاء الذين يقومون بالترجمـــة ، من ناحية اخرى ، حتى اذا ضاقت بهـــم السبل ، استنفروا السليقة اللغوية ، ولـــو كره اللغويون .

الدكتور احمـــد سعيدان

مِن تاريخ حَيفا العثمانيّة
دِراسَة في أحوالِ عمرانِ السّاحلِ الشاميّ

للدّكتور محمّد عَدنان البخيت

في سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م عندما كان الداعية الاسماعيلي ناصر خسرو (١) (ت ح ٤٥٢هـ/١٠٦٠م) في طريقه من مرو الى القاهرة ، مركز الدعوة الفاطمية آنذاك ، مرّ بحيفا (٢) التي يصفها لنا بقوله : « ثم غادرتها (اي عكة) الى قرية تسمى حيفا في طريق به كثير من الرمل الذي يستخدمه صباغ العجم، والمسمى بالرمل المكي . وحيفا مشيّدة على البحر، وبها نخل واشجار كثيرة . وهناك عمال يصنعون السفن البحرية المسماة بالجودي » (٣) . وبعد ذلك بقرن من الزمان يشير الجغرافي ابو عبد الله محمد بن محمد الادريسي الحسني (٤) (ت ٥٦٠هـ/١١٦٠م) اليها بقوله : « وحيفا تحت طرف الكرمل، وهو طرف خارج في البحر وبه مرسى حسن لارساء الاساطيل وغيرها . ومدينة حيفا هي فرضة لطبرية وبينهما ثلاث مراحل خفاف » (٥). ان هذه الصورة المشرقة لحيفا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، تنعكس وتبدو مكفهرّة في المصادر العربية، وذلك بسبب الخراب الذي لحق بها بعد استرجاعها من أيدي الفرنجة : فهذا شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، لا يذكر شيئا عن صناعة السفن فيها، ولا يشير الى مرساها؛ وجلّ ما يسجّله لنا عنها على انها « حصن على ساحل بحر الشام، قرب يافا، ولم يزل في ايدي المسلمين الى ان تغلّب عليه كندفري (٦) الذي ملك القدس في سنة ٤٩٤هـ / ١٠٩٩م وبقي في ايديهم الى ان فتحه صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م (٧) وخرّبه (٨) . ولم تمكث حيفا طويلا في ايدي المسلمين، اذ استرجعها الفرنجة منهم . والجدير بالذكر ان

الملك لويس التاسع،حوالي سنة ١٢٥٠ ــ ١٢٥١م،حصّن فيهـا القلعة التي تعرّضت للخراب ثانية على يـد المماليك،وذلك في سنـة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م . فيذكـر القاضي محيي الدين بن عبـد الظاهر (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) ، في اخبـار سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، ما يلـي : « وفي سادس وعشرين جمادى الاول (٢ آذار ١٢٦٥م) توجّـه السلطان (الظاهـر بيبرس) الى جهـة عتليت جريدة وسيّر الامير شمس الدين اقسنقـر السلاح دار الظاهري والامير عـز الدين الحموي والامير شمس الديـن سنقر الالفي الظاهري الى حيفـا،فساروا اليها ودخلوا قلعتها،فنجـا الفرنج بانفسهم الـى المراكب بعد ان قتـل منهم واسر ، واحضرت الاسارى والروس ، واخربوا المدينـة وقلعتها واحرقوا ابوابها،وجعلوها خاوية على عروشها كأن لـم تغن بالامس،وكـان اخذها وما اعتمد فيها من قتل واسر واخراب واحراق في يوم واحـد،وعاد الامراء سالمين » (٩) . ويؤكد على هـذه الصورة من الخراب احمـد بن يحيى بن فضل اللـه العمري (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) الذي ينقل عنـه الكاتب الموسوعي شهاب الدين احمـد القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، وصفه لحيفـا بهذه الكلمات : « وهي خراب علـى الساحل » (١٠) والى مثل ذلـك اشار البحارة العثماني بيري محيي الديـن ريس (١١) (ت ح ٩٦٢هـ / ١٥٥٤/١٥٥٥م) ، في مؤلفه : **كتاب بحريـة** ، الذي قدمه سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥/١٥٢٦م الى السلطان سليمـان القانوني ، حيث ذكـر ان قلعتها مدمرة لكـن ميناءها يصلح للرسوّ (١٢) .

كانت حيفا في العهـد المملوكي جزءا من عمـل اللجّون (١٣) الذي كان تابعا لصفد،والتي هـي بدورها كانت تشكـل القاعدة الخامسة من قواعـد المملكة الشامية (١٤)،ولـم تتبدل هذه التبعية في العهـد العثماني . فمـن المعروف أن العثمانيين بعـد قضائهم سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢١م ، على حركـة العصيان التي قادهـا ضدهم الامير المملوكي جان بردى بن عبد اللـه الغزالي المولى على دمشق « ومعاملاتها » (١٥) ، من قبل السلطان سليـم الاول ، قسموا بـلاد الشام الى ثلاث ولايات : ولاية حلب ، ولاية طرابلس الشام،وولاية دمشق الشـام . وقسمت

الولاية الاخيرة الى عـــدد من السناجق (الالوية) هي : دمشق ، تدمر ، عجلون ، الكرك (كانت في معظـــم الاحيان تدمج مـــع عجلون) غزة ، القدس الشريف ، نابلس ، صفـــد واللجون (١٦) . وعنـــد العودة الى دفاتر الطابو (الاراضي) العائدة الـــى سنجق اللجون نجدها تذكر حيفا كقرية في ناحية ساحـــل عتليت الغربي التابـــع للسنجق المذكور . ولعله من المفيد هنا أن نقارن المعلومات الواردة عن حيفـــا في دفترين من دفاتر الطابو : الاول منهما (١٧) يعـــود تاريخه الى سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ، أما الثاني (١٨) فيرجع تاريخـــه الى سنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نلاحـــظ من هذين الاحصائين انـــه خلال العهد العثماني من القرن السادس عشر الميلادي أن عـــدد السكان بحيفا كان قد تضاعف . وهذه الزيادة العالية جاءت متفقة مـــع ظاهرة زيادة السكان التي شهدتهـــا ولاية دمشق حتى مطلـــع سبعينات القرن السادس عشر ، الا أن سكـــان حيفا لم يتناقصوا على غرار مـــا لوحظ في ولاية الشام (٢٠) . ولقـــد واكب هذه الزيادة ارتفاع في كميـــات الضرائب المحصلة اذ ارتفعت مـــن ٤٧٥١ اقجة (٢١) بموجب الدفتـــر الاول الى عشرة آلاف اقجة حسبمـــا جـــاء في احصاءات الدفتر الثاني . بجانب ذلك نلحـــظ ارتفاع الاسعار ، فمثلا كانت غرارة (٢٢) الحنطة تقدر بمائـــة وعشرين اقجة سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م فأصبحت تقوم بمائـــة واربعين اقجة بعيد نهايـــة القرن . وعلينا ان نتذكر هنـــا ، ان الدولة العثمانية في اواخـــر القرن السادس عشر الميلادي قـــد بدأت تعاني من ازمـــة تضخم مالي كبيرة ، اذ ان عملتهـــا الفضية لم تعـــد قادرة على مواجهة ضغـــط العملات الاوروبية خاصة الفلوري الايطالي الذهبي الذي بـــدأ يغزو الاسواق العثمانية المفتوحة نتيجة لتدفق كميات ضخمة مـــن الذهب والفضة من امريكا على اوروبا . وكان اجتهاد الدولـــة العثمانية الذي الحـــق الضرر الكبير بعملتها يتلخص بانقاص كمية الفضة في تلـــك العملة ، فارتفعت نتيجة لذلك اســـعـــار السلع وبهـــذا ضعفت القـــوة الشرائية للاقجة (٢٣) .

كمـــا نرى من قائمة الضرائب المدونـــة سابقا ، ان الدولـــة العثمانية كانت تأخـــذ ربـــع الحاصل الشتوي عينا أو قيمته نقـــدا (٢٤) . أمـــا فيما يتعلق بأشجار الزيتون فلقد نص قانون لـــواء اللجون على ما يلي : اذا كان الزيتون روماني فنصف حاصله يعطى للسباهية ، أمـــا اذا كان الزيتون اسلاميـــا فلقد كانت الدولة تجبي اقجـــة عثمانية واحدة عن كل شجرتين . وكانت الدولة تأخـــذ عن كل مائـــة شجرة من الكرمة خمس اقجات عثمانية . والجديـــر بالملاحظة ان الضريبة علـــى الاشجار يشار اليها في هـــذه الدفاتر بالمصطلح الاسلامي المعروف « خراج » (٢٥) . امـــا الضريبة المحصلة عن الماعـــز فيشار اليها باسم « رسم » والقاعدة التي اتبعت في جبايتها ان تؤخـــذ اقجة واحدة عن كل رأسين مـــن

الماعـــز (٢٦) . والطريف ان العثمانيين كانـــوا يجبون رسوما علـــــى المناحل بمعدل اقجة واحدة عن كـــل منحلة (٢٧) . ويلمس الدارس لدفاتر الطابو المتعلقة ببلاد الشام أن تربيـــة النحل كانت منتشرة في هذه البلاد .

لقـــد شهدت المحاكم في بـــلاد الشام في العهد العثماني اجراءات جديدة تتمثل في جمـــع رسم محدد عند النظر في الدعـــاوى والقضايا ، او عند عقـــد نكاح وكذلك عنـــد تسجيل حجة . فكانت الرسوم التـــي تجمع عند عقـــد نكاح بكر او مطلقة او ارملة يطلق عليها اســـم « رسم عروس » (٢٨) كان جـــزء من هذه الرسوم يخصص للقاضي ولمـــن يعمل معـــه في المحكمة والقسم الاكبر كـــان يعطى لاصحاب « الخاص » او « الزعامت » او « التيمار » حسبما يحـــدد ذلك دفتر الطابو لكل بلـــدة او موقع . امـــا الضرائب الطارئة والمتفرقة وهي تشبه ما كـــان يشار اليه في العهـــد العباسي باسم « الطيارات » ، فان المصادر العثمانية عادة ما تعبر عنها بالمصطلح الفارسي « بادهوا » (٢٩) . وعنـــد وقوع جريمة قتل او سرقة او انتحار فـــان الدولة كانت تأخذ من المسؤولين عن تلك الجريمة رسوما تعرف باسم « رسم جـــرم وجنايت » . امـــا اذا كان المتسببون بذلك مجهولين فان اهالي الحارة كانوا يجبرون على دفع تلك الرسوم (٣٠) .

اذا مـــا اجلنا النظر في قائمـــة الضرائب المدونة سابقا نجدهـــا تشير الى ضريبـــة تسميها محصول اسكلة (٣١) (ميناء) . واذا ما عدنـــا الى قانون نامـــه لـــواء اللجون فاننا لا نجـــد نصا يوضح القاعـــدة التي كان يتـــم بموجبها جمع هـــذه الضريبة . الا ان قانون نامـــه لـــواء الشام ، لحسن الحـــظ ، يحدد بالتفصيل مقـــدار الرســـوم المحصلة ســـواء على المـــواد المصدرة او المستوردة ويشير الـــى ذلك بما يلـــي : « يطلق على مـــا يجبى من جمارك ورسوم وغيرها من الواردات عنـــد ابواب الموانىء الكائنة في ولايـــة الشام كبيروت وصيدا وصور وعكة ويافـــا ، يطلق عليها اســـم موجب باب الميناء . ويزودنا قانون نامـــه المذكور اعلاه بقائمة طويلة ومفصلة باسماء السلع والمـــواد المستوردة او المصدرة ومقدار الرســـم المتوجب عليها مبينـــا القاعدة

المتبعة في تقدير قيمة البضاعة والرسم المستحق (٣٢) . وهناك ضريبة تذكر في الدفتر الاول فقط بينما لا يذكرها الدفتر الثاني ، حيث ترد باسم معادية وليس لدينا معلومات عنها ، ولربما كانت المعادية تشبه الضريبة التي كانت تجمع في لواء نابلس من المسلمين باسم « رسم رجالية » بمعدل ٤٠ اقجة على الخانة المسلمة الواحدة (٣٣) . واخيرا فان هذين الدفترين لا يشيران الى ضريبة تجمع عن اشجار النخيل في حيفا مما يدل على عدم وجودها ، هذا مع العلم ان ناصر خسرو كما راينا في رحلته يشير اليها في حيفا بقوله : « وبها نخل واشجار كثيرة » .

ان كلا الدفترين يشيران الى ان قرية حيفا كانت من ضمن اقطاع أسرة آل طراباي (٣٤) التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم الاسرة الحارثية (٣٥) . فالدفتر الاول يذكرها من ضمن الاقطاعات التي أعطتها الدولة العثمانية « لامير الدربين » طراباي بن قراجة . كما ان الدفتر الثاني يبين ان ريعها كان موزعا ما بين احمد وعلي : ولدي طراباي ووكيلهم (كتخداهم) داؤد . هذا بالاضافة الى خمس مزارع جوار حيفا بلغ مجموع ما يتوجب منها سبعة آلاف اقجة موزعة بين ثلاثتهم (٣٦) . الا انه من الملاحظ ان هذه الاسرة لم تسع الى تطوير ميناء حيفا واستغلاله تجاريا مع اوروبا التي نمت تجارتها مع سواحل بلاد الشام في مطلع القرن السابع عشر ، على غرار ما اقدم عليه معاصرهم فخر الدين المعني في تطوير وتوفير الامن في موانىء بيروت وصيدا وعكا . بل كانوا في سياستهم تلك يلتقون الى حد بعيد مع سياسة الزعيم السني يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م) في طرابلس (٣٧) في عدم اكتراثه بتشجيع التجارة مع الاروبيين . بل اكثر من ذلك فان احد الاحكام الشريفة المرسلة من السلطان الى قاضي اللجون بتاريخ ١٧ شوال ١٠١٩هـ / ٢ كانون الثاني ١٦١١م ، يشير الى ان تجار الافرنج الذين كانوا يفدون على حيفا للتجارة كانوا يتعرضون للأذى والخطر من جانب امير اللواء وآخرين من رجاله . لذا فان هؤلاء التجار لم يعودوا يرتادون حيفا وان الحكم يطلب من القاضي ان يمنع امير اللواء ورجاله من التعرض بأي اذى لهؤلاء التجار (٣٨) .

ويمكننا القول انـــه نتيجة للصراع الذي نشب ما بين الامير فخـــر الدين المعني والامير احمـــد الحارثي (ت ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م) فان حيفـــا قد اصيبت بأضرار بالغـــة . ففي سنة ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م تبين لفخر الديـــن المذكور ، زعيـــم الجناح القيسي في بـــلاد الشام ، أن احمـــد الحارثي ، زعيم الجناح اليمني آنـــذاك ، يعمل ضده فأرسل فخر الدين احـــد رجاله « نصوح بلوكباشي مسك برج حيفـــا » فما كان من علـــي الحارثي : شقيق احمـــد ، الا أن أغار على ساحل عكـــا وأخـــذ طرشه وعاد الى بلاده مارا على حيفـــا فطلع اليه ولاقاه نصوح بلوكباشي بسكمانيته وبيرقه في برج حيفـــا لان الامير كان أوقفه فيـــه كما ذكرنا ، وحاربه وقصد بذلك اخـــذ الطرش منه واستخلاصه فركضوا عليـــه وعلى جماعته بالخيل وجماعة مشاة فقتـــل نصوح المذكور مع رجلين آخريـــن وانهزم الباقي الى البرج فدخـــل عليهم الوهم ونزلوا في مركب وجاؤوا الى عكـــا (٣٩)... وصارت عرب الامير احمـــد بن طرباي تغير على بـــلاد كفركنا وتأخـــذ طرشها وغلالها وصيرتها دكـــا واستمروا على ذلك الى ان وصل اليهـــم خبـــر كسرة عسكر الشام » (٣٩) في معركة عنجـــر (٤٠) . فبعد انتصار فخر الدين في تلك المعركة ، قـــام في شهر شعبان ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م بالتوجـــه الى شمالي فلسطـــين حيث اعادها الى سيطرته وكـــان من ضمن ذلك حيفـــا . « وابقى في برج حيفا ترتر حمزه بلوكباشي وحط عنده عازقا (٤١) يكفيه وعمل الامير فخـــر الدين في هذه المنزلة أوتراق (٤٢) ثلاثة أيام » (٤٢) وكانت قـــد جرت اتصالات للصلح ما بـــين المعنيين والحوارث « وفـــي عاشر شهر شوال (١٠٣٣هـ / ٢٧ تموز ١٦٢٤م) صار بين الامير فخـــر الدين وبين الامير احمـــد بن طرباي مكاتبات ومراجعـــة ومراســـلات وحصل الاتفاق بينهما أن الامير فخـــر الدين بن معن يرفع سكمانيتـــه من برج حيفـــا وان الامير احمـــد بن طرباي يمنع عربانه عـــن التخريب في بـــلاد صفد وتصير المصافاة بينهما على بعـــد ، ففعل كل منهما ذلـــك ، غير ان الامير احمـــد بن طرباي ارسل هدم برج حيفا المذكور بعـــد خروج السكمانية منـــه ومشت الدروب بين بـــلاد حارثة وبلاد صفد وما عاد احـــد يتعرض الى احـــد » (٤٤) فلربما بسبب هذا الخراب نرى احمـــد

الحارثي يخرج عـــن سياسته التقليدية القائمة على عـــدم الاهتمام بالميناء فنجده يسمح لاحـــد الرهبان الكرمليين سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م ببنـــــاء مساكن في الميناء ويعطيه بذلك دستورا يقول فيـــه : « ... وكذلك في الميناء يعمر ما يحتاج اليـــه من المساكن واعطيناه دستـــور في ذلك ، فبموجب ذلك لا احـــد يعترض لهـــم في ذلك بوجه من الوجوه لا من اهـــل البلد ولا من غيرهم مـــن العربان والفلاحين وكل من يعترض لهـــم لا يلوم الا نفسه والحذر مـــن المخالفة في ذلك ، وذلك جرى في اواخـــر شهر جمادى الاول سنة واحـــد واربعين بعد الالف » (٤٥) . وكما يبدو ان هذه التجربة لم يكتب لهـــا النجاح اذ ان هناك بعض الاشارات تفيد انـــه بـــدأ يضايق الرهبان بـــل زيادة على ذلك سجن احدهم ولـــم يطلقه الا بعد ان دفع ذاك الراهب لاحمـــد الحارثي فدية عـــن نفسه (٤٦) .

كانت الدولة العثمانية السنية تنظر بمزيد من الحذر لتحركات الاقليات من الجماعات والطوائف غـــير السنية في بـــلاد الشام خاصة في منطقة الشوف وجبل عاملة والجليل الاعلى . فلقـــد كان سكان هـــذه المناطق خاصة جنوبي لبنـــان وشمالي فلسطين ، خليطا من الدروز والشيعة الاثني عشرية (المتاولـــة) والعناصر المسيحية التي كـــان من ابرزها الموازنة الذين دابوا على الهجرة من الشمال الى الجنوب بتشجيع من فخر الدين المعني الثاني ، هذا اذا اخذنا ايضا بعين الاعتبار الهجرة اليهودية في القرن السادس عشر (٤٧) الى منطقتي طبرية وصفـــد . يضاف الى كـــل ما ذكر اعلاه تواجـــد العناصر البدوية ، ولعلنا لا نجانب الحقيقـــة اذا قلنا ان نسبة العناصر السنيـــة المستقرة كانت في تلـــك المنطقة ضئيلة بالنسبة لمجموع السكان . فمن اجـــل معالجة هذا الامر نجـــد ان الدولة العثمانية تحاول سنـــة ١٠٢٣هـ / ١٦١٤م ، بعد هروب فخر الدين المعني الى تسكانيا ، اجراء تنظيـــم اداري جديد في ولايـــة دمشق الشام . فاقتطعت ناحيتي صيـــدا وبيروت ولـــواء صفد وشكلت منها ولاية جديدة عرفت باسم ولاية صيـــدا ، وكانت الغاية الاولى من وراء ذلـــك مراقبة وضبط حركـــات الدروز (٤٨) . الا ان الحياة لـــم تكتب لهذه المحاولة اذ ان الدولـــة العثمانية عادت وصرفت النظر عنهـــا واعادت الولاية الجديدة

الى ما كانت عليه في السابق من حيث تبعيتها لولاية دمشق الشام . والمحاولة الثانية التنظيمية جاءت سنة ١٦٦٠م وهدفت كالاولى الى ضبط العناصر المحلية من المعنيين والشهابيين والحمادية والشيعة وكانت كما وصفها المطران الماروني اسطفان الدويهي (ت ١٧٠٤م) مشيرا الى خطورة خطوة الوزير محمد باشا كوبريلي والي دمشق الشام آنذاك : « ... وحتى يحطم ذراع اولاد العرب عمل صيدا باشاوية وكتبها على علي باشا الدفتردار » (٤٩) . وبالرغم من هذا التنظيم الاداري الجديد ظلت حيفا جزءا من لواء اللجون وتابعة لولاية دمشق الشام مع العلم ان مساحات كبيرة من الاراضي المحيطة بحيفا بما في ذلك خليجها الشمالي ، كانت قد ضمت الى اراضي الولاية الجديدة . وربما كان هذا من حسن حظ حيفا اذ انها بسبب بعدها عن عين سلطة دمشق اصبحت مأوى للقراصنة وللتجارة المهربة حتى اصبح يطلق عليها اسم « مالطة الصغرى » . فأخذت السفن تقصدها متجاوزة عن عكا وصيدا وعلى الاغلب للتهرب من دفع الضرائب المستحقة او لشراء مواد لم تكن الدولة تسمح بالمتاجرة بها كالقمح والبارود وللتزود بالماء . وكان القنصل الهولندي في عكا طرفا في عملية التهريب تلك فكان ذلك مدعاة لاثارة حفيظة زميله القنصل الفرنسي نظرا للأضرار التي لحقت بالتجارة الفرنسية التي كانت تعتمد مينائي صيدا وعكا . ونتيجة للشكاوى الفرنسية ، اصدرت الدولة العثمانية سنة ١٧١٦م فرمانا الى خليل باشا واليها في صيدا ، تشير فيه الى حركة القرصنة وتأمره ببناء عدد من الابراج حول ميناء حيفا في محاولة منها لوضع حد لعملية التهريب تلك . واستجابة لذلك قام الوالي المذكور بزيارة استطلاعية للمنطقة وكانت توصياته تتلخص باعادة بناء القلعة ولكن وفاته المفاجئة اجلت الموضوع الى ان استؤنف النظر فيه سنة ١٧٢٢م (٥٠) . وكان قرار الدولة العثمانية يتلخص في تعمير برجين على جانبي الخليج ، بدل اعادة تعمير القلعة نظرا لما كان يتطلبه اعادة بنائها من التكاليف الباهظة . وكلفت واليها عثمان باشا ابو طوق (٥١) في صيدا بالاشراف على تنفيذ هذا القرار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتم انجاز تعمير البرج الاول على الجهة الشرقية في سنة ١٧٢٣م وفرغ من اقامة البرج الثاني على الجهة الغربية من الميناء في سنة ١٧٢٥م . واقام عثمان باشا ابو طوق في كل منها ستة وثمانين من جنود المدفعية (٥٢) وستة وثلاثين من الجبجية (٥٣) ولقد زار الرحالة الانجليزي Richard Pococke حيفا سنة ١٧٣٧م واشار الى ان الهدف من وراء تشييد هذين البرجين ، كان صد هجمات القرصان . ومن خلال تفاصيل رحلته يلاحظ القارىء نشاط القرصان من مالطا في منطقة شرقي البحر الابيض المتوسط (٥٤) . كل ذلك تم وحيفا ما زالت تابعة لولاية الشام ، فمن اجل تصحيح هذا الوضع ووضع الامور في اطارها الطبيعي صدرت اوامر الدولة في سنة ١٧٢٥م بضمها وضم طنطورة الى ولاية صيدا (٥٥) . ورغبة من الدولة في تعمير حيفا ، وعدت ستة من اصحاب الزعامات في سنجق اللجون وخمسة وثلاثين من اصحاب التيمارات في السنجق المذكور باعفائهم من دفع بدل رواتب الجنود الذين كان يجب عليهم توفيرهم على حسابهم الخاص مقابل حصولهم على تلك الزعامات والتيمارات ، فيما اذا انتقلوا وسكنوا في بيوت تقام لهم بالقرب من البرجين المذكورين . وزيادة في التشجيع على سكنى حيفا وعدت الدولة المسيحيين الذين ينتقلون للاقامة في حيفا باعفائهم من الجزية وكذلك من سائر التكاليف العرفية (٥٦) ، ولقد كانت الاستجابة من جانب اصحاب الزعامات والتيمارات والينكجرية كبيرة ، ويلاحظ انه بعد انتقالهم للسكنى في حيفا بدأوا بالعمل في الزراعة مما جعلهم يصطدمون مع الاهالي من سكان حيفا ومع الفلاحين هناك . ولقد عقد اجتماع في اواخر صفر ١١٣٨هـ اوائل تشرين الثاني ١٧٢٥م ، برئاسة الوالي الحاج عثمان باشا ابو طوق المذكور اعلاه للنظر في الامر وللبحث عن حل للمشكلة . وتم الاتفاق في ذلك الاجتماع على ان لا يتعرض الاهالي ولا الفلاحون اصحاب الزعامات في حراثة وفلاحة الاراضي المهجورة . وسجلت بنود هذا الاتفاق في حجة شرعية باللغتين العربية والعثمانية وحفظت نسخة منها في « الجبخانة » للعودة اليها . ونظرا لاهمية هذه الحجة فاننا نثبت نصها العربي التالي (٥٧) :

« لما انعقد المجلس الشرعي في القلعة المجددة موجب الفرمان العالي الشريف غربي اسكلة حيفا بحضرة جناب الدستور المكرم المشير المفخم ناظم مناظم الامم الحاج عثمان (٥٨) باشا محافظ ايالة صيدا حالا زاده الله رفعة واجلالا وبحضرة فخر الاشباه الحاج مصطفى (٥٩) حمود زاده ضابط (٦٠) اسكلة حيفا الملحقة باسكلة عكا (٦١) وفخري المستحفظين (٦٢) طوبجي ابرهيم اغا وجبجي باشي محمد اغا وشعبان اغا وفخر الاشباه حسين بيك اميرالاي (٦٣) سنجق اللجون حالا واميرالاي السنجق المزبور سابقا مصطفى زعيم (٦٤) الطيرة (٦٥) وحيفا وبحضرة الشيخ رافع (٦٦) والشيخ أحمد مرعي (٦٧) المتكلمين على أهالي حيفا وكافة الاسباهية والينكجرية الساكنين بقلعة حيفا الشرقية وأحمد مصلح وسائر الفلاحين (٦٨) والاسباهية والينكجرية المرموقين . ان الشيخ رافع والسيد احمد مرعي مشايخ حيفا يتعارضونهم في أراضي ناحية حيفا قائلين وزاعمين أنها لهم ولا يأذنون لهم في حرثها وزرعها وطلبوا دفعهم عنهم وعدم المنازعة لهم . فسئل من مشايخ حيفا المذكورين ومن فلاحيها عن ذلك فأجابوا منكرين المنازعة والمعارضة بل لسائر سكان القلعتين الشرقية والغربية ان يزرعوا ويحرثوا في أي أرض أرادوا زرعها وحرثها ان كانت من أرض السعادة (٦٩) أو الحوارث (٧٠) وسائر اراضي احمد زيدان (٧١) واتباعه النازحين عن قريتهم وأي ارض تركها اهلها ثلاث سنوات معطلة وغامرة من غير حرث ولا زرع لهم أن يحرثوا ويزرعوا ويتصرفوا بها كما شاءوا واختاروا شرعا وفرعا لا ينازعهم منازع ولا يعارضهم معارض ، فعندها كان من كلام جناب الوزير المشار اليه أن هذه الاراضي حيث تركها اهلها ونزحوا عن بلادهم رجعت رقبتها وتصرفها لبيت مال المسلمين وصار امرها مفوضا لوكلاء حضرة السلطان نصره العزيز الرحمن ولضابطي المقاطعات ولما كان الامر كذلك ، صدر الامر منه أن من سكن في احدى القلعتين المزبورتين من الفلاحين والزراعين والحراثين وساير الرعايا على موجب الفرمان العالي الشان السلطاني وعمر بهما بيتا من حجر ومدر وسكن واستقر بهما لاجل محافظة بلاد المسلمين ونفوس المؤمنين ففي اي ارض حرث

وزرع من سائر اراضي سنجق اللجون لا يدفع من محصولاتها الا العشر الشرعي للمعشر كما هو مسطر في كتب الفقه ويكونون معافون (كذا) من جميع التكاليف الشاقة وغيرها ، فعندها التمس سكان القلعتين سندا شرعيا يكون بيدهم مخلدا فقرر مشايخ حيفا أن بلدهم خمسية ومن الآن كل من طلبوا منه ما هو متوجب عليه من المال فيفر عنهم ويسكن في احدى القلعتين فيلزم منه خراب بلدتهم ، فعندها صدر الامر من جناب الوزير المشار اليه ان من فر من أهالي حيفا وسكن باحدى القلعتين فمهما كان متوجب عليه من المال يدفعه لهم ولا ينازعهم من سكان القلعتين منازع ومن تاريخ هذا الكتاب من أراد السكنى من أهالي حيفا في احدى القلعتين فلا يواويه أحد من سكانهما وارتضى كل من الفريقين على ذلك واقره كل منهم وانفصل الامر عليه والتمس كل منهما كتب هذا الصك وحفظه في كل من القلعتين في الجبخانة العامرة ليكون للفريقين سندا شرعيا فكتب ما وقع وحرر بالطلب في اواخر صفر الخير لسنة ثمان وثلاثين ومائة والف »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شهود

الحاج يوسف بيك	**محمد بيك زعيم**	**ابراهيم بيك زعيم**
رجب بيك	**احمد بيك**	**عوض بيك**
احمد بيك	**قرا حسن طوبجي**	**يوسف جبجي**

وغيرهم

لقد اتسم العهد العثماني في بلاد الشام ، مقارنة بغيره من العهود الاسلامية ، بتوفير الامن والحماية لسواحل تلك البلاد ، ولقد واكب ذلك ازدهار تجاري اوروبي مع السواحل الشامية ، فكان من النتائج التي ترتبت على ذلك ان السواحل التي كانت مهجورة منذ اخراج الفرنجة منها سنة ١٢٩١م ، قد دبت فيها حركة العمران ، ونتيجة للاغراءات التجارية ونظرا للانقسام الذي أصاب الكنيسة الارثوذكسية ، أصبحت العناصر السكانية ، خاصة المسيحية منها

تهاجر بالتدريج من الداخل الى الساحل الذي أصبح يكتسب سمة مسيحية بارزة.وزيادة على ذلك فان مراكز الثقل الحضاري والتجاري والفكري والسياسي قد بدأت ايضا تتحول تدريجيا عن الداخل نحو الساحل.ومن هنا لم يكن ظهور الزيادنة وأحمد باشا الجزار ثم دور مدن السواحل في القرن التاسع عشر والعشرين عفويا .

ان حركة العمران تلك التي عرضنا لها في حيفا لم تكن الوحيدة في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر بل ان هناك تجارب مشابهة ، والذي يهمنا أن ندعو اليه هنا انه من أجل فهم دقيق وموضوعي للقرن التاسع عشر ، أنه آن الاوان لدراسة القرن الثامن عشر من مختلف جوانبه لفهم حركة الاصلاح والتجديد ، قبل هبوب رياح الحضارة الاوروبية على المجتمع الشامي الاسلامي لتتركه على مفترق الطرق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي من مواليد سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م ، عمل ، بعد دراسته مختلف فروع المعرفة المعروفة في عصره آنذاك موظفا في مرو وتقلب في عدد من المناصب ، الا أنه تركها وغادر مرو لاداء فريضة الحج ، وربما جاء ذلك تلبية لدعوة من الخليفة الفاطمي في القاهرة . بعد اقامة له بالقاهرة ادى فريضة الحج وعاد الى بلخ وهو يحمل « لقب الحجة في الدعوة » ، طارده السلاجقة فالتجأ الى مناطق يمكان حيث انصرف للتأليف والدعوة توفي سنة ٤٥٢ / ٤٥٣هـ ١٠٦٠/١٠٦١م ، حول مؤلفاته ورحلته أنظر :

E. Berthels, "Nasir-i : Khusraw" E. I. Vol. iii, PP. 869 - 70.

كذلك انظر المقدمة التي صدر بها يحيى الخشاب الترجمة العربية لسفر نامه ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٥ — ٣٢ .

(٢) حول حيفا انظر : "Hayfa" E. I , Vol. iii, PP. 324 - 6

انظر كذلك النصوص المجموعة منها :

Palestine Under The Moslems, by Guy Le Strange, Khayats, Beirut, 1965, P. 446,

وفي كتاب بلدانية فلسطين العربية للأب ا. س. مرمرجي الدومنيكي ، مطبعة جان دارك ، ١٩٤٨ ، ص ٦٥ . أما عن حيفا في القرن التاسع عشر فانظر كتاب :

Laurence Oliphant, Haifa or Life in Modern Palestine, London, 1887.

اشكر الاستاذ عبد العزيز الدوري والدكتور عوض خليفات اللذين زوداني بنسخة مصورة من هذا الكتاب ، كذلك انظر مقالة :

Archdeacon Dawling, "The Town of Haifa", Palestine Exploration Fund, Vol. (1914) PP. 184 - 91.

أما عن حيفا في مطلع القرن العشرين فراجع محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الحلبي ، ولاية بيروت — القسم الجنوبي ، مطبعة الاقبال ، بيروت ، ١٣٣٥هـ ، ص ٢٢٦ — ٢٧٠ .

(٣) ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٥٣ ، أما الجودي فهي مفردة قرآنية ترد في سورة هود في معرض قصة سفينة نوح عليه السلام حيث يقول سبحانه وتعالى : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » آية رقم ٤٤ . وفسرت الجودي هنا بأنها مكان حيث يذكر ياقوت ذلك بقوله « الجودي ... هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح عم لما نضب الماء » ومثل ذلك يذكره ابن منظور الا انه يضيف اليها معنى آخر نقلا من الجواليقي فيقول : « والجودياء بالنبطية أو الفارسية الكساء » وذكرت الكلمة في بيت من الشعر بمعنى « جبة السمور » حتى هنا نرى أن هذه اللفظة لا تستخدم بمعنى السفينة والجدير بالذكر ان شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر

البناء البشاري المقدسي (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) عند تعداده لبعض أنواع السفن لا يذكر الجودي ، زيادة على ذلك لا يأتي على ذكر حيفا عند تناوله اقليم الشام . كما ان حبيب الزيات في مقالته « معجم المراكب والسفن في الاسلام » لا يذكرها ، وعند العودة الى كتاب جورج فضلو حوراني فانه لا يذكر الجودي ، راجع موهوب ابن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) **المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم** ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، طبعة الاوفست ، طهران ، ١٩٦٦م ، ص ١١١ ، أنظر **أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** ، تحقيق دوغويه ليدن ١٩٠٦م ، ص ٨١ ، ص ١٥١ — ١٩٢ ، **معجم البلدان** ، ٦ م تحقيق فردناند وستفيلد ، طبعة مصورة ، طهران ، ١٩٦٥م ، م ٢ ، ص ١٤٤ ، **لسان العرب**، ١٤ م ، دار صادر بيروت ، ١٩٥٥ — ١٩٥٦م ، م ٣ ، ص ١٣٨ — ١٣٩ ،حبيب الزيات، «معجم المراكب والسفن في الاسلام» ، **المشرق** ، م ٤٣ ، (١٩٤٩م) ص ٣٢١ — ٣٦٤.

George Fadlo Hourani, Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times, Khayats, Beirut, 1993.

(٤) حول حياة الادريسي أنظر :

G. Oman, "al-Idrisi" II[2] Vol. iii, PP. 1032 - 5.

(٥) الادريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، المجلد الرابع ، روما ، ١٩٧٤م ، ص ٣٦٥ .

(٦) كدفري المقصود به هو Godfrey de Bouillon (١٠٦٠ — ١١٠٠م) دوق لورين الدنيا ، كان قد استجاب مع اخوته لنداء البابا أوربان الثاني في ارسال حملات صليبية لاستخلاص قبر السيد المسيح من أيدي المسلمين ، وشارك في حصار القدس والدخول اليها في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩م ، حيث وقع عليه الاختيار ليكون أول ملك فرنجي للقدس ولكنه رفض لقب ملك واكتفى بلقب :

Advocatus Sancti Sepulchri

ولقد كانت وفاته يوم الاربعاء في ١٨ تموز سنة ١١٠٠م وخلفه على ملك القدس اخوه بلدوين الاول أنظر حول هذه الاحداث :

S. Runciman, A History of the Crusades, Vol. I, Cambridge U. P, PP. 112, 145 - 7, 280 - 6, 291 - 318

(٧) ذكر ياقوت خطأ ان تاريخ استرجاع حيفا كان سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م والواقع كان ذلك بعد عشر سنوات من التاريخ الذي ذكره . حول ذلك أنظر العماد الاصفهاني ، محمد بن صفي الدين (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) ، **الفتح القسي في الفتح القدسي** ، تحقيق وشرح محمد محمود صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٩٤ ، حيث يذكر أن حيفا استسلمت الى بدر الدين دلدرم وغرس الدين قليج بعد فتحهم قيسارية .

(٨) ياقوت ، **معجم البلدان** ، م ٢ ، ص ٣٨١ .

(٩) حول هـذا الدمار الذي لحق بحيفا في عهـد السلطان الظاهر بيبرس ، أنظـر محيي الدين بن عبـد الظاهر **الروض الزاهر في سيرة الملـك الظاهر** ، تحقيق ونشر عبـد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦م ، ص ٢٣٤ ، وكذلك راجـع بيبرس الدواداري المنصوري (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) **زبدة الفكرة في تاريـخ الهجرة** ، المتحف البريطاني ، رقـم Add. 23325 ورقة ٧٠ ب ، راجع أيضا تقي الدين أحمـد بـن علي المقريزي (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) ، **السلوك لمعرفة دول الملـوك** ،م ١ / ق ٢ تحقيق محمـد مصطفى زياده ، القاهرة ، ١٩٣٦م ، ص ٥٢٧ ــ ٥٢٨ ، والملاحـظ ان الشيخ قطب الدين يونس بـن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) لا يذكر خبـر مهاجمة حيفا في أخبـار سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، أنظر **ذيل مرآة الزمان** ، ٢ م ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م ، م ٢ ، ص ٣١٨ . أما أبـو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) فيشير الـى أن الظاهر بيبرس فتح قيساريـة « وتسلم قلعتها في يـوم الخميس الآخر خامس عشرة فهدمها وانتقل الـى غيرها » **البداية والنهاية** ، ١٤ م ، بيروت ، ١٩٦٦م ، م ١٣ ، ص ٢٤٤ .

(١٠) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ١٤ م ، المطبعة الاميرية ، دار الكتب المصرية ١٩١٢ ــ ١٩١٩م ، م ٤ ، ص ١٥٥ .

(١١) حول حياة هـذا البحار انظر :

Franz Babinger, "Piri Muhyi al-Din Reis" E. I, Vol. iii, PP. 1070 - 71.

(١٢) أنظر هـذا الوصف في النص الذي ترجمه ونشره :

U. Heyd, "A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixteenth Century", Israel Exploration Journal, Vol. Vi, (1956), PP. 201 - 216.

(١٣) حول اللجون انظر صدر الدين محمد بـن عبد الرحمن العثماني الدمشقي (ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٦م) حيث يذكره على انـه ولاية من العمل السابع في صفد وان أهلـه من مشـير بمـن

Bernard Lewis, "An Arabic Account of the Province of Safad" BSOAS, Vol. XV/3, (1953), P. 483.

انظر أيضا ياقوت ، معجـم ، م ٤ ، ص ٣٥١ .

(١٤) حول صفـد المملوكية انظر العثماني المذكور أعلاه ، والقلقشندي ، **صبح الاعشى** ، م ٤ ، ص ١٤٩ .

(١٥) حول هـذه الحركة أنظر شمس الدين بـن طولون (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) **مفاكهـة الخلان في حوادث الزمـان** ، ٢ م ، تحقيق محمـد مصطفى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ــ ١٩٦٤م ، م ٢ ص ١٢٣ ــ ١٢٤ ، كذلك لنفس المؤلـف ، **اعلام الورى بمن ولـي نائبا من الاتراك بدمشق الشام الكبرى** ، تحقيق محمـد أحمد دهمان ، دمشـق ، ١٩٦٤م ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٧ .

(١٦) حول هـذه التقسيمات انظر :

U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine 1552 - 1615, (O. U. P.) 1960, P. 35.

(١٧) هـذا الدفتر محفوظ بمديرية المحفوظات التابعة لرئاسة الوزراء باسطنبول ، تحت رقم ١٩٢ . والجدير بالذكر أنه يوجد بنفس المديرية دفتر طابو اخر تحت رقم ١٠٣٨ ، غير مؤرخ يزودنا بالمعلومات التالية عن حينا : « قرية حينا تابع مرج بني عامر ، خانة ١٦ ، حاصل قسم من الربع ،

حنطة / غراره	شعير / غراره	خراج زيتون	خراج تين	رسم معزة	رسم نحل
١٥	٨				
١٩٥٠	٥٦٠	١١٦٥	٥٠	١٣٥	٢٥٠

يكون ٤١١٠ ، ص ٢٢١ » ويبدو أن هـذا الدفتر أقدم بعض الشيء من دفتر رقم ١٩٢ م .

(١٨) مديرية الاراضي والطابو بانقرة ، رقم ١٨١ . لقد استخدم كل من W. D. Hutteroth and K. Abdul Fattah

هذا الدفتر في دراستهما المعنونة باسم :

Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th, Erlangen 1977.

عن دفاتر الطابو انظر أيضا :

O. L. Barkan, "Daftar-i Khakani : E. I.[2] Vol, ii PP. 81 - 3.

وأما عن الدفاتر المتعلقة بالبلاد العربية انظر :

B. Lewis, the Archives as a Source for the History of the Arab Lands" JRAS, London, PP. 139 - 55.

Ibidum," Studies in the Ottoman Archives I. BSOAS, Vol. XVI / 3, London (1953) PP. 469 - 501.

هـذا بالاضافة الى الدليل الواسع الذي أعده :

Midhat Sertoglu, Muhteva Bakimindam Basvekalet Arsivi, Ankara, 1955.

أما بشأن مديرية محفوظات اسطنبول التابعة لرئاسة الوزراء ، انظر :

B. Lewis, "Basvekalet Arsivi" E. I.[2], Vol. i, PP. 1089 - 91.

(١٩) الخانة : وحدة تعداد السكان في الدولة العثمانية ، والمقصود بذلك الاسرة ويقدر الدارسون لهذا الموضوع عدد أفرادها ما بين ٥ ـ ٧ أشخاص . أما الذين لم يكن لهم أسر فكانوا يدونون تحت عنوان مجردين أي غير متزوجين .

(٢٠) حول سكان لواء دمشق الشام في القرن السادس عشر ، انظر :

M. A. Bakhit, The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century Ph. D. London, 1972, PP. 44 - 94.

(٢١) الاقجة : الاسم الذي كان يطلق على وحدة النقد العثماني المضروبة من الفضة وتشير اليها المصادر الاوروبية عادة باسم أسبر المحرف عن اليونانية . حول تاريخ هذه الوحدة النقدية ، أنظر :

H. Bowen, "Akce" E. I. , Vol. I., PP. 317 - 8.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٢) كانت غرارة دمشق تزيد بقليل من ٢٥٠ لتر ، حول ذلك انظر :

B. Lewis, "Jaffa in the 16th Century According to the Ottoman Tahrir Registers" in Arabic and Islamic Studies in Honour of Hamilton A. R. Gibb, Leiden, P. 437, Footnotes.

(٢٣) حول اسباب هذه المشكلة من التضخم وارتفاع الاسعار ، أنظر :

B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey, (O. U. P.) 1965, PP. 29 - 32.

وانظر ايضا :

Halil Sahillioglu, "Sivis Year Crises" in Studies in the Economic History of the Middle East, Edited by M. A. Cook, O. U., P. 1970, PP. 240 - 1

(٢٤) أنظر : O. L. Barkan, Kanunlar, Istanbul, 1945, P. 220.

(٢٥) دفتري طابو ، ١٨١ (أنترة) ، ص ٢ .

(٢٦) المصدر والمكان ذاتهما .

(٢٧) ينص قانون نامة لواء الشام على ما يلي :

"ve iki Kavana Bir Para resimolina" Barkan, Kanunlar, P. 220.

(٢٨) حول هذه الضريبة أنظر :

B. Lewis, "Arus Resmi" E. I.[2] , Vol. i. P. 679.

وكانت القاعدة في دمشق الشام أنه عند عقد نكاح بنت بكر ان تأخذ الدولة مائة وخمسة وعشرين درهما ، عشرون منها تعطى للقاضي العثماني الحنفي ، ودرهم واحد للمأذون الذي أجرى العقد ، واربعة للشهود ، أما المائة الباقية فكانت اما أن تحول للخاص السلطاني ، أو لخاص أمير اللواء أو لاحد أصحاب التيمارات حسبما يحدد ذلك دفتر الطابو . اما في حالة الارملة أو المطلقة فكان الرسم دون ذلك ويبلغ خمسة وسبعين درهما ، خمسة وعشرون منها توزع بالطريقة المشروحة اعلاه والباقي تحول اما للخاص أو لصاحب الزعامة أو للمستفيد من التيمار ، أنظر :

Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, PP. 139 - 40.

(٢٩) بادهوا (ريح الهواء) مصطلح فارسي مركب من كلمتين — باد — ريح وهواء العربية وهي الضرائب المتفرقة حول هذه الضريبة راجع :

B. Lewis, "Bad - i Hawa" E. I. , Vol. i, P. 850.

(٣٠) حول هذه الضريبة انظر : Bakhit, The Ottoman Province, P. 140.

حول الغرامات والعقوبات التي تلحق المرتكب « للجرم والجنايت » في قانون العقوبات العثماني ، أنظر :

U. Heyd, Studies in Old Ottoman Criminal Law, Edited by V. L. Menage, (O. U. P.) 1973, P. 276.

(٣١) كلمة اسكلة مفردة من اصل يوناني تفيد معنى التحميل والتنزيل ، دخلت الى اللغة الايطالية ومن طريق هذه اللغة وبسبب النشاط التجاري للمدن الايطالية تسربت هذه الكلمة للغة العربية على شكل « سقالة » والى اللغة التركية باسم اسكلة ـ اي الميناء . حول تاريخ هذا المصطلح البحري انظر :

H. Kahane and A Tietze, The Lingua Franca in the Levant, Turkish Nautical Terms of Italian and Greek Origin, Urbana, 1953, PP. 568 - 72.

انظر ايضا :

R. Dozy, Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2 Vols, Brill, Leiden, 1881, Vol. i. P. 23

(٣٢) J. Redhouse, Turkse - Ingilizce Sozlugu, Istanbul, 1966, P. 550.

Barkan, Kanunlar, PP. 224 - 6.

(٣٣) طابو دفتري ١٠٣٨ (اسطنبول) ، ص ٢٣٥ .

(٣٤) طابو دفتري ١٩٢ ، ص ٤ .

(٣٥) حول هذه الاسرة انظر دراستي : **الاسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ـ ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م** . المقدمة الى ندوة تاريخ العرب الحديث ، جامعة عين شمس ، أيار ١٩٧٧ ، وكذلك مقالة :

M. Sharon, "The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries" in Studies on Palestine During the Ottoman Period, Jerusalem, 1975, PP. 11 - 30.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣٦) طابو دفتري ١٨١ (أنقرة) ، ص ١٩ .

(٣٧) حول حياة ودور هذا الزعيم في مجريات الاحداث المحلية أنظر محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) **خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر** ، ٤ م ، تصوير مكتبة خياط ، بيروت ، لا ، ت ، م ٤ ، ص ٥٠٣ وكذلك دراسة :

K. Salibi, "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 - 1640" Arabica, Vol. XX, (1973), PP. 25- 52.

كذلك مقالتي « احداث بلاد طرابلس الشام ١٠١٥ / ١٠١٦هـ ، ١٦٠٥ / ١٦٠٦م ، **مجلة مجمع اللغة العربية الاردني** ، العدد الاول ، ١٩٧٨ ، ص ١٧١ ـ ٢٠٦ والمصادر المذكورة في هذا المقال .

(٣٨) U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, P. 129.

(٣٩) الشيخ احمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م) ، **تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني** ، تحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٩ .

(٤٠) **المصدر ذاته** ، ص ١٤٢ .

(٤١) المازق ، محرفة عن ازيق التركية وهي المؤونة ، انظر رد هاوس ، ص ٨٢ ـ ٨٣ (طبعة ١٩٢١) .

(٤٢) اوتراق : الاقامة ، انظر رد هاوس ، ص ٩٠٤ (طبعة ١٩٦٨) .

(٤٣) الخالدي الصفدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

(٤٤) الخالدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ، يذكر طنوس الشدياق (ت ١٨٥٩م) دون أن يذكر مصدره ان هدم البرج كان جزءا من بنود الاتفاق ، **أخبار الاعيان في جبل لبنان** ، ٢ م ، تحقيق فؤاد أفرام البستاني ، بيروت ، ١٩٧٠م ، م ١ ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، يشير جميل البحري الى برج العجوز أو برج الزورة على أنه « صخرة منتصبة على شاطىء البحر قيل أنها من بقايا برج حصين للمدينة القديمة » فلربما كانت هذه الصخرة من بقايا البرج الذي هدمه احمد الحارثي . هذا مع العلم أن ظاهر العمر الزيداني سنة ١٧٥٠م هدم حيفا وبنى مدينة جديدة بالقرب منها أسماها العمارة الجديدة وانه بسبب ذلك وعلى الارجح ، لم يعن بالبرج القديم انظر ، جميل البحري ، **تاريخ حيفا** ، المطبعة الوطنية ، ١٩٢٢ ، ص ٥ ، كذلك راجع :

L. A. Mayer and J. Pinkerfeld, Some Principal Muslim Religious Buildings, Jerusalem, 1950, PP. 39 - 40.

(٤٥) انظر نص هذا الدستور في كتاب جميل البحري ، **تاريخ حيفا** ، ص ٥٠ ، ويذكر البحري انه نقله عن مخطوط موجود في مكتبة دير الكرمل .

(٤٦) انظر محمود العابدي ، **صفد في التاريخ** ، عمان ، ١٩٧٧ ، ص ٧٠ .

(٤٧) انظر حول ذلك : B. Lewis, "The Jews in Palestine in the 16th Century" in Notes and Documents From the Turkish Archives, Jerusalem, 1952, PP. 5 - 47, See also U. Heyd "Turkish Documents Concerning the Jews of Safed in the Sixteenth Century" in Studies on Palestine During the Ottoman Period, PP. 111 - 18.

(48) U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, PP. 47 - 8.

(٤٩) الدويهي ، اسطفان (ت ١٧٠٤م) ، تاريخ الازمنة ، تحقيق الاب فردينان توبل اليسوعي ، بيروت ، ١٩٥١ ، ص ٣٥٧ — ٣٥٩ ، حول منزلة اسطفان الدويهي التاريخية انظر :

Kamal Salibi, Maronite Historians of Medieval Lebanon, Beirut, 1959, PP. 89 - 160.

الشدياق ، **اخبار الاعيان** ، م ١ ، ص ٢٩٦ — ٢٩٧ ، راجع ايضا :

A. Rafeq, The Province of Damascus 1723 - 1783, Khayats, Beirut, 1966, PP. 3 - 4, 32.

(٥٠) انظر : Amnon Cohen, Palestine in the 18th Century, Patterns of Government and Administration, Jerusalem, 1973, PP. 137 - 140.

وحول تواجد القناصل في الدولة الاسلامية انظر :
B. Spuler "Consul" E. I.² Vol. ii, pp. 60 - 61.

والجدير بالذكر أن السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م) ، يعرف القنصل بقوله : « قلت ويعبر بـه عن الوكيل للكفار في بـلاد الاسلام » ، تـاج العروس ، م ٨ ، ص ٨٩ .

٥١) القبودان عثمان باشا أبـو طوق (ت ١٧ ربيع الثاني ١١٣٩هـ / ٢٦ كانون الاول ١٧٢٦م) ، كـان زوجا لشقيقة السلطان ، تولـى حكومة دمشق الشام أكثر من مرة ، وكذلك البصرة وصيـدا ، وأثناء توليه دمشق كـان أمير قافلة الحـاج الشريف أكثر من مـرة ومن هنا اكتسب لقب حاج . ولي أحـد أبنائه الذي كان زوجا لابنة السلطان صيدا وآخر ولـي القدس . اتسم عهده بدمشق بظهور فئـة أطلق عليها اسم العوانية ، ألحقت الضرر بالناس وابتزت أموالهم مما دفـع العامة بقيادة المفتي محمـد خليل البكري الصديقي (ت ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م) الى أن يهاجموا العوانية « فمنهم من قتل ومنهم من صلب وأخبروا الدولة العلية بما وقـع وصدر » ، حول أوضاع بـلاد الشام في عهده أنظر ، محمد بـن جمعه المقار (ت ح ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) ، كتـاب الباشات والقضاة نشره صلاح الديـن المنجد مع نصوص أخرى باسم ولاة دمشق في العهـد العثماني ، دمشـق ، ١٩٤٩م ، ص ٥٧ ـ ٦٠ ، الشدياق ، أخبـار الاعيان ، م ١ ، ص ٥٧ ، م ٢ ، ص ٣١٦ ، حيدر أحمـد الشهابي (ت ١٨٣٥م) الغرر الحسان في أخبـار أبناء الزمان ، تحقيق اسـد رستم ونؤاد أفرام البستاني ، م ٢ ، ص ١٧ ، عبـد الكريم رافق ، بـلاد الشام ومصر ، دمشـق ، ١٩٦٨م ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، ولنفس المؤلف :
The Province of Damascus PP. 77 - 85, 112 - 13.

يذكر عبد الامير محمـد أمين شخصا باسم الوزيـر عثمان باشا متسلما للبصرة ما بين ١٧١٢ ـ ١٧١٤م ، القوى البحريـة في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ، بغداد ، ١٩٦٦م ، ملحق رقـم ٣ ، ص ٩٣ ، حول حيـاة الشيخ البكري ، راجع محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، م ٢ ، ص ٨٣ ـ ٩٧ .

(٥٢) تذكر المصادر العثمانية جنـود المدفعية باسم طوبجو ، حول هـذا المصطلح أنظر :
H. A. R. Gibb and H. Bowen, Islamic Society and the West, (O. U. P) 1963, Vol. i, Part i, PP. 66.7.

(٥٣) الجبجية : الجنود الذيـن يلبسون الدروع ، أنظر المرجع السابق ، الصفحة ذاتها .

(٥٤) يصف ذلك بقولـه : "There are also ruins of a large building that seems to have been the castle ; and they have built two forts, as a defence against the corsairs", A Description of the East and some other Countries, Vol. ii, Part i. Observation on Palestine or the Holy Land, Syria, Mesopota-

mia, Cyprus and Candia, London, W. Bowyer, 1745, PP. 51, 56.

ولمزيد من التفاصيل حول هذه الرحلة أنظر :

Mohammad Ali Hachicho, English Travel Books About the Arab Near East in the Eighteenth Century, Leiden, E. J. Brill, 1965, PP. 35 - 8.

(٥٥) امين كوهين ، **المرجع ذاته** ، ص ١٤٠ .

(٥٦) **المرجع ذاته** ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٥٧) الحجة التي تثبت النص العربي منها هنا وجدتها ملصقة في داخل دفتر الطابو رقم ١٨١ الموجود في مديرية الاراضي بأنقرة ، وتاريخها « أواخر صفر الخير لسنة ثمان وثلاثين ومائة وألف » بينما يشير امين كوهين الى وثيقة مشابهة لها ضمن مجموعة المالية المدورة باسطنبول ولكن تاريخها ١٢ ربيع الثاني ١١٣٨هـ / ١٩ كانون الاول ١٧٢٥م . أنظر كوهين ، **المرجع ذاته** ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ ، وهامش رقم ٩٦ .

(٥٨) انظر هامش رقم ٥١ أعلاه .

(٥٩) لم أعثر على ترجمة للحاج مصطفى حمود زاده الا انه كما يبدو أن عائلة حمود الصيداوية خلال مطلع القرن الثامن عشر قد كانت تلتزم جباية الضرائب المتوجبة على عكا وصور وصيدا وبيروت وبهذا الخصوص يذكر عبود الصباغ ما يلي : « بما أن عكا لم كانت في ذلك الوقت في يد ضاهر بك كان ملتزمها علي اغا حمود الذي كان مقيم في صيدا ويلتزم من كل وزير يحضر عكا وبيروت وصور اقلام صيدا ويرسل الى الاماكن المذكورة مثلما من طرفه » **الروض الزاهر في أخبار ضاهر** ، المكتبة الوطنية ، باريس ، Arabe 4610 ورقة ١٩ .

(٦٠) ان طبيعة عمل الضابط من خلال هذا النص ونصوص اخرى تبدو لنا انها تعني الالتزام بالضرائب ولكن على نطاق ضيق ومحدود . وعلى الارجح أنه ليس ذا بعد عسكري . وكان هذا اللقب يطلق على الملتزمين بغض النظر عن دينهم ، فمثلا يذكر حيدر أحمد الشهابي أن فارس الدهان (مسيحي) كان ضابط الكمرك لدى الجزار ، على أية حال فان الضابطية كمؤسسة بحاجة لدراسة أوفى ، انظر **تاريخ أحمد باشا الجزار** ، نشره الاب أنطونيوس شبلي والاب أغناطيوس عبده خليفة ، مكتبة أنطوان ، بيروت ، ١٩٥٥م ، ص ١٠٣ ، أنظر أيضا :

B. Lewis, "Dabit". E. I.^{2} , Vol. ii, P. 74.

(٦١) حول تطوير عكا في القرن الثامن عشر أنظر ، امين كوهين ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٨ ـ ١٣٧ ، راجع أيضا النصوص التي جمعها عنها الاب مرمرجي الدومينكي، **بلدانية فلسطين** ، ص ١٦١ ـ ١٦٦ كذلك أنظر :

F. Buhl, "Akka" E. I.^{2} , Vol. i, P. 341.

(٦٢) المستحفظان : هم الجنود الذين كانوا يوضعون لحماية القلاع .

(٦٣) الآي كلمة تركية تعني مجموعة من العسكر ، أنظر : جب ، وبون ، **المرجع ذاته ، م ١ ، ج ١ ، ص ١ ، ٥١ ، ١٤٥ .**

(٦٤) زعيم رتبة في نظام التيمار العثماني ، كان صاحبها يمنح اقطاعا من صنف الخاص ، **انظر المرجع السابق ، ص ٤٦ ــ ٥٦ .**

(٦٥) في القرن السادس عشر كان هناك ثلاث قرى باسم الطيرة ، منها أولا قرية طيرة اللوز تابع ساحل عتليت الغربي التي كان عدد سكانها سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ، ٦٩ خانة ومجردين ، وقيمة حاصلاتها المستحقة ٢٠٣١٠ اقجة (ص ٥ ــ ٦) ، أما في سنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م ، فان عدد سكانها يتناقص الى ٥٢ خانة ، وكانت قيمة وربع حاصلاتها ٢٢٠٠٠ اقجة أما رسم الماعز والنحل المحصل منهما فكان ٢٠٠ اقجة ومثل ذلك « البادهوا ورسم عروس » . خمسة عشر ألف اقجة من هذه العائدات كانت مخصصة كجزء من زعامات أحمد وعلي ولدي طراباي وكتخداهم (وكيلهم داود) . (ص ١٨ ــ ١٩) ، أما الطيرة الثانية ، فكانت تعرف باسم الطيرة الشمالية عدد سكانها بموجب الدفتر الاول ثلاث خانات وقيمة ربع حاصلاتها ١٩٤٢ اقجة . والطيرة الثالثة تذكر باسم الطيرة القبلية عدد سكانها ٥ خانات وقيمة ربع حاصلاتها ١٩٧٠ اقجة (ص ٢٩ ــ ٣٠) ، وبموجب الدفتر الثاني تذكر الطيرة الشمالية والقبلية كمزارع من زعامات أحمد وعلي ولدي طراباي وقيمة ربع حاصلاتها في السنة ١٢٠٠٠ اقجة (ص ١٧) . من هذا يظهر أن المقصود بقرية الطيرة هي المشار اليها باسم طيرة اللوز لان الاخيرتين تحولتا الى مزارع . ويشير U. Heyd الى أن الامير عساف ال طراباي في سنة ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م ، كان قد بنى مسجدا في قرية الطيرة ، راجع :

U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, P. 110. n. 4

(٦٦) ان كلمة شيخ الشائعة والمتداولة منذ زمن بعيد في التاريخ العربي الاسلامي ذات مدلولات مختلفة ، فعند النسابين تفيد معنى المتنفذ في العشيرة ، وبالنسبة للصوفية تعني من بلغ مستوى رفيعا في الطريقة ، ولدى أصحاب الحرف والاصناف تدل أيضا على المستوى الرفيع في تنظيمهم الهرمي ، وهي رتبة علمية في وسط العلماء . والملاحظ أن مثل هذا اللقب يشيع استعماله في ريف بلاد الشام بين الفلاحين والزراع ولا يقتصر استخدامه على المسلمين السنة فقط بل ان غيرهم من بعض الاسر الدرزية والمسيحية كان لها مثل هذا اللقب . والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل لقب أمير وشيخ ومقدم الذي تذكره المصادر كان يمنح ويستخدم بموافقة الدولة العثمانية أم أنه كلقب كان يدل على منزلة اجتماعية نشأ محليا ؟ من ناحية أخرى حافظت الدولة العثمانية على مؤسسة المشيخة التي كانت استمرارا لمؤسسة امارة العرب التي وجدت في العهد الايوبي واستمرت في عهد المماليك . والذي يبدو أن المشايخ في القرى كانوا اصحاب نفوذ ولم يكونوا أصحاب سلطة الى أن بدأوا يعملون كملتزمين صغار ربما باستثناء ظاهر العمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي يصفه عبود الصباغ بقوله « قصار الاسم الى ظاهر عند الدولة والمشيخة عند الفلاحين » وانه كان يحارب « مشايخ الفلاحين الذين بالقرب منه ويأخذ بلادهم ويلتزمها » وأصبح لقبه كما يذكره المرادي « شيخ شيوخ البلاد الصفدية » . وعلى الارجح أنه لم يكن للشيخ في القرى في هذه المرحلة السلطة والصلاحيات وشبه الصفة الرسمية التي كان يتمتع بها الشيخ في القرية المصرية في القرن الثامن عشر . حول من تلقب بهذا اللقب أنظر الشيخ حسن البوريني (ت ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م) ، **تراجم الاعيان من أبناء الزمان** ، ٢ م ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٩م ، ١٩٦٣م ، م ٢ ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ ؛ الخالدي الصفدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٣ ، ١٤ ، ٢٦ ، ص ٣٤ ، ٤١ ، ٦٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٩٦ ، المرادي ، **سلك الدرر** ، م ٣ ، ص ١٨٤ ، عبود الصباغ ، **المصدر ذاته** ، ورقة ٣ ب ٧ أ ، حيدر الشهابي ، **الغرر الحسان** ، م ٢ ، ص ٦ .

عن الشيخ في مصر في القرن الثامن عشر أنظر :

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، **الريف المصري في القرن الثامن عشر** ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٤م ، ص ١٨ — ٢٢ .

انظر ايضا عن سياسة الدولة العثمانية تجاه القبائل واحياء المشيخة في القرن الثامن عشر : Barbir, Carl K., The Dynamics of Ottoman Rule in Damascus During the First Half of the Eighteenth Century Ph. D. Princeton 1976, PP. 135 - 139.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦٧) لم اعثر على ترجمة أو أية معلومات عن الشيخ رائع أو الشيخ احمد مرعي .

(٦٨) ان توانين نامه الولايات العربية في الدولة العثمانية (قوانين نامه الموصل ، القدس ، الشام ومصر) . تذكر الفلاحين في معرض اعطائهم نصف محصول الزيتون الروماني ، وان الفلاحين كما نص قانون نامة لواء دمشق الشام ليسوا جزءا من ملكية الارض وان اقتسامهم مخالف للقانون ، والملاحظ أن الفلاحين في القرن الثامن عشر في بلاد الشام اصبحوا قوة محلية ذات رئاسة متمثلة بالمشايخ . ويلمس من يقرأ **الروض الزاهر في تاريخ ظاهر** ، ان عبود الصباغ يكثر من استخدام هذا المصطلح مثل « ... والمشيخة له عند الفلاحين » وانه كان « ... يصطبر على الفلاحين لثاني سنة فلاجل ذلك كانت الفلاحين داخل البلاد جميعا يحبوه » ورقة ، ٣ ب ، ٦ أ ، ١٦ ب ، حول كلمة فلاح في قوانين نامة أنظر :

Barkan, O. L., Kanunlar, Istanbul 1945, PP. 122, 178, 217, 226, 359 - 72.

انظر ايضا الخالدي ، الصفدي عن الفلاحين في شمال فلسطين ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

(٦٩) يذكر الخالدي نهرا في لحف جبل الكرمل اسمه نهر السعادة فلربما كانت الارض المحيطة به تسمى ارض السعادة ، الخالدي ، الصفدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

(٧٠) اي اراضي الاسرة الحارثية ، ثم يذكر عبود الصباغ أن ظاهر العمر فيما بعد صار يتغلب على بلاد حارثة ويأخذها من مشايخ الفلاحين التي بها ، **الروض الزاهر** ، ١٠ أ ، ب ، حول أسرة الحوارث ، انظر الملاحظات المذكورة في هامش رقم ٣٥ أعلاه .

(٧١) ان المصادر التاريخية المتوافرة لدينا غير واضحة في المادة التي توردها عن ظاهر العمر الزيداني ، فمثلا المرادي (ت ١٢٠٦ / ١٧٩١م) وهو من أقدم المصادر عن ظاهر يترجم له تحت حرف العين فيقول : « عمر بن صالح الملقب بالظاهر الصفدي الزيداني حاكم مدينة عكا وشيخ شيوخ البلاد الصفدية صاحب المواقع الشهيرة الخارج عن طاعة الدولة العثمانية مولده بصفد سنة ست ومائة والف (١٦٩٤م) ومن غريب الاتفاق أن هذا التاريخ أعني تاريخ مولده موافق لعدد لقبه ظاهر ... وكان والده وجده وأعمامه حكاما بصفد وعكا ويعرفون ببني زيدان وهم حمولة كبيرة » من هنا يظهر لنا حسبما جاء عند المرادي أن اسمه عمر وان اسم أبيه صالح وظاهر هو عبارة عن لقبه . واذا عدنا الى تاريخ ميخائيل نقولا الصباغ (ت ١٨٦١م) نجده يذكر أن الاسرة كانت تسكن في معرة النعمان وان كبيرها كان اسمه علي وان ابنه الذي تولى مشيخة العائلة كان اسمه عمر تزوج من السردية فانجبت له ثلاثة أولاد : علي توفي بعد والده عمر ، وسعد وظاهر ، وان الاسرة بقيادة عمر هاجرت الى الجليل « وقاموا جميعا جهزوا حالهم وشدوا رحالهم وسافروا ونزلوا عند تيسارية فاقاموا قليلا فما اعجبهم ذلك المكان لقبحه وخرابه فانتقلوا الى نواحي الاردن الى طبرية ونزلوا بكبير قومها وباهلها فاعجبتهم فاستوطنوها ورأوا أراضيها خصبة فاستفلحوا بها واشتروا الغنم والبقر وأخصبت معهم تلك السنة وكان ذلك سنة ١٧٠١ وكان ظاهر له من العمر اثني عشر سنة » وفي سنة ١٧٣٠م انتقلوا من طبرية الى قرية عرابة ، فمن المعروف أن تيسارية تقع قريبة من جنوبي حيفا وربما كان جد ظاهر اسمه احمد زيدان ، أو ان أحد أقاربه كان يحمل هذا الاسم وعرفت الارض به بعد انتقال العائلة من تيسارية الى طبرية ثم فيما بعد الى عرابة . انظر المرادي **سلك الدرر** ، م ٣ ، ص ١٨٤ — ١٨٧ ، عبود الصباغ ، **الروض الزاهر في تاريخ ظاهر** ، ورقع ، أ — ٣ ب ، ميخائيل نقولا الصباغ ، **تاريخ ظاهر العمر** ورقع ١ أ — ٣ أ ، حيدر الشهابي ، **الغرر الحسان** ، م ٢ ، ص ٦ ، ص ٧ . انظر أيضا الرسالتين اللتين نشرهما عيسى اسكندر المعلوف بعنوان « تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني » **المشرق** ، م ٢٤ ، (١٩٢٦م) ، ص ٥٣٩ — ٥٦٠ ، حول ابناء وأقارب ظاهر انظر :

Cohen, Palestine in the 18th Century, PP. 8 - 10, 14, 25, 34, 46, 58, 81, 84, 85, 95 - 96.

حول قيمة مخطوط عبود الصباغ انظر :

George, Haddad, "The Chronicle of Abbud al - Sabbagh and the fall of Daher al - Umar of Acre" al - Abhath, Vol. XX (1961), PP. 37 - 44.

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والأربعين

للدكتور عدنان الخطيب
(الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع)

(ينصّ قانون مجمع اللغة العربية بالقاهرة على أنه يتألف من أعضاء مصريين وأعضاء يمثلون البلاد العربية الاخرى ؛ وهم يلتقون مرة واحدة على الاقل في كل سنة ، في مؤتمر تُعرَض فيه الاعمال العلمية التي نظر فيها مجلس الاعضاء المصريين ، وكلمةُ المؤتمر فيها هي الفصل .

وزميلنا الدكتور عدنان الخطيب ينابع نشر موجز عن أعمال المؤتمرات التي يحضرها ؛ وقد خص مجلتنا بوقائع المؤتمر الاخير) .

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الرابعة والاربعين ، في المدة الواقعة من تاريخ الرابع من شهر ربيع الآخر الموافق ١٣ من آذار (مارس) حتى تاريخ الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٧ من آذار (مارس) سنة ١٩٧٨م ، وعقد خلالها تسع جلسات علمية بالاضافة الى جلستي الافتتاح والختام .

(*) يخطّىء بعض علماء العربية كلمة « وقائع » على أساس أن مفردها « وقيعة » فلا تؤدي معنى « الاخبار والحوادث تقع فتسجل » الذي تساق فيه ؛ وقد عرض مؤتمر مجمع اللغة العربية لهذا الامر في دورته الحادية والاربعين ، وانتهى الى اقرار تصحيح لفظة « وقائع » على أن مفردها « وقعة » حملا على نظائره من مثل : رُخْصَة و حَلْبَة و كَنَّة .

لقد كانت ابحاث المؤتمر وقراراته على جانب كبير من الاهمية ؛ وفيما يلي عرض موجز لتلك الابحاث مع **تسجيل كامل للتوصيات والقرارات** التي اتخذها المؤتمر في جلسته الختامية :

اولا ـ جلسة الافتتاح :

عقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية ، صباح يوم الاثنين الثالث عشر من آذار سنة ١٩٧٨ ، واستمع المؤتمرون والمدعوّون من رجال الفكر والادب الى كل من :

١ ـ الاستاذ عبد المنعم الصاوي، وزير الثقافة والاعلام ؛ وقد رحّب بكلمته بالمؤتمرين، مشيرا الى الروابط المتينة بين اللغة وحياة البشر ، ثم بين ما تميّزت به اللغة العربية على سائر اللغات ؛ واشاد بالدور العظيم الذي يقوم به مجمع اللغة العربية **للحفاظ على سلامتها متطورة تلاحق العصر**، وتستوعب **كلّ جديد او طريف او مستحدث** .

٢ ـ الدكتور ابراهيم مدكور، رئيس المجمع ، الذي اوضح في كلمته **أن** أبحاث المؤتمر ستدور حول « العامية والفصحى » في عدد من الاقطار ، مشيرا الى دعوات خبيثة ظهرت من اوائل هذا القرن تزعم بأن العامية تصلح أن تكون لغة قومية ، ونفى عن **لطفي السيد**، الرئيس الاسبق للمجمع، أن يكون من مؤيدي تلك الدعوات ، مؤكدا أن كل ما كان يدعو اليه هو **الاخذ بفصحى جديدة سهلة ميسرة**، تمقت الحوشي والغريب من الالفاظ ، وتأنس بالكلمات والتعبيرات السائغة ؛ وهذا امتداد لما بدا به رفاعة الطهطاوي وعزّزه الاستاذ الامام . ثم قال : ان لطفي السيد يُعَدّ بحقّ **من مؤسسي الفصحى الحديثة ، بقلمه وأسلوبه** في الجريدة وغيرها، وبتلاميذه امثال طه حسين، ومصطفى عبد الرازق، وعلي عبد الرازق، واحمد حسن الزيات . وبعد أن بيّن الدكتور مدكور انحسار الدعوات الى العامية في العقد الثالث من القرن ، اعلن اسفه لاسترداد

هذه الدعوات في **أوائل العقد السادس** شيئا مما فقدته، تعينها في ذلك بعض وسائل الاعلام، **وتشجّعها لفة بعض القادة والرؤساء** . ثم أهاب بالمؤتمر أن يواصل الجهود التي يبذلها في المساعدة على سيادة الفصحى .

٣ ــ الدكتور محمد مهدي علّام، أمين المجمع ؛ وقد عرض في كلمته لأعمال المؤتمر السابق والتوصيات التي اتخذها ، ثم **عرض اعمال مجلس المجمع خلال السنة الماضية** وانجازاته التي ستناقَش في هذا المؤتمر . ثم أشار الى الاعضاء الذين افتقدهم المجمع ، مرحّبًا بالزملاء الذين انضمّوا اليه ، معدّدا الاعمال التي انتهت طباعتها، او التي هي قيد الطبع .

٤ ــ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، عضو المجمع من تونس، ممثّلاً اعضاء المؤتمر الوافدين من سائر الأقطار العربية ؛ وقد شكر في كلمته رعاية مصر لهذا المؤتمر، مشيدا بميزات لغة الضاد ودقّتها ومرونتها وعظيم استيعابها ، في العصور الاسلامية الاولى ، لحضارة فارس ومدنية اليونان وحكمة الهند . وأنهى كلمته بذكر جهود مجمع اللغة العربية في رفد العربية بكل مستحدث لتواصل مواكبتها لهذا العصر، الذي **لا يمرّ فيه يوم من غير أن تَجِدَّ معه مئات المصطلحات والالفاظ في عديد الميادين .**

وخُتِمَت الجلسة على أن تُعْقَد جلسات المؤتمر العلمية في مبنى المجمع نفسه .

ثانيا ــ المصطلحات العلمية :

درس المؤتمر وناقش ، خلال جلساته اليومية ، المصطلحات العلمية والفنّية التي رفعتها اليه اللجان المختصة عن طريق مجلس المجمع في القاهرة ؛ وقد اقر المؤتمرون، بالاجماع حينا وبالاكثرية أحيانا ، أكثرها ، كما جرى تعديل بعض منها او اعادته الى اللجان المختصة لاستيفاء دراسته .

وبلغ عدد المصطلحات التي نظر فيها المؤتمرون (١١٤٥) موزّعة بين العلوم والفنون التالية :

أ ــ ٢١٤	مصطلحًا في الفيزياء (الفيزيقا)
ب ــ ١٠٩	مصطلحات في الكيمياء والصيدلة .
جـ ــ ٧٨	مصطلحًا في جيولوجية النفط .
د ــ ١٦٠	مصطلحًا في الجيولوجية .
هـ ــ ١٠٠	مصطلح في علم التربية وعلم النفس .
و ــ ٢٢٩	مصطلحًا في القانون المدني .
ز ــ ١٩٧	مصطلحًا في علم المياهيات (الهيدرولوجيا) .
ح ــ ٥٨	مصطلحًا في الفاظ الحضارة الحديثة .

ثالثا ــ البحوث والدراسات :

استمع المؤتمرون الى بحوث ودراسات القاها الاعضاء ، فناقشوهم فيما ارتأوه،او علّقوا على ما جاؤا به ، مقرّين نشرها ونشر البحوث الأخرى التي قدّمها اعضاء لم يستطيعوا الاشتراك في المؤتمر والقاءها ، محيلين بعضها على اللجان المختصة لابداء الرأي فيها .

كانت البحوث والدراسات التي استمع المؤتمرون في هذه الدورة اليها هي التالية،مع اهم ما دار حولها من مناقشات :

١ ــ « **من قصة العامية في الشام** » بحث القاه الاستاذ سعيد الافغاني، عضو المجمع المراسل من سورية ، تحدّث فيه عن حال العربية في بلاد الشام في العقدين الاولين من القرن العشرين ، وافاض في ذكر **ما صنعه الروّاد الشاميّون في اوائل النهضة العربية الحديثة** احياء للفصحى لغةً تخاطب،ودفعًا لطلاب المدارس الى الالتزام بها،بالترغيب تارة وبالترهيب اخرى .

وجرى بعض التعليقات على ألفاظ وردت في البحث، مثل فعل (يعكس) الذي انتقل بالمعنى الذي استعمل فيه من لغة العلوم الى لغة الادب ، ومثل لفظة (عملاء) **التي ادخلتها السياسة في ألفاظ التنبيذ والاحتقار** .

٢ ـ **« تقريب العامية من الفصحى »** بحث القاه الدكتور حسين علي محفوظ، عضو المجمع المراسل من العراق ، تحدّث فيه عمّا تزخر به لغة العامة في العراق من كلمات يمكن ردّها الى الفصيح، واغناء الفصحى بها ؛ مشيرا الى اتجاه عدد من العراقيين نحو تدوين العامية العراقية للافادة منها . واعقب الحديث نقاش حارّ سَبَّبَه التوهّمُ بان غاية المتحدث الدفاع عن عامية اهل العراق ؛ واشترك في المناقشات الاستاذ عباس حسن (مصر) رافضا مفهوم « التقريب »، محتجًّا بأن كل كلمة إمّا ان تكون فصيحة او غير عربية ، **مؤكدا رفض مجمع اللغة العربية فكرة تدوين العاميات لان في ذلك احياء لها** ، والعرب اليوم في امسّ الحاجة الى التوحيد بالفصحى ونبذ العاميات . وتحدّث الدكتور محسن مهدي (العراق) مؤيدا فكرة دراسة الالفاظ والتراكيب والاصوات العامية وتسجيلها، لتسهيل الجهود التي تُبذَل لنشر الفصحى . ودافع محمد عزيز الحُبابي (المغرب) عن كل مسعى يُبذَل من اجل الافادة من العاميات فيما لا نظير له في الفصحى . اما الدكتور اسحٰق موسى الحسيني (فلسطين) فقد قال معلّقا : انكانت غاية البحث استخلاص الكلمات الفصيحة التي تنتشر على السنة العامة، فهذا عمل جيد ، **أمّا إن كانت غاية « التقريب » الاستعانة بمفردات عامية في الفصحى، فهذه فكرة جانَبَها التوفيق** .

وخُتِمت المناقشات بكلمة من صاحب البحث، نفى أن يكون قد تجاوز في بحثه مجرّد الاشارة الى ان العامية العراقية اقرب الى الفصحى ، أو انه في قوله : « انه لا بد من قاموس يُذكَر فيه ما يقابل الدخيل والاجنبي والعامي من العربي الفصيح » تجاوز حدود تيسير الوصول الى العربية والفصحى .

٣ ــ « **الفصحى المعاصرة** » بحثٌ القاه الدكتور شوقي ضيف، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه تطور العربية في مختلف العصور متأثرة بتطور العلوم والفنون ، كما عرض ظروف نشوء العاميات ومدى ارتباطها بالفصحى على مر الزمن ، مؤكدا **على ازدهار فصحى هذا العصر، وعلى ان عاميته آخذة في الاقتراب منها، ممّا يبشر بخير عميم.** واثار البحث تعليقات جمة ، اهمها كان استغراب الدكتور ابرٰهيم السامرائي (العراق) هذا التفاؤل العريض في البحث بينما تناقضه حقائق ملموسة .

وردّ الدكتور ضيف على المعلّقين مشيرا الى ان لكل عصر فصحاه وعاميته ، وان الحديث عنهما يُعتَبَر **تقييما** لمزايا كل واحدة منهما وبيانا لشوائبها، بهدف زيادة المزايا واستبعاد الشوائب ؛ مؤكدا على ان العامية في عصرنا تدنو من الفصحى ، وان الفصحى المعاصرة توشك ان تقضي على العامية .

٤ ــ « **العامية في العراق** » بحث القاه الدكتور ابرٰهيم السامرائي، عضو المجمع المراسل من العراق ، عرض فيه نشأة العامية في العراق، ومدى تأثير الفارسية وغيرها من اللغات فيها ، **داعيا الى ضرورة العمل على تنقية الفصحى مما تَسَرَّب اليها من شوائب عامية، والى عدم التساهل مع ما يغزو الفصحى اليوم من التراكيب والاستعمالات والالفاظ العامية، وبخاصة السياسية منها .** وجرت مناقشات حول بعض الشواهد والامثلة التي وردت في البحث ، ثم خُتِمت بكلمة تقدير من الاستاذ سعيد الافغاني (سورية) لان المحاضر اجتنب تعبير « فصحى معاصرة »، والفصحى دوما واحدة، أمّا العاميات فهي وحدها متعددة تقترب من الفصحى في زمن، وتبتعد عنها في زمن آخر .

٥ ــ « **خواطر حول الترجمة الذاتية في العصور الاسلامية** » بحث القاه المستشرق الالماني الاستاذ رودلف زلهايم، استاذ العربية بجامعة فرانكفورت وعضو المجمع المراسل ، عرض فيه **الطابع المميّز لفن**

الترجمة عند المسلمين وارتباطه موضوعيا بالعلم، ولا سيما الديني، بخلاف ما عند الامم الاخرى،اذ ينتحي لديها المنحى الشخصي معتمدا على التحليل والتصوير ، ومع كلّ هذا فلم تَخْلُ العصور الاسلامية من ظاهرة الخُيَلاء عند بعض المؤلفين، وحبّ التحدث عن النفس، ممّا اوجد الترجمة الذاتية . واتى المحاضر بأمثلة توضح الخواطر التي أُحَبُّ تسجيلها .

وتحدَّثَ إثْر انتهاء المحاضرة الدكتور ابرٰهيم مدكور، رئيس المجمع، عن موضوعية الترجمة عند علماء المسلمين، **وبُعد هؤلاء عن الترجمة الذاتية حياءً وتواضعا** . ثم علّق الدكتور اسحٰق موسى الحسيني (فلسطين) على المحاضر مقدرا البحث في هذا الموضوع الذي يحتلّ مكانا عظيما في التراث الاسلامي يسترعي النظر والاهتمام ، واضاف بأنه يعتقد ان اسباب ذلك ترجع الى :

١ ــ الحسّ التاريخي بالزمن عند المسلمين ،

٢ ــ الدافع الديني الى ضبط الحديث النبوي وتدوين السيرة ،

٣ ــ العناية الفائقة بتسجيل الاسانيد، وطلب الاجازة بالرواية من الشيوخ ،

٤ ــ الرغبة في القدوة الحسنة بالحصول على تراجم ذاتية من الشيوخ .

٦ ــ **« موسوعة تراجم رجال القرن الثاني عشر الهجري » بحث القاه** الدكتور اسحٰق موسى الحسيني، عضو المجمع من فلسطين ، استهلّه باسترعاء الانظار الى سعة الموضوع المتّصل بتراجم الرجال ، والى انفراد العقلية العربية بمزايا في فن الترجمة ، مؤكدا على **فضل المؤرخ الشامي خليل المرادي، مفتي دمشق،** صاحب « سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر » بمراسلة عدد من علماء الاقطار العربية يحثّهم على جمع تراجم اعيان اقطارهم ، مما زوَّدنا بموسوعة ضخمة في تراجم رجال القرن الثاني عشر . ثم عرض وصفا لخطوط في

تراجم اعيان فلسطين لحسن الحسيني يُعتبر جزءا مهما من تلك الموسوعة .

واعقب المحاضرة عدد من التعليقات المفيدة ؛ فقد نوّه الدكتور ابرٰهيم مدكور رئيس المجمع بهذه الدراسة الشاملة المقارنة قائلا : « وأعتقد انه **آن الاوان لأمّتنا العربية كي تستعرض تراثها عصرا عصرا** »،كما افاض الاستاذ محمد عبد الغني حسن (مصر) في ذكر الخط التاريخي الذي اتبعه المرادي،وكان ابن خلكان قد بداه في « وفيات الاعيان »،وقد ترجم فيه للرجال من اقدم العصور حتى القرن السابع ، ثم جاء بعده ابن حجر العسقلاني صاحب « الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة »،واعقبه السخاوي صاحب « الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع »،ومن بعده الغزّي صاحب « الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة »،ثم المحبي صاحب « خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر » . واضاف الاستاذ شوقي امين (مصر) اسم احمد تيمور بعد المرادي في تراجمه لاعيان القرن الثالث عشر . وذكر اعضاء آخرون مؤرّخين وكُتّابا اتّبعت الخطّ التاريخي نفسه،ممّا يفيد الدارس ومن يحب المتابعة .

٧ ــ « **اللغة والواقع** » بحث القام الدكتور محمد عزيز الحُبابيّ عضو المجمع المراسِل من المغرب ، عرض فيه لواقع العربية بالنسبة للتقدم السريع في العلوم والفنون الذي يدفع الدول الغربية الى ان تضيف كل يوم الى لغاتها اشكالا ومفاهيم جديدة ، وانه يدعو الى صنع معاجم جديدة **تقوم على تفريغ كلمات كثيرة تمتلىء بها المعجمات القديمة من معانيها اللغوية الميتة،وتحميلها معاني جديدة** او المعاني التي تحملها في العامية ؛ كما انه يدعو الى وضع الحركات على الحروف،والعناية بعلامات ضبط القراءة،وايجاد لون جديد من الحروف للتفريق بين مختلف المعاني وظلالها،واستعمال الارقام الغبارية ، وكلّ هذا لاعانة الطلاب على فهم النصوص ، وبه تستطيع العربية مسايرة لغات العالم المتقدم .

واثارت افكار الدكتور الحبابي تعليقات حارة ، فلفت الدكتور ابرٰهيم مدكور الانظار الى **خطورة وضع معاجم باجتهادات فردية**، واشار الاستاذ عباس حسن الى أن المجمع **سبق أن رفض بعض الافكار التي يدعو اليها المحاضر** ، منكرا عليه الدعوة الى شكل الحروف حيث لا ضرورة اليه .

وخُتِمت المناقشات بايضاح من الدكتور الحُبابي بأنه **يريد محاربة العامية بتيسير تعليم العربية**،وبالعمل على ازالة صعوبات النطق والهجاء ، وانه لا يريد تغيير الحروف العربية بل استكمالها، ونقل مزايا اللغات الاجنبية الى اللغة العربية !

٨ ــ « **العربية في تونس بين الفصحى والعامية** » بحث القاه الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة ، عضو المجمع من تونس ، عرض فيه الواقع اللغوي في افريقية يوم فتحها المسلمون **ووحدوا نواحيها بفصحاهم** ، وكيف غدا اهل اللهجات المختلفة عربا بلغتهم ؛ كما بيَّن اثر اللهجات البربرية ورسابات كل من : الفارسية والتركية والاسبانية والطليانية والفرنسية في العاميات المنتشرة اليوم ، وكيف ان الناس يصِفُون ، حتى الان ، من يستخدم العامية في حديثه بأنه **(يبربر)** بينما ينعتون المتكلم بالفصحى بالـ **(متفقه)** .

وقد اجمع المؤتمرون على تقدير البحث ، واشادوا بفائدته وامثاله في دعم الفصحى في تونس وسائر المغرب العربي ، شاكرين المحاضر على جهوده .

٩ ــ « **من اسرار الزيادة في القرآن الكريم** » بحث القاه الاستاذ علي النجدي ناصف، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه موضوعا نحويا هاما، معللا نزول (أن) بعد (لما) و (ما) بعد (اذا) في بعض آيات القرآن الكريم، مفيدا ان هذه الزيادة **من ضرورات المعنى المراد في تلك الآيات** .

وعلّق على البحث كلّ من الدكتور ابرٰهيم الدمرداش والاستاذ شوقي امين، معلنين الشكر للمحاضر مع التقدير .

١٠ ــ « **كتاب مخطوط لابن عسكر ولابن خميس** » القاه الاستاذ محمد الفاسي ، عضو المجمع من المغرب ، عرض فيه مخطوطا نادرا ضَمَّ نُبَذاً من اخبار وتراجم رجال مالقه في الاندلس . والكتاب حلقة في سلسلة من كتب تاريخ المغرب والاندلس يعمل الاستاذ المحاضر على نشرها مشكورا .

١١ ــ « **العربية امس واليوم** » بحث القاه الاستاذ عبد الله كَنّون ، عضو المجمع من المغرب ، عرض فيه للعربية بين امسها وحاضرها بعد ان **غدت احدى اللغات العالمية الكبرى ، ولغةً رسمية في المحافل الدولية**، حاثًّا العلماء المهتمّين بمستقبلها على التضافر وبذل الجهود في العناية بمشكلاتها . ولقي البحث تقديرا من المؤتمرين كافة .

١٢ ــ « **اللغات العامية واللسان المدون** » بحث القاه الاستاذ الشاذلي القليبي، عضو المجمع من تونس ، عرض فيه واقع الفرد في العالم العربي ، اذ **لكلّ واحد لغتان مختلفتان ، يستخدم الاولى في البيت والمصنع والسوق ، ثم يقرأ ويكتب بالاخرى** ، وكل جهد يبذل لتوحيد هاتين اللغتين عقيم ؛ وبينما تختلف اللغة الاولى بين بلد وبلد ، نجد الثانية توحِّد بين ابناء مختلف الاقطار ، لذلك فهي السبيل الوحيد للتقارب والتفاهم ؛ ومع هذا الواقع ، لا بد من اجماع العرب على رفع مستوى اللغة التي لا سبيل للتفاهم فيما بينهم إلاّ بها ، وسلوك الدروب المؤدية الى الغاية المرجوّة ؛ واكد الاستاذ القليبي على **مسؤولية وسائل الاعلام بانواعها** ، فيجب الزامها بفصحى ميسَّرة يرتفع معها مستوى العاميات ، حتى ينتهي الامر بنا الى لغة قومية مشتركة توحِّد بين الاقطار المتباعدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقي البحث صداه المستحب ، وعقب عليه كثيرون بالثناء والتقدير .

١٣ ــ « **الجغرافيا عند العرب** » بحث القاه الدكتور محمد محمود الصياد، عضو المجمع من مصر ، رسم فيه صورة واضحة المعالم تبيّن **الفضل الكبير للعرب على علم الجغرافية** ، وكيف نشأت معلوماتهم

الجغرافية مروية ممتزجة باللغة والادب ، ثم استكملوهـا بالبحث والدراسة ، مندفعين في ذلك بحسّهم الجغرافي المرهف وبشعورهم الديني العارم ، منذ كانوا بُداةً رُحّلا، مضطرّيـن الى معرفة الارض وجِهاتها المختلفة ، الى ان اصبحوا اصحاب دولة وحضارة، مضطرّين بحكم دينهم وسلطانهم الى معرفة كل ما يعينهم على اداء فروضهم ومناسكهم الدينية، والحفاظ على دولتهم وحضارتهم .

واعقبت هذا الحديث تعليقات طريفة دلّت علـى انه جزء من موضوع ضخم يعمل الدكتور الصياد على انجازه .

١٤ ـ هذا وكان المؤتمرون على موعد مع الدكتـور ناصر الدين الاسـد، عضو المجمع من الاردن ، للاستماع الى بحثه « **شواهد على صحة الشعر الجاهلي من شعر صدر الاسلام والشعر الاموي** »، وهـو حلقة من سلسلة يحاول الدكتور الاسد معها تقويض مزاعـم المشككين بالشعر الجاهلي ، ولكـن غيابه بمهمة رسمية جعـل المؤتمرين يقررون الانتظار حتى يُنْشَر البحث فيقراوه .

رابعـا : المعجم الكبير (*)

عرضت على المؤتمر المواد التي انهى مجلس المجمع دراستها مـن المعجم الكبـير ، وهـي :

١ ـ المواد المبتدئة من اول حرف الثاء والميم وما يثلثهما ، حتى نهايـة مـواد هذا الحرف .

٢ ـ المواد من أول حرف الجيم الى اخر الجيم والتاء وما يثلثهما .

وقد اقر المؤتمرون اكثرها بعد سماع ملاحظات الاعضاء وتعديـل بعضها ، كما انهم اعادوا بعض المواد الى اللجنة لاعادة النظـر فيها في ضوء ما تقدم به الاعضاء من اقتراحات .

(*) أتـم المجمع طبع الجزء الاول من هـذا المعجم في مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٠م في ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير، متضمنا مـواد حرف الهمزة ، وأمـا الجزء الثاني المتضمن مـواد حرف الباء فما زال قيـد الطبع .

خامسا : اعمال لجنة اللهجات

عرض الاستاذ شوقي امين على المؤتمرين اعمال لجنة اللهجات وتتضمن قرارات انتهت اليها في المسائل الآتيـة :

المسالة الاولى : ظاهرة الاسكان في الفصحى

انتهت لجنة اللهجات ، في دراستها ظاهرة الاسكان في اللغة العربية ، الـــــى ان :

« اسكان الحركة الإعرابية ليس بمنكور في الفصحى ؛ وهي ترى امكان الاستناد الى ذلك في اجازة الوقوف بالسكون على الأعلام المتتابعة »

واعترض بعض الأعضاء منكرين هذا القرار ، غير أن غالبية المؤتمرين احجموا عن الاعتراض عليه ، فأُعتُبِر بمثابة فتوى يمكن **اللجوء اليها عند الضـــــرورة .**

المسالة الثانية : المصطلحات اللغويـة

قامت لجنة اللهجات بجمع اللهجات القديمـة في لسان العـرب ، وصَنَّفت المادّة المجموعة بطريقة تيسّر على الباحثين الانتفاع بها . وكـان التصنيف وفقا لمستويات اللغة بالترتيب الآتي :

« ما يتّصل بعلم الاصوات ، وما يتّصل بعلم الصرف ، ثم ما يتّصل بعلم النحو ، وفي النهاية ما يتّصل بعلم المعجم »

وقد بدأت اللجنة بالجانب الصوتي،وراعت ما يأتي :

١ ــ التعريف بالمصطلح من الناحية اللغوية ما دعت الفائدة الى ذلك

٢ ــ التعريف بالمصطلح من الناحية الاصطلاحية كما عرَّفه اللغويون القدامـــــى .

٣ ــ اسناد الظاهرة الى القبائل التي توجد فيها .

٤ ــ مناقشـة الآراء المختلفة التي قدّمها اللغويون للظواهر المدروسة

٥ ــ الاهتمام بما يشابه الظاهرة في اللغات الساميّة القديمة .

٦ ــ التعريف على ما يتّصل بهذه الظاهرة في اللهجات العربية المعاصرة .

٧ ــ تقديم التفسير اللغوي الحديث .

وكان سَبَق لِلّجْنة ان عرضت على مجلس المجمع ومؤتمره في الدوروة الحادية والاربعين ، مجموعة من المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة ، فوافق على ستّة منها واقرّها وهي :

ا ــ **التلتلة** (١) ب ــ **الشنشنة** (٢) ج ــ **الطمطمانية** (٣)

د ــ **الفحفحة** (٤) . هـ ــ **العنعنة** (٥) . و ــ **العجعجة** (٦) .

وفي هذه الدورة عرضت اللجنة المصطلحات الاتية :

ا ــ **الكَسْكَسة** : ــ ويراد بها زيادة السين بعد كاف المؤنث ، وابدال السين من كاف الخطاب مثل (مِنْكَسْ) و (أبوس) في منــك وابــوك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ــ **الكَشْكَشة** : ــ ويراد بها لحوق الشين كاف الخطاب ، او ظهورها بدلا منها . مثل (مِنْكَش) او (مِنْش) فيمنك

ج ــ **اللخلخانية** : ــ ويراد بها ظاهرة اسقاط بعض الحروف في الكلمات التي يكثر دورانها على الالسنة، مثل (انشا اللــه) في ان شاء اللــه .

---

(١) التلتلة في الاصطلاح : كسر حروف المضارعة او أحدها .

(٢) الشنشنة في الاصطلاح : جعل الكاف شينا .

(٣) الطمطمانية في الاصطلاح : ابدال لام التعريف ميما .

(٤) العجعجة في الاصطلاح : ابدال الياء جيما .

(٥) العنعنة في الاصطلاح : ابدال العين من الهمزة المفتوحة .

(٦) الفحفحة في الاصطلاح : جعل الحاء عينا .

د ــ **الاستنطاء** : ــ ويراد بها ايراد النون في موضع العين الساكنة قبل طاء (انطى بدل اعطى) .

هـ ــ **الوَتْـم** : ــ ويراد به قلب السين تاء ، نحو (النات) في الناس

و ــ **الوَكْم** : ــ ويراد به كسر كاف جماعة المخاطبين اذا كان قبلها ياء او كسرة ، نحو : السلام (عليكِم) .

ز ــ **الوهم** : ــ ويراد به كسر هاء جماعة الغائبين في الضمير المتصل (هِم) مطلقا مثل : فيهِم وعَنهِم .

المسالة الثالثة : حرف الضاد واللغة العربية

كانت لجنة اللهجات درست السؤال المحال اليها حول **سبب تسمية العربية بلغة الضاد** ، ومثل هذا الحرف يُسمع في بعض اللغات ، **بينما حرف الظاء لا يُسمع ابدا في غير العربية .**

وانتهت دراسة اللجنة الى القرار الآتي : ــ

« للضاد ــ في العربية ــ صور شتى ، غير ان **مخرج الفصحى منها** بالاستناد الى اقوال الائمة واللغويين يُعتبر **من اصعب الاصوات نطقا على ابناء العربية ، بَلْه الاعاجم** ، ومن ثم قد ساد وصف العربية بأنها **(لغة الضاد)** أو اللسان الضادي ، كما جاء في شعر المتنبي .

وَهُمو فخر كل من نطق الضا د وعوذ الجاني وغوث الطريد

وجاء ايضا في استعمالات اللغويين ، ومن بينهم الفيروزبادي صاحب القامـــوس .

أما الصور الاخرى للضاد ، كنطقها في لسان اهل مصر (مطبق الدال) او نطقها في لسان اهل العراق (ظاء) أو قريبا منها ــ فلها ما يناظرها في بعض اللغات غـير العربية » .

وجرت مناقشات مطوّلة وحادّة ، انتهت بموافقة الأغلبية على القرار ، ولا سيما أن تسمية العربية بلغة الضاد ، وإن تأخرت عن القرنين الاول والثاني ، قديمة مشهورة ، وليس تعليل الأسماء ضربة لازب .

المسالة الرابعة : الافادة من المقطعية في تدريس العربية

كان المؤتمر ، في دورته السابقة ، احال الى لجنة اللهجات بحث الدكتور اسحُق موسى الحسيني المعنون : « الافادة من المقطعية في تدريس العربية » .

وقد ناقشت اللجنة البحث المذكور، واستمعت الى آراء بعض الخبراء، وانتهت الى :

« ان اعتماد المقطع (الوحدة الصوتية) في تعليم القراءة العربية **يحتاج الى تجربة ميدانية**، وتطبيق تربوي في مختلف المستويات، لمعرفة اثره في تقويم القراءة الصحيحة ، وكذلك اعتماد ذلك في وزن العروض، وفي تعليل اللهجات يحتاج **الى متابعة للبحث ومزيد من الدراسة** لاستخلاص ما يترتب على ذلك للاستفادة والتيسير » .

وأقرّ المؤتمرون ما انتهت اليه اللجنة، مقدرين الجهود التي بذلتها في دراساتها المعروضة على المؤتمر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سادسا : اعمال لجنة الاصول

نظر المؤتمرون في اربع مسائل أقرّتها لجنة الاصول ورُفِعَت اليهم بموافقة مجلس المجمع ، وجرت مناقشات حارّة حول اولاها انتهت برفض قرار اللجنة فيها ، وقُبِلَ قرار اللجنة في المسالة الثانية ، وفي الثالثة بعد تعديل طفيف فيه ؛ أما موضوع المسالة الرابعة فتقرَّر تأجيله الى مؤتمر العام القادم . وفيما يلي موجز عن المسائل التي عُرِضت :

المسالة الاولى : جواز وصف المراة دون علامة التانيث في القاب المناصب والاعمال :

اتخذت لجنة الاصول ، بعد دراسة طويلة ، قرارًا هذا نصه :

« يجوز في القاب، المناصب والاعمال ، اسماءً كانت ام صفات ، **ان يوصف المؤنث بالتذكير** ، بشرط ذكر الموصوف منعا لِلّبس، فيقال :

فلانة استاذ او عضو او رئيس او مدير، استنادا الى ما نقله ابن السكيت عن العرب وما أورده من أمثلة » .

وقد اعتمدت اللجنة في قرارها هذا على ما نقله صاحب المصباح عن ابن السكيت عن الفراء : « تقول العرب : عاملُنا امراة ، وأميرنا امراة ؛ وفلانة وصيّ ، وفلانة وكيل فلان ؛ وانما ذُكِّر لأنه انما يكون في الرجال اكثر مما يكون في النساء ، فلما احتاجوا اليه في النساء اجروه على الأكثر في موضعه ؛ وانت قائل : مؤذّنُ بني فلان امراة ، وفلانة شاهد بكذا ، لان هذا يكثر في الرجال ويقل في النساء ؛ وقال تعالى: « انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر » فذكّر « نذيرا » وهو لإحدى ، وليس بخطأ ان نقول : « وصية ووكيلة» بالتانيث ، لانها صفة للمراة اذا كان لها فيه حظ ؛ وعلى هذا لا يمتنع ان يقال : امراة إمامة ، لأن في الامام معنى الصفة » .

فلما عُرض قرار اللجنة على المؤتمر ، كان محلّ نقدِ الاكثرية ؛ **فلا قولُ ابن السكيت اقنعهم ، ولا وجدوا ذوقَ من يحذف علامة التانيث من المترجمين او ممن لا تهمّهم قواعد اللغة مقبولا** ، كما انهم لم يقنعوا بوجود ضرورة مُلِحّة للخروج على قواعد اللغة ، وبخاصة حيث تكثر الاسماء المشتركة بين الرجال والنساء ؛ **وفازت الاغلبية بالتصويت معلنة ضرورة التفرقة بين الذكر والانثى في القاب المناصب والاعمال .**

المسالة الثانية : جواز مجيء فعل مصدرا لفعل اللازم

انتهت لجنة الاصول ، بعد دراسةِ مذكراتٍ وأبحاثٍ قُدِّمت اليها ، الى القرار الآتي :

« المشهور في قواعد اللغة انّ "فَعَلَ" اللازم مصدره "فُعولٌ" كسَجَدَ سُجودا ؛ وذلك ما ذهب اليه المجمع في قراره الخاص بتكملة فروع

مـــادة لغوية لم تذكر بقيتها (*) ونظرًا لمـــا رواه الفَرّاء من انـــــه : « اذا جاء فعل لم يسمع مصدره فاجعله فَعْـــلا للحجاز وفُعولا لنجـــد ؛ ونظرًا لورود افعـــال كثيرة لازمة مصدرها على فَعْل، كهمَسَ هَمْسا ، ترى اللجنة **اجازة ما يجيء من المصادر على فَعْل وفِعْله لازمًا وان كان المسموع على فُعـــول** » .

وبعـــد مناقشات هادئة **وافـــق المؤتمرون على القرار** .

المسالة الثالثة : جـــواز تسكين الأعلام المتتابعة مع حذف ابن

هـــذه المسالة من الموضوعات المزمنة في مجمع اللغـــة العربية ، فقد عُرِضَت عليه اكثر من مـــرة دون ان يتّخذ قرارًا فيهـــا ، واستطاعت لجنـــة الاصول اخيرا ان تتّخـــذ القرار الآتي :

« بعد مناقشة الموضوع وما قُدِّم فيه من مذكرات، انتهت اللجنة الى :

ترى اللجنة **اجازة مـــا يجري على الالسنة من حذف ابـــن فـــي الاعلام المتتابعة** في مثل : سافر محمـــد علي حسن ، وتضبط هـــذه الاعلام على احـــد الوجوه الآتية :

١ ـــ يُعْرَب العَلَم الاول بحســـب موقعه، ويُجَرّ ما يليه بالاضافـــة .

٢ ـــ يُسَكَّن العَلَمان الأولان ويُعربُ الاخير بما يستحقه الأول من اعراب .

٣ ـــ تُسَكّن الأعلام كلها إجـــراء للوصل مجرى الوقـــف » .

وبعـــد مناقشة هادئة، واعتراض الاستاذ عبد اللـــه كَنّون على الوجـــه الثاني الوارد في قرار اللجنة بقولـــه : « **لا يصحّ الإعراب بعـــد القطع** »، قرر المؤتمرون **الموافقة على قـــرار اللجنة** بعد حذف الوجـــه الثاني المشار اليـــه .

(*) مـــن المصطلحات العلمية التي نظر فيها المؤتمـــر في دورته السابقة مصطلح (الطَّمْيّ) بمعنى : الغرين يحمله السيل أو النهـــر ليستقرّ في الارض . ولمـــا كان مصدر فعل طما النهر بمعنى : ارتفع وامتلأ وغَزُر ، في المعجـــم العربي (طُمُوًّا) ، وليس فيـــه (طَما طَمْيًا) فقد اقـــرَّ المجمع احالة هـــذا الامر على لجنة الاصول ، لتنظر فـــي جواز تكملة مـــادة (طمى) في المعجـــم .

المسألة الرابعة : تنسيق ابواب النحـو

عرض الاستاذ شوقي امين على المؤتمرين فكرة موجزة عن موضوع تنسيق النحو ، قائلا بأن الدكتور شوقي ضيف قَدَّم بحثا يصوغ النحوَ صياغةً تيسر ويتالف من قسمين ، انهت لجنة الاصول دراسة القسم الأول منه ، **ورأى مجلس المجمع تأجيل النظر فيه الى ان تستكمل دراسة الموضوع كله .**

ووافق المؤتمر على ارجاء بحثه الى العام القادم لتستكمل اللجنة دراستها .

سابعا : اعمال لجنة الالفاظ والاساليب

نظر المؤتمرون في اعمال لجنة الالفاظ والاساليب المحالة الى المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة ، فأقر المؤتمرون اكثرها ، بينما دار بينهم نقاش شديد حول بعضها انتهى الى رفضه أو اعادته الى اللجنة لدراسته في ضوء ملاحظات الاعضاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيما يلي عرض موجز لما طرح على المؤتمر من مسائل وما انتهى اليه في شانها :

١ ــ أَبَدًا في معنى النفي

تقول لجنة الالفاظ والاساليب : « يجري في الاستعمال العصري مثل قولهم (لم افعل هذا ابدا) ويأخذ النقاد النحاة على هذا الاستعمال ان (ابدًا) تُستعمل ظَرْفًا منكَّرًا لتاكيد الاثبات او النفي في المستقبل ؛ والفصيح ان يقال : **لم افعل هذا قَطّ ، ولا افعله او لن افعله ابدًا ؛ واللجنة ترى جواز الاستعمال العصري** ، فقد اثبتت اللغة من معاني الابد الدهر مطلقًا او الدهر القديم او الطويل ، وورد الأبد في الشعر المستَشْهَد به بمعنى الزمن الماضي ؛ ووروده بهذا المعنى في المثل السائر : (طال الأبد على لُبَد) وكذلك ورد (الابد) ظرفا منكَّرًا لتاكيد الماضي المنفي في قول المتنبي :

لـــم يَخلِق الرحمٰن مثل محمد ابداً،وظني انـــه لا يَخلق »

وجرت مناقشة بـــين الاعضاء،أيَّـدَ خلالها الدكتور شوقي ضيف قرار اللجنة مستشهدا بقوله تعـــالى في سورة النور : (لولا فضل اللـــه عليكم ورحمته مـــا زكى منكم من احـــد ابدا) ولكن هـــذا النص القرآني غير مقصود بـــه الماضي فحسب بل الحاضر والمستقبل ، **وانتهى المؤتمرون الى الموافقة على قـــرار اللجنة .**

٢ ــ القيـــد بمعنى التقييد

تقول اللجنة : « يشيع في اللغـــة المعاصرة قولهم"احضر فلان القيد"، وقد يُظَنّ أن اللفظة مخالفـــة للأصول اللغوية ، غير انـــه ذُكِر في معيار اللغة (باب الدال فصل القاف) مـــا يأتي : « .. قاده يقيده قيدا كباع : **جعل في رجله القيـــد كقيَّده تقييدا** » . واذن فكلمة القيد تحـــلّ محلّ كلمة التقييد ، وهـــي شائعة الاستخدام في الكتابات الديوانيـــة والقانونية . **وواضح انهـــا صحيحة** » .

وأقـــرّ المؤتمرون ما انتهت اليـــه اللجنة .

٣ ــ المديونيـــة

جـــاء في قرار اللجنة : « يشيع استعمال مصطلـــح"المديونية" في لغـــة القضاء المدني،مُرادًا بـــه حالة كون الانسان مَدينا ؛ وفي راي بعض النقاد انـــه خطأ،على اساس أن القياس في اســـم المفعول من (دان) هـــو (مدين) فيجب ان يكـــون « مُدينيّة » لا مديونيـــة .

وبدراسة المسألة وَجَدت اللجنـــة **ان بعض قبائل العـــرب تجري في لفتها على التصحيح في صيغة اسم المفعول مـــن الثلاثي المعتل العـــين بالياء** ، وقـــد نَصَّت المعجمات على صيغة (مديون) بالتصحيح ، وعلـــى هـــذا **تكون المديونية مصـــدرا صناعيا** » .

واقـر المؤتمرون قـرار اللجنة .

٤ ــ سواء كذا او كذا ــ لا خلاف بين هـذا او ذاك

عُرِض على المؤتمر قرار اللجنة الذي تقول فيـه : « يُشيع في اللغة المعاصرة قولهم:سواء كـذا او كذا ، وقولهم:سيان كذا او كذا ؛ وقولهـم: لا خلاف بين هـذا او ذاك ؛ وقد يرى بعض نُقّـاد اللغة **ان استعمال (او) في هـذه العبارات على غـير صواب** ، اذ الصواب ان تُسْتَعْمَل (الواو) هنا مكان (او)،فالمقام مقام جمـع يستدعي العطف بأداته وهي (الواو) . وقد درست اللجنةُ هـذه الاستعمالات العصرية،**وانتهـت الى اجازتها** استنادا الـى انّ جمهرةً كبيرةً من النحـاة يُنصّون على ان من معاني (او) مطلق الجمـع ؛ يضاف الى ذلك المروي من الشواهـد على ذلك شعـرا ونثرا » .

واحتدم جدال عنيف بـين مؤيدي القرار ومخالفيه ، وبـرّأ خلاله الاستاذ سعيـد الافغاني اللغة من كـل شواهد البحث الذي استندت اليه اللجنة في قرارهـا . وحسم الرئيسُ الامر **بأن اقترح اعادة القـرار الى اللجنة لدراسته مجددا،فاقـر المؤتمرون الاقتراح .**

هـ ــ هـذا منزل آيل للسقوط ــ فلان آيب مـن سفر

جـاء في قرار اللجنة : « يشيع في اللغـة المعاصرة قولهم:هـذا المنزل آيل للسقوط ، كمـا يشيع قولهم:فلان آيب مـن سفره ، **بتسهيل الهمزة في كـل من آيل وآيب** . وقـد يبدو للناقد اللغوي في مثل ذلـك خروج على القاعـدة الصرفية ، اذ الاصل ان يقـال آئل وآئب،بهمزتين محقّقتين . واللجنة ترى ان استعمـال الكلمتين على هـذه الصورة صحيح استنادا الـى ان :

ا ــ اهـل الحجاز يستثقلون **تحقيق الهمزة الواحـدة** .

ب ــ ورد تسهيل الهمزة في اسـم الفاعل الأجوف **في بعض القـراءات القرآنية السبـع والعشر** » .

واقـــر المؤتمرون هـــذا القرار .

٦ ــ لعـــب دورا

يشيع في هـــذه الايام القول: (لعب دورا) وهو من لغـــة التمثيل المسرحي ، نُقِـــل الى العربية مترجما من لغـــات اجنبية ، ودخل الى لغـــة الكتابة والحديث وفيهما عَـــمَّ وانتشر ؛ وقد تناولت لجنـــة الالفـــاظ والاساليب هـــذا التعبير البعيد عـــن العربية ، بالمناقشة والبحث، وانتهت فيه الى القـــرار التالي :

« يشيع في اللغـــة المعاصرة قولهم (لعب دورا) يريدون بـــه اداء مهمة من المهمات في اي عمـــل من اعمال الحياة ؛ وربما يسبق الـــى الخاطر ان **العبارة غـــير صحيحة** ، على اساس ان الفعل (لعـــب) لازم . **ولكن اللجنة لا ترى مانعا من استعماله** ، ويمكن تخريج صحته من وجهين :

اولهما ــ ان يُجْعَل (دورًا) **مفعولا مطلقا مباشرا** ؛ ومعلوم ان المفعـــول المطلق يصف الفعل من اي وجـــه كان ، وكلمة دور في اللغـــة العربية المعاصرة تعني : مهمّـــة او نصيبا ، وهي وصف للفعـــل ؛ فلعب دورا اي نصيبـــا ، ولذلك تصبح كلمة (دور) مفعولا مطلقا .

ثانيهما ــ ان قائل هـــذه العبارة ومـــا يشبهها لا يريد بالفعل (لعـــب) معناه الحقيقي الذي يـــدل لفظه عليه ، **بل يريد معنى : أدَّى ونحوه** ؛ امـــا لفظ (دور) فمصدر (دار) ويراد بـــه في العبارة معنى : المهمة او القدر او النصيب ؛ واذًا يكون الفعل (لعـــب) فيما يعنيه الاستعمال المعاصر في العبارة **مضمَّنًا معنى : ادّى، مثلا**، وهو متعـــدٍّ ، واذًا يكون (دور) مفعولا بـــه للعب .

ويتضح ممـــا سبق **ان صيغة (لعـــب دورا) صحيحة لغويا** ، إمّا على ان كلمة (دورا) مفعول مطلق ، وإمّـــا على انها مفعول بـــه لفعل لعب **المضمن معنى : ادى** » .

وادى عرض قـــرار اللجنة على المؤتمـــر الى انقسام شديد في الراي ؛ فمـــن رافضٍ لـــه الى مدافع عنـــه مؤيد لضرورة اقراره .

واكـد الاستاذ الشاذلي القليبي، عضو المجمـع من تونس، **ان العربية في غنى عن هـذا التعبير المترجـم** ؛ وتساءل الاستاذ محمد عبد الغني حسن، عضو المجمع في مصر : لمـاذا نضيق بهذه اللفظة ونحـن مهتمون بإثراء اللغة العربية ؟ **مؤكّداً ان امثال هـذه التعبيرات المستحدثة ضرورة حتمية للنموّ والتطور اللغوي** . وقـال الدكتور حامد عبـد الفتاح جوهر، عضو المجمـع من مصر : إن من اكبر الخطأ ان يُصدِر مجمع اللغـة العربية رخصة لا سند لهـا من ضوابط اللغة ؛ ولسوف يقال هـذا راي المجمع ، **واخشى ان ننشر العامية بمثل هـذه الرخص** . وقال الدكتور اسحُـق موسى الحسيني، عضو المجمـع من فلسطين، إن اللعب على المسرح هـو البراعة في الأداء ، ومـا دام في الكلمة **ظلال مـن المعاني** فلا بأس مـن قبولها . وقال الدكتور محمـد محمود الصياد، عضو المجمـع من مصر، إن اللعب في المعجـم العربي **يقتصر على معنى اللهو** ؛ وتساءل الاستـاذ حمـد الجاسر، عضو المجمـع من العربية السعودية ، واذا ما اجيـز التعبير ، هـل يجوز لواحد أن يقول : لعب القـرآن دورا في تخليـد اللغـة العربيـة ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واقترح البعض اعـادة الموضوع الى اللجنة للاستزادة مـن الدراسة ، وعرض الامـر على التصويت **فرجحت كفـة الرافضين لقـرار اللجنـة** .

٧ ــ يلعـب الكـرة

تقول لجنـة الالفاظ والاساليب في قرارها : « يشيع في اللغـة المعاصرة قولهم (يلعـب الكرة) ويريدون بـه ممارسة اللعب بالكرة ؛ وربما يسبق الى الخاطـر أن العبارة غير صحيحة، على اساس ان الفعـل لازم والكرة اداة فيجـب وصلها بالباء ليقال : يلعب بالكرة، كما هـو وارد في اللغـة .

وبدراسة المسائل انتهت اللجنـة الى ان قول المعاصرين "يلعـب الكرة" **يمكن توجيهه** باحـد وجهين :

الاول ــ ان تكون الكرة (مفعولا مطلقا) اذ هي اداة الفعل ، والادوات تنوب عن المصدر في الانتصاب على المفعولية المطلقة،على حدّ (ضربته سوطا او عصاً) والاصل كما قال النحاة : ضربته ضربا بسوط او عصا ، ثم حذف المصدر واقيمت الآلة مقامه .

الثاني ــ ان يكون الكلام **من قبيل الحذف والايصال** : حذف حرف الجر ، ثم وصل الفعل بالاداة فقيل :(يلعب الكرة).ولهذا ترى اللجنة ان قولهم (يلعب الكرة) **صحيح لا بأس في استعماله** ، اما اذا كان المراد نوعا معينا من اللعب لكرة القدم او كرة السلة ، فترى اللجنة : أن التعبير صحيح ايضا على انه مفعول مطلق » .

وعند التصويت : **وافق المؤتمرون على القرار** .

٨ ــ تراوح الشيء بين كذا وكذا

تلي قرار لجنة الالفاظ والاساليب المتضمن : « يستعمل الكُتّاب المعاصرون مثل قولهم :(السعر يتراوح بين الارتفاع والانخفاض) أو (الجو يتراوح بين الحرارة والبرودة)،وقد يُعترَض على هذا التعبير بأن الصواب : **راوح بدلا من تراوح** ، كما هو مأثور في اللغة ؛ وترى اللجنة **اجازة التعبير** على اساس :

١ ــ أنّ تراوح في معنى راوح ، تنظيرا بينه وبين ما ورد في اللغة من صيغ الزوائد المتعاقبة .

٢ ــ ان تراوح من باب المطاوعة،لأنّ قولهم:راوح بين الامرين ، وإن كان لازما في الظاهر، هو مُتَعَدٍّ في المعنى » .

وعند التصويت على هذا الموضوع ، **أقرّ المؤتمرون قرار اللجنة** .

٩ ــ غَشَّ في الامتحان

جاء في القرار الذي عُرض على المؤتمر : « يجري على اقلام الكُتّاب المعاصرين قولهم : غَشَّ الطالب في الامتحان ، او غَشَّ الاجابة

من الاسئلة ، او غَشَّ عـن زميله ؛ او ورقتُـه مغشوشة ؛ يراد بذلك كلّه النقل عن آخر،ونسبة المنقول الى غـير صاحبه في غفلة من الرقيب .

وتجيز اللجنة هـذه الاستعمالات على اساس ان مدلول الغش في اللغة اظهار غـير الصحيح،ومجانبة الامانة في الأداء ؛ ومنـه الغش بمعنى الخلط والشَّوْب ؛ ولا بأس بالاتساع في هـذا المدلول ، بحيث يَسْتَوْعِب مـا تحمله الاستعمالات العصرية مـن معنى مجانبة الخلوص ، وذلك في اظهـار الممتحن خلاف ما هو لـه » .

وأقـرّ المؤتمرون اللجنـة على قرارها .

١٠ ــ عـزف لحنـا

تلـي قرار لجنة الالفاظ والاسـاليـب المتضمن : « يَستعمِل الكُتّاب المعاصرون مثل قولهم : عَزَف لحنـا ، وهذه معزوفة مـن معزوفاته ، وعَزَف على العـود ؛ على حين ان فعل عزف بمعنى صوَّتَ لازم في اللغة .

واللجنة تجيز الاستعمالات العصرية : إمّـا على ان فعل عـزف المتعدي ماخوذ من المعزف اسما للآلـة (١) ، وإمّا على إعراب (لحنـا) في قولهم (عزف لحنا) مفعولا مطلقا ، وإمّـا على ان (عزف) مضمّـن معنـى : أدّى » .

واقـر المؤتمرون قـرار اللجنة .

١١ ــ ادانت المحكمة فلانا،او حكمت المحكمـة بالادانة

تضمن قرار لجنـة الالفاظ والاساليب ما يلـي : « يُشيع في لغة ــ القانون ــ قولهم : ادانت المحكمة فلانـا او حكمت المحكمة بادانتـه ، بمعنى اثبتت الجريمة عليه ؛ وهو معنى يبـدو في ظاهره مخالفا لمـا نَصّت عليه المعجمات في معاني (ادان) التي تأتي في الاصل بمعنى اقرض .

---

(١) كـان مجمع القاهرة اقـر في دورته الاولى جواز الاشتقاق من اسمـاء الاعيان . وفي دورات لاحقة وضع قواعد لهـذا الاشتقاق . وفي منشورات المجمع ابحاث كثيرة حول هـذا الموضوع . انظـر كتاب (مجموعة القرارات العلمية) القاهرة ١٩٦٢ . وكتاب « في اصول اللغـة » القاهرة ١٩٦٩ م .

درست اللجنة هـذا ، وانتهت الى ان (دان) الثلاثي المتعدي يشترك مع الرباعي في معنى الاقراض ، وينفرد بمعنى المجازاة ، كما جاء في اللسان ؛ وليس ببعيد في راي اللغة ان يُحْمَل الرباعيّ على الثلاثيّ في دلالة المجازاة ، ليكون أدانه بمعنى جازاه ، وتكون الإدانة بمعنى المجازاة . وثمة توجيهٌ آخر : أن قولهم (دان شخصا) معناه في اللغة ايضا : حمله على ما يكره ؛ ومن الممكن ان (ادانه) محمول على هذا المعنى،اذ الحكم بالادانة اساسه الحمل على غير المحبوب » .

وعند التصويت على قرار اللجنة هذا ، اقرّه المؤتمرون .

١٢ ـ امعن النظر وانعم النظر

تقول اللجنة في قرارها : « يشيع في استعمال المعاصرين مثل قولهم : امعن النظر في الامر متعديا بنفسه ؛ والثبت في المعجمات : ان امعن فعل لازم يتعدى بالحرف . واللجنة تجيز ذلك الاستعمال لوروده في نصين من الشعر الجاهلي ، إمّا على ان الاسم مفعول به ، وإمّا على أن الاسم منصوب على نزع الخافض ؛ يضاف الى ذلك ان من الثبت في المعجمات : أنعم النظر في معنى أمعن في النظر ، ومن المحتمل ان يكون بين الفعلين قَلْب مكانيّ » .

وقد اقر المؤتمرون هذا القرار .

ثانيا : ختام المؤتمر وتوصياته

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية صباح يوم الاثنين في السابع والعشرين من آذار (مارس) سنة ١٩٧٨م ، عرض فيها الدكتور مهدي علام،امين المجمع،ما انجزه المؤتمر خلال هذه الدورة ، ثم ابدى الاعضاء ملاحظاتهم،وقدموا الاقتراحات التي يرونها : وبعد مناقشتها اتخذوا التوصيات والمقررات التالية :

١ ـ تعريب التعليم الجامعي هدف يُسْعَى اليه في العالم العربي بأسره ، وسبيله الحق تزويد مكتباتنا بمراجع عربية حديثة وافية ،

وقيام الاستاذ بواجبه قياما حقّا نحو مادته ولغته ، وتمكّن الطالب من لغته القومية ومن لغة اخرى اجنبية تربطه بسير العلم وتقدّمه .

٢ ــ تتقارب اللهجات الدارجة في العالم العربي في العشرين سنة الماضية تقاربا ملحوظا ؛ وللمدرسة والمدرّس شأن في ذلك ، ولوسائل الاعلام من صحافة واذاعة ، ومسرح وسينما شأن أوضح . وما أجدرنا أن نتعهد ذلك ونرعاه كي ينتهي بنا الى الهدف المنشود .

٣ ــ توحيد المصطلح العلمي والأدبي والفنّي هدف منشود لعالمنا العربي ؛ ولكن بعض الهيئات والافراد يعمد الى اصدار معاجم اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنها بلبلة في استعمال المصطلحات العربية لدى المشتغلين بالعلوم والآداب والفنون . والمؤتمر يوصي : بأن يُترك أمر المصطلحات للمجامع العربية ، على أن يُنسّق ذلك في اطار اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .

٤ ــ يأسف المؤتمر لما يبدو من تحريف في نطق بعض الحروف على السنة العاملين في الاذاعات المسموعة والمرئية . لذلك يوصي المؤتمر : بأن تعنى وزارات الاعلام بتدريبهم على نطق الحروف العربية من مخارجها الصحيحة ، مستعينة في ذلك بالاساتذة المتخصصين في هذا الميدان .

٥ ــ ما زال الكتاب المدرسي العربي في حاجة الى اخراجه بصورة تجتذب الطلاب وتُحبّبه اليهم ، كنظائره في كثير من البلاد الاجنبية . والمؤتمر يوصي وزارات التربية والتعليم بأن تحرص على تحقيق ذلك في الكتاب المدرسي ، كحرصها على اختيار موضوعاته ، وضبط كلماته .

٦ ــ يُشجّع المؤتمر ما بدأته وزارة الثقافة والاعلام في مصر من اقامة أمسيات شعرية ، لأعلام الشعراء ؛ ويَستحثّها على المضي في هذا السبيل ، ويأمل أن تأخذ بذلك وزارات الثقافة والاعلام في وطننا العربي ، ففيه احياء لتراثنا الشعري لدى ابناء هذا الجيل ، وترغيب لهم فيه ، ليُقبلوا عليه ، ويفيدوا منه .

٧ ــ تبلــغ توصيات المؤتمر وقراراته **للمجامع اللغويــة والعلميــة ، واتحاد المجامع ، والجامعات ، وجامعة الــدول العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافــة والعلوم ، ووزارات التربية والتعليم ، والثقافة والاعلام** ، في العالم العــربي جميعه .

وبعــد اتخاذ هذه القرارات والتوصيات استمــع المؤتمــرون الى قصيدة لشاعر الاهرام، عضو المجمــع، الاستاذ محمد عبــد الغني حسن بمناسبة انتهاء أعمال المؤتمــر ، كما استمعوا الى تحيّــة منظومة من الدكتور حسين على محفوظ، عضو المجمــع المراسل مــن العراق .

ثــم أعلن الدكتور ابراهيم مدكور، رئيس المجمــع، **ختــام دورة المؤتمر**، متمنيا للأعضــاء الوافدين عودا حميدا ، آمــلا لقاء الجميع **في المؤتمــر القادم** الذي سيُعقَد في الاسبوع الاخير مــن شهر شباط (فبراير) سنــة ١٩٧٩، ان شاء اللــه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليقات ومناقشات

١ ـ ندوة حول : تجربة جامعة دمشق في تعريب تعليم العلوم، قدّم لها : الدكتور عبد الكريم خليفة ـ رئيس المجمع الاردني، وادارها : الدكتور حسني سبح ـ رئيس مجمع دمشق، وشارك فيها: الاستاذ وجيه السمان، والدكتور هيثم الخياط ـ من اعضاء مجمع دمشق .

يوم السبت ـ ١٣٩٨/٥/١٦هـ.
الموافق ـ ١٩٧٨/٤/٢٢م.

الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم السبت ، السادس عشر من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٩٨هـ. الموافق ٢٢/نيسان/١٩٧٨م، عُقِدت الندوة في قاعة الندوات في كلية التجارة والاقتصاد بالجامعة الاردنية ، بدعوة من مجمع اللغة العربية الاردني ، وحضرها جمهور كبير من اساتذة الجامعة وطلابها ، ومن المعنيين بشؤون اللغة العربية

وقد تفضل الاستاذ الدكتور حسني سبح ، رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق ، بادارة الندوة ، وشارك فيها المهندس الاستاذ وجيه السمان ، والاستاذ الدكتور هيثم الخياط ، من اعضاء مجمع دمشق .

بدأ الندوة الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفه ، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني ، بكلمة قال فيها :

انه لمن دواعي سروري ان أرحب ، باسم مجمع اللغة العربية الاردني ، بأساتذتنا من مجمع اللغة العربية في دمشق ، ومن جامعة

دمشق . ولا شك في أن موضـــوع تعريب العلوم الذي يُطرَح في الوطـن العربي في هـــذه الفترة التاريخية ، لهو في غايـــة الأهميّة ، لانه يتمشى مع طموح هذه الامـــة الى حريتها واستقلالها،ومشاركتها في ركـــب الحضارة العالمية ؛ ولم يعـــد من الجائز مطلقا ان يُطرَح مبـــدأ « هـــل تصلح هذه اللغـــة العربية لان تكون لغـــة العلم أم لا ؟ » فلقد انتهت الفترة التاريخية التي كانـــت تُطرَح فيها هذه القضيـــة للمناقشة ، ومرّت اللغـــة العربية بهذه التجربة ، وكانت دمشق اول بلـــد أدرك،منذ عهـــد بني اميـــة،انه لا بـــدّ من التعريب من أجل بناء حضارة عربيـــة اسلامية أصيلة . ومن دمشق ايضا بـــدأ التعريب في العصر الحديـــث .

لهـــذا كانت الفكرة تراودنا لندعو أستاذنا الكريـــم الاستاذ حسني سبح ، شيخ الاطبـــاء ، ومِن رُوّاد التعريب في العصر الحديـــث ، لكي يلتقي مع هذه الفئـــة من الغيورين على لغتهم وعلى امتهـــم ، بدعوة من مجمعنا الاردني الفتيّ الـــذي يُعْتَبِر نفسه لجنـــة في مجمع عربي واحـــد . وفي رحاب هـــذه الجامعة الاردنية تنعقد الآن هـــذه الندوة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأضاف الدكتور خليفه قائـــلا :

هنـــاك تيارات وتيارات تتصارع في هـــذه القضية ، في مشرق البلاد ومغربها ؛ فـــان كانت في المغرب اللغـــة الفرنسية ، ففي المشرق اللغـــة الانكليزية . لكـــن الشعوب الحديثة اصبحت تدرك انـــه لا يمكنها الوصول الى حـــدّ الابداع والمشاركة الاصيلة إلاّ مـــن خلال لغاتها .

ثـــم انتقل الى تقديم الدكتور حسني سبح وزميليـــه ، وذكر مـــا قـــام بـــه كل منهم في مجال اختصاصه من جهـــد كبير مشكور في تعريب العلوم ، وتعريب التعليـــم العلمي الجامعي .

واعطيت الكلمـــة للدكتور حسني سبح ، فقـــال :

اشكر اولا مجمـــع اللغـــة العربية الاردني،الذي تفضّل فدعانـــا الى هذا اللقاء . وإنهـــا لبادرة حسنة وطيّبة،تدلّ على المسعى الطيّـــب الذي يقوم بـــه هذا المجمع الفتيّ من اجـــل المضيّ في ترقية اللغة العربية

لتلحق بركب الحضارة ، وتصبح مؤهّلة لاستيعاب جميع العلوم والفنون والتكنولوجيا ..

ومضى يقول :

من نافلة القول أن نبحث في ضرورة التعليم باللغة العربية ، فما من أمة في العالم الا تحترم لغتها ، وتسعى جهدها لتكون هذه اللغة هي الوحيدة التي تعبّر عن جميع شؤونها ، وتعلّم بها في جميع مراحل التعليم . وذلك لان التعليم بلغة اجنبية دليل على الضعف وعدم الثقة بالنفس ، بل دليل على خمول العزيمة في اهلها .

ثم مضى الدكتور سبح يتحدث حول تعليم العلوم بالعربية في مصر وسوريا فقال : اترك الآن الامور العلمية المتعددة لأنظر في الطب وحده ، لأنني عانيته واشتغلت به ، ولي قسط متواضع في وضع بعض مصطلحاته العربية . لقد كان الطب يُدرَّس في مدرسة القصر العيني ، في مصر ، وبعد ان تولّت الأسرة العلوية الحكم في مصر اتجهت الى اصلاحات كبيرة ، كان من جملتها الالتفات الى العلوم ، والنهوض بمصر لكي تستفيد قدر المستطاع مما بلغته ديار المغرب من رقيّ ، فأرسلت البعثات ، وعُنيت بتدريس العلوم العصرية ، وأسّست مدرسة القصر العيني ، وكان التدريس فيها باللغة العربية ، وتخرّج فيها مئات الاطباء ، وانتشروا في جميع الأقطار العربية ، وظلّ التعليم في هذه المدرسة سبعين سنة باللغة العربية .

وتابع الدكتور سبح كلامه قائلا :

ثم احتلّ الانكليز مصر ، وكان من الطبيعي أن لا يوافقوا على بقاء اللغة العربية لغة التدريس ، ذلك لأن الاستعمار لا يكون أبدا استعمارًا ماديًّا فحسب ، بل لا بدّ له من السيطرة الثقافية كذلك . وهكذا بدّل المستعمرون لغة التدريس من العربية الى الانكليزية ، وظل الامر كذلك حتى عصرنا الحاضر .

ثـم أنتقل الى الحديث على جامعة دمشق ـ او الجامعة السورية ، كما كانت تدعى ـ فذكر ان كليـة الطبّ فيها قد انشئت في العهد الفيصلي ، وفي زمن رئاسة احمـد رضا الركابي للحكومة السوريـة .

وقـد دُعيَت يومئذ (المدرسة الطبية) وبـدأ التعليم فيها باللغـة العربية ، بعد ان كـان التعليم في بيروت والقسطنطينية باللغـة التركية .

وقال الدكتور سبـح :

ولمـا جـاء الانتداب الفرنسي لم يستطع فرض الفرنسية لغـةً للتدريس في مدرسة الطـب ، لان للمواطنيين من وعيهم وحبّهم للغتهم ما يُعَـدّ مضربه الامثـال .

وتحدّث على المجمـع العلمي العربي بدمشق ، فقال إنـه قد أُنشىء في اواخر الحرب العالمية الاولـى ، وكان العمل الذي قام بـه هو تحويل المصطلحات التركيـة السائدة الى مصطلحات عربيـة . وهكذا وُجِدَت جميع المقوّمات لأجـل الادارة والتدريس بالعربيـة ، ولا سيّما فـي المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وكان المجمـع يشرف على كلّ مـا يُطبَـع من الكتب المدرسية اشرافـا فعليا . وكان ينظر في جميـع المصطلحات التي تَرِد عليه ، كما كـان يجيب عن كل ما يوجَّه اليـه من اسئلة فردية وجماعية ، في الصحـف او سواها .

واضاف الدكتور سبح قائـلا :

وبعـد ان أنهَيْتُ دراسة الطـب في دمشق ثم في اوروبا ، عُهِدَ اليَّ بالتدريس في مدرسة الطـبّ في دمشق ، وقمتُ بما يفرضه علي الواجب ، ووضعتُ كُتُبـًا شاركْتُ فيها في تعريب الطـب . وعَقَّب على ذلك بقوله :

ان التعليم باللغـة القومية ينبع من مشيئة الناس ؛ وعلى هـذه الارادة الوطنية قامـت تجربة دمشق في تعريب التعليـم العلمي .

وقـال ان في سوريا الآن ثلاث جامعات ، واغلـبُ الاساتذة فيها دَرَسوا في بلـدان غربية عديدة وبلغات غربية مختلفـة . وهذا كاد يؤدي

الى مشكلة في لغة التدريس الجامعية ، غير أنّ مجمع دمشق ألحّ على الحكومة ان تشترط على كلّ عضو في هيأة التدريس اتقانَ اللغة العربية . وقد استجابت الحكومة لطلب المجمع ، واصبحَ المؤهّلُ الآن لكلّ من ينضمّ الى التدريس في اي من الجامعات الثلاث هو اجادة اللغة العربية .

وحولَ الانتقال في التدريس من اللغة الاجنبية قال الدكتور سبيع:

انا لا اميل الآن الى فكرة الطفرة ، بان نُلزمَ الاساتذة والطلاّب بين عشية وضحاها ان يُبدّلوا التدريس من لغة الى لغة اخرى ؛ وارى ان نجد اولا الاساتذة المتمكّنين من لغتهم العربية ، وان نجدَ لهم كُتبًا في المصطلحات الجديدة بعد ان كثرت هذه المصطلحات في جميع العلوم والفنون،واصبحت لا تُقدَّر او تُحصَى . وانا مؤمن بان الطبيب الذي يُدرِّسُ الطبّ بالعربية أقدرُ على التفاهم مع مريضه باللغة التي يفهمها مريضه . وقد ثبتَ لي بالتجربة أنّ خريجي كلية الطبّ في جامعة دمشق ، وهم يتعلّمون الطبّ باللغة العربية لا بالانكليزية ، ليسوا اقلّ مقدرةً ممّن دَرسوا بالانكليزية على اجتياز الامتحانات الطبية المؤهِّلة للبعثات في اميركا ، فهم ينجحون فيها في الطب وفي اللغة الانكليزية ، وفي دراساتهم بعدئذ في اميركا لا يعجزون عن فهم الدروس التخصصية التي يتلقونها ، واحيانا كثيرة يتفوّقون على زملائهم الذين دَرسوا الطب باللغة الانكليزية .

وانا اودّ هنا ان اشير على المدرّسين بان يأخذوا انفسهم بتدريس المواد العلمية باللغة العربية ، وعندما يحتاجون الى مصطلح لا يعرفون مقابله العربي ، فلا ضيرَ عليهم من استعمال المصطلح الاجنبي مع شرحه بالعربية .

وختم الدكتور حسني سبيع كلمته بقوله :

وختاما لا يسعني الآن ان أكرّر الشكر للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفه على اتاحته هذه الفرصة للقائكم ، وانني على استعداد للردّ على اي سؤال .

* * *

ثـم أُعطيت الكلمة الى المهندس الاستاذ وجيـه السَمّان . فقال :

ممّا تقدم بـه الدكتور حسني سبح نستطيع أن نستنتج أن تعليـم الطـب باللغة العربية قد نَجَح.وليس لديّ شكّ في سلامة هـذه التجربة ، وفي انها اعطت احسن النتائج . فهـل تُرَى نجحت التجربة في فـروع اخرى من العلـم ؟

لقـد كانت كليةُ الطب الكليةُ العلمية في دمشـق حتى سنة ١٩٤٦ . وبعد الاستقلال قامت سوريـا بتوسيع الجامعة ، فأنشئت كليـة للعلوم ، وكلية للهندسة ، ودارٌ عليـا للمعلمين . ثـم توالت الكليات بعد ذلـك ، فأنشئت كليـة الفنون الجميلة ، وكلية الزراعة . وانشئت بعـد ذلك جامعة تشرين.وطبعا لـم تقتصر هذه الجامعات على كليات الطب وحدها ، بل اشتملت على كليـات اخرى متعددة . والآن تنشأ جامعة رابعة بـين حمص وحماة ، بدىء فيها بكلية الطـبّ البيطري،وكلية النفـط .

ولقـد كان لي شرف الانتماء الى كليـة الهندسة في جامعة حلب . وكان تدريس العلـوم بالعربية سهلا جـدا ، لان مصطلحاتها في السنة الجامعية الاولى كـان اكثرُها من جملة مصطلحات التعليـم الثانوي المألوفة في سوريـا وفي اكثر البلدان العربية . وامـا تعليمُ الهندسة فقد لقي صعوبة ، لان مصطلحاتها لـم تكن لها أُسُس سابقة . ومـع ذلك صَمَّم الاساتذة على ان يتخَطّوا المصاعب بهمّـة الشباب واخلاص العلماء، وراحوا يضعون المصطلحـات العربية لكل سنة . ووَضْعُ المصطلحـات لا يمكن الا ان يكـون تدريجيًّا : عمل بنـاءٍ بطيء ، ثم لا بـدّ من الرجوع اليه ، واعادة النظر فيـه ، والاستفادة من كـلّ مصطلح جديـد . وهكذا نستطيع ان نقول الآن بكـل اطمئنان إن كلّيات العلوم وكليـات الهندسة ، بجميع فروعها ، تجـد كل مصطلحاتها حاضرة ، يُعَلّمهـا المدرسون ويفهمهـا الدارسون .

وتبقى ثمـة قضية المراجع لمـن يريد الاستزادة . وهنا اقول إن الشعوب الغربيّة المتقدمة لا تكتفي بإلـزام طلّابها بمعرفة لغتهم القوميـة وحدها ، بـل تطلب منهم معرفة لغتين او اكثر من اجـل التوسّع فـي

البحث العلمي . وهـذا يعني ان نقتديَ بهم ، فنُلزِم الطالـب باتقان لغتـه العربية أولا ، ثم باتقان لغـة اجنبية او اكثر من اجـل الاستزادة العلمية . وهـذا طبعا يتطلّب جهدا اضافيًّا ؛ ولا بـدّ من هذا اذا كان العرب يطمحون الـى مستقبل مشرّف .

واضاف الاستاذ السمان قائـلا :

اعتقـد ان السبب في تهرّب البعض من تعليـم العلوم باللغة العربية هو قلّة الإقدام ، وعـدم الاعتماد على النفس . وقـد جُرِّبنا نحن ونجَحَتْ تجربتنا في سوريـا ، فلدينا الآن كليات للطـب ، وللهندسة ، وللعلـوم ، وللزراعة ، وكلهـا تدرّس بالعربية . وهي ايضـا تُدرّس اللغات الاجنبية لكي يتمكّن الطلاب مـن الرجوع الى المراجع العلميـة الأجنبية . وفي كل جامعة لجنـة خاصة لنشر المراجع العلميـة المترجمة وكتب الاساتذة ، وهي تُصْدِر كـلّ سنة عشرات ، ان لم نقـل مئات ، من الكتب العلمية .

ولـم يقتصر الامر على الكتب التدريسية ، بـل هناك مراجع عديدة ، وقد ساهمتُ انـا شخصيا بترجمة بعضها . لقـد ترجمنا موسوعةً فـي الفيزياء من اللغـة الفرنسية بتعاونِ عدد كبير مـن الاساتذة . وكنّا قبل الترجمة نجتمع ونتّفق علـى تعريب المصطلحات معا ، ثـم يمضي كلّ واحد في ترجمـة نصيبه من الموضوع . ولم نصادف ايـة مشكلة ، لان لدى الاساتذة والطلاب رغبة تامـة في جعل لغتهم العربية جديرة بأمتهـا المجيـدة .

واضاف الاستاذ السمّان قائـلا :

وانني لاشعر بالأسف والألـم حين اسمع بعض المثقفين عندمـا يتكلمون في الشؤون العلميـة لا يختلفون عن العامة ، لجهلهم المصطلحات العربية . كما ان من المؤسف ان نسمع من أصحاب المهـن المختلفة تعابير مستغربة، تختلف بين كل بلـد والبلد الآخر . وهذا ما يجب ان يوضع لـه حـدّ ، والا كانت العربية غـير جديرة بالحياة ، لانها لا تعود لغـة واحدة بل عـدّة لغات .

* * *

ثم اعطيت الكلمة للدكتور هيثم الخياط ، فقال :

موضوع القديم والجديد اخشى ان اخوض فيه ، ويخيّل اليّ ان هذه القضية ليست بهذه الدرجة من الأهميّة . واعتقد ان الموضوع قد مولج من عدّة نقاط ، وسيجد المزيد من المعالجة بما سيتقدم به الاخوة الحاضرون من اسئلة ومناقشات . وما اريده هو ان أعلّق تعليقين أو ثلاثة .

قبل كل شيء احبّ ان اطرق موضوع التعليم بالعربية ، وموضوع المصطلحات ، وهما امران مختلفان تماما : فالمهمّ في التعليم هو البيان : ان يتكلم الاستاذ باللغة العربية التي يفهمها هو اكثر مما يفهم اللغة الاجنبية ، ويفهمها كذلك الناس منه اكثر مما يفهمون حين يخاطبهم بلغة اجنبية .

هذا شيء ، والشيء الآخر موضوع المصطلحات، التي هي الفاظ اصطلح عليها القوم — او تصالحوا — على ان تدلّ على معنى معيّن ، او على فكرة معيّنة . وهذا امر قد يكون فيه بعض الصعوبة احيانا ؛ والعصر الحديث فيه صعوبات أكثر ، لانه يصدر في كل يوم عدد كبير من المصطلحات التي تحتاج الى نقل الى العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد اصبحت العربيةُ اليوم لغة رسمية في الأمم المتحدة ، ولغة رسمية في المحافل الدولية عامة ، ومنها منظمة الصحة العالمية . ونحن ما زلنا نتردّد في استعمال المصطلحات الطبية ، مثلا، في كليات الطب عندنا . والتعليم بالعربية امر لا بد منه ، ولكنّ هناك فجوة تفصلنا عنه . واعتقد ان الكليات الطبية في العالم العربي ستبدأ عاجلا او آجلا بالتعليم بالعربية ، على ان السبق سيكون للذين يبدأون بالتعليم بالعربية قبل ان يعرّبوا المصطلحات . ولست احبّ ان أذكّر ههنا بالنواحي القوميّة والوطنية التي تقتضي ذلك ، فهذه امور كثُر الحديث حولها ، وانما احب ان اذكر نقطة مهمة جدًّا ننساها جميعا ، وهي قضية الابداع : الاستاذ الذي يستطيع أن يُبدِع، هو الاستاذ الذي يقرأ بلغته ويعلّم بلغته . والدليل على ذلك ان الجامعات العربية التي

ما تزال تعلّم بالانجليزية منذ عشرات السنين ، لم ينبغ فيها أحد ، ولم تتقدّم ببحث علمي مبتكَر ، ولم تُخرِّج علينا بشيء جديد .

نحن نقول إننا نريد ان نعلّم طلابنا باللغة الاجنبية ليظلّوا على اتصال دائم بما يجدّ في العلوم ، ،ويستطيعوا متابعة البحث العلمي، والمساهمة في البحث العلمي ؛ ولكن التجربة تُثبت خلاف ذلك . والقضية أننا نثير بعض الحجاج حول قضية ما زلنا نَجِدُ بعض الحرج في التخلّي عنها ، أو ما زلنا نحتاج الى بعض الشجاعة للإقدام عليها .

واما المصطلحات فامر آخر ؛ وانا لا أُقلّل من شأنها . والمصطلحات العربية التي ستصبح دَوْليَّة ، هي أيضا المصطلحات التي تُسْتَعْمَل في اللغة الفارسية ، واللغة الاوردية في تدريس الطب . اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، وهي لذلك لغة هؤلاء الذين يعرفون لغة القرآن ؛ وهم حين أرادوا ترجمة العلوم الى لغاتهم، لجأوا الى المصطلحات التي وجدت في لغة القرآن . وهم يكتبون الينا دائما لنرسل اليهم مصطلحاتنا . ونحن نقرأ مجلاّتهم التي تكتب بحروف عربية، فنجد المصطلحات المستعملة فيها مصطلحات عربية .

لقد أحببتُ أن نضع أنفسنا أمام هذا الموقف الذي نعيشه . هذه مجموعة من المتناقضات في الحقيقة ، فالناس يطلبون منا اشياء، ونحن نديرُ ظهورنا لهم ، ونريد أن نتقوقع ، وأن ننكمش عند لغة من اللغات الاجنبية . ومن المؤسف اننا نرى أن اكثر المدافعين عن التعليم بلغة اجنبية هم مِمّن لا يُجيدون اللغة الاجنبية ؛ والغريب ان الذين درسوا باللغة الاجنبية واتقنوها هم من كبار المدافعين عن التعليم بالعربية .

انني اخشى أن تكون هذه القضية مُظهرًا من مظاهر التخلّف والاستعمار الفكري ؛ والاستعمار ليس في حقيقة الامر من طرف المستعمر فحسب ، وانما هو قابليةٌ للاستعمار . . . والأُمم التي ليست لديها قابلية للاستعمار لا يمكن استعمارها . وانا اخشى أن يتسرّب الينا بعض القابلية حينما نقف مثل هذا الموقف .

كثيرون يقولون : نحن مؤمنون بالتعليم بالعربية ومستعدّون له ، ولكن يجب قبل ذلك أن تتوافر لنا الكتب العربية ، وأن تكون لدينا المصطلحات التي يستطيع الطلاب أن يتعلموها . وأنا قلتُ من قبل إنّ القضية قضية بيان ؛ فلنُدَرِّسْ بالعربية ، ولنستعمل ـ مثلما استعمل التراجمة الأولون ـ المصطلحات الدخيلة كما هي ؛ فالنقطة الأولى هي نقطة الحديث بالعربية اولا ، ثم نؤلّف الكتب . ولا يجوز أن نوقف شيئا على شيء،والا بقينا ندور في حلقة مفرغة . وفي وسع العرب أن يترجموا كلَّ ما يصدر باللغات الاجنبية من كتب علمية ، كما يفعل الروس الآن . وسينتشر بذلك الكتاب العلمي العربي ، وتنتشر كذلك المجلّات العلميّة العربية ، وستجد لها قُرّاء كثيرين في جميع ارجاء الوطن العربي . قد تطول هذه القضية بعض الشيء ، ولكنها في النهاية لسن تقاوم التجارب الحديثة .

ان الطالب يتعلّم في الدراسة الثانوية بلغته ، ثم ينتقل فجاة الى اللغة الاجنبية في الجامعة . ونحن طبعا مؤمنون بأنه يجب أن يعرف لغة اجنبية لكي يستطيع أن يتابع البحوث العلمية الجديدة ، لكن أيُّها أهون على الطالب ، وأيُّها أدعى الى الفهم : ان ينتقل هذه النقلة في نهاية الدراسة الثانوية،أم في نهاية الدراسة الجامعية ؟ أعتقد أن الافضل والأهون هو أن يَدَع هذه النقلة الى نهاية الدراسة الجامعية ، فهناك يستطيع ان يتخصص ، وان يتابع قضية تقوية لغته الاجنبية .

وقال الدكتور الخياط :

نحن نريد توحيد المصطلحات التي تُستَعْمَل في التعليم العام والتعليم الثانوي على مستوى الوطن العربي كلّه ، لأن العربية ستدخل، إن عاجلا أم آجلا،في التعليم في الجامعات العربية كلّها .

ثم تَطَرَّق الى بعض المعاجم الجديدة الموحّدة فقال :

التجربة الاولى كانت في المعجم العسكري الموحّد ، والمعجم الطبي الموحّد ؛ فقد صدر معجم للعلوم الطبية مختصر ، أصدره اتحاد الاطباء

العرب ، وحاول أن يوحّـد فيه المصطلحات الطبية بقـدر الامكان ؛ وقد انبثقت منظمة الصحة العالمية الآن هـذا العمل ، وعهدت الى لجنـة تضمّ الاعضاء الأُقدمين مع أعضاء مـن المغرب العربي لمتابعة هـذا العمل ، وتوسيعه واقراره بصفـة نهائية . ونرجو أن تكون هـذه خطوة اولى وجيدة في سبيـل توحيد مصطلحـات التعليم العالي .

* * *

ثـم دار نقاش طويل اشترك فيه عـدد كبير من الحاضرين ، وكان كل من الاساتذة الثلاثة يجيب بـدوره عن الاسئلة والمناقشات، ممـا زاد الموضوع وضوحـا . واختتم رئيس المجمع الأُردني الدكتور عبـد الكريم خليفه النـدوة بتوجيه الشكر الـى الاساتذة الثلاثة والى الحضـور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com